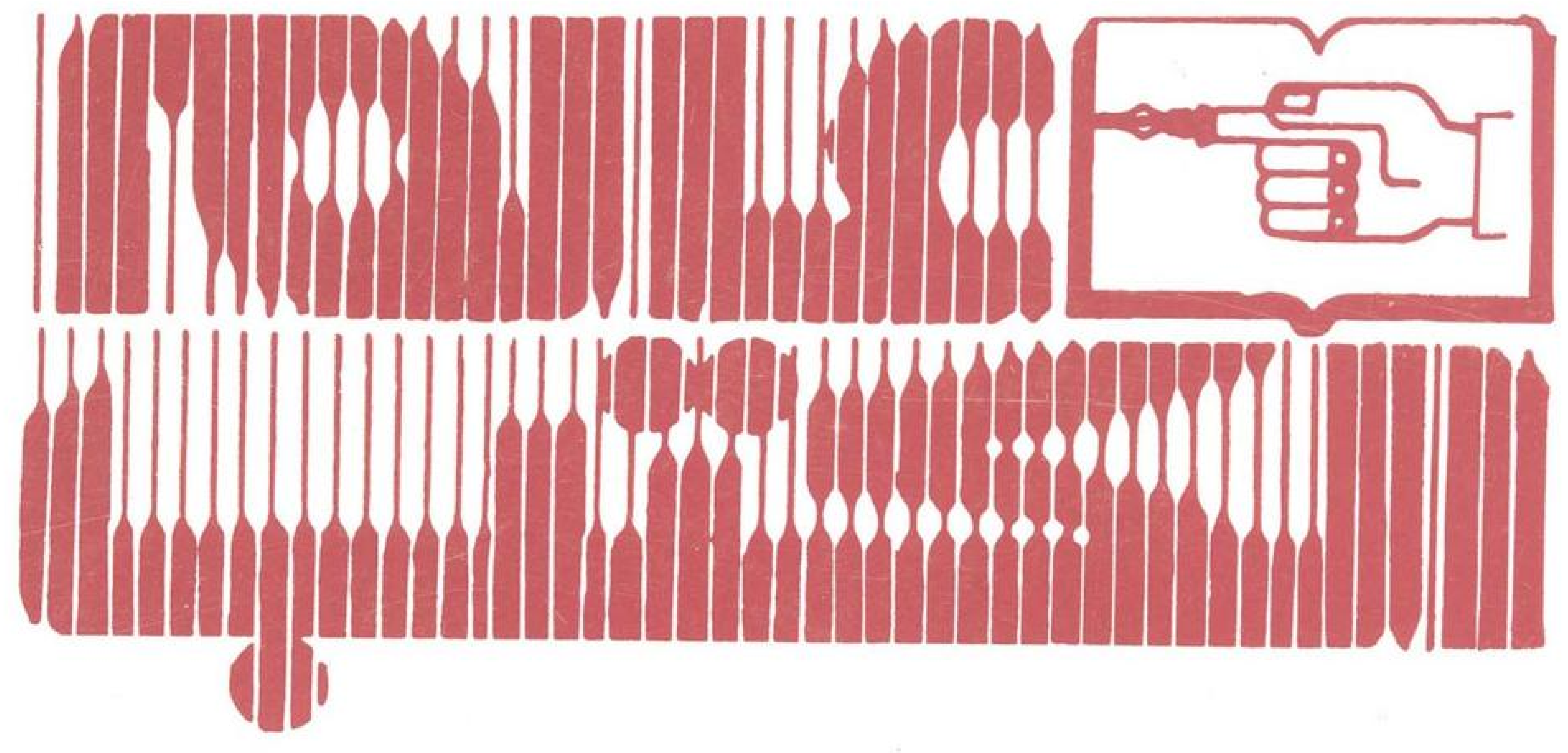
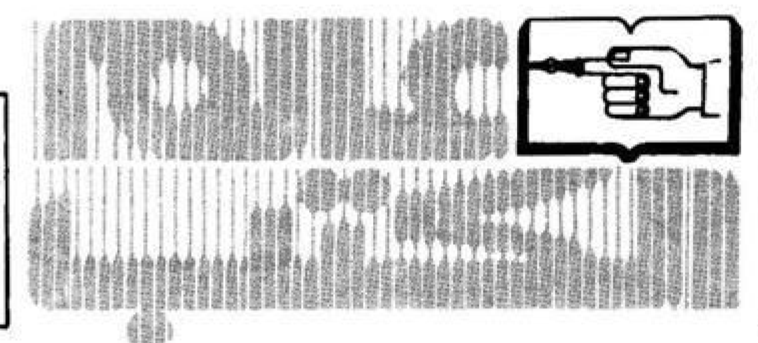


* مجلة فصلية متخصصة *

المجلد التاسع — العدد الرابع — ربيع الآخر/ ١٤٠٩هـ - نوفمبر/ ١٩٨٨م

- المكتبات المتخصصة: تاريخها - تعريفها - أهدافها
- التبادل بين المكتبات العربية
- قصة كتاب الإيضاح
- علم الببليوجرافيا: النشأة والتطور
- الإعلام بمناقب الإسلام للعامري
- المكتبات الخاصة في مكة المكرمة
- من الأخطاء الشائعة في النحو والصرف واللغة

بسم الله الرحمن الرحيم





مجلة فصلية متخصصة تهتم بالكتاب وقضاياه
الناشر: دار ثقيف للنشر والتأليف - الرياض - المملكة العربية السعودية

المجلد التاسع — العدد الرابع — ربيع الآخر/ ١٤٠٩هـ - نوفمبر/ ١٩٨٨م

○ منهاج النشر

- يشترط في المواد المراد نشرها:
  - ١ـ أن تكون في إطار تخصص المجلة.
  - ٢ـ مكتوبة بالآلة الكاتبة أو بخط واضح.
  - ٣ـ لم تنشر من قبل.
  - ٤ـ معتمدة على المنهجية والموضوعية في المعالجة.
- تخضع الدراسات والبحوث للتحكيم قبل نشرها.
- ترتب المواد وفقاً لأمور فنية بحتة.
- لايجوز إعادة نشر أية مادة من مواد المجلة كاملة إلا بإذن مسبق. وفي حالة الاقتباس يرجى الإشارة إلى المصدر.
- ما ينشر يعبر عن رأي كاتبه فقط ولا يمثل رأي المجلة بالضرورة.

○ بيانات إدارية

- المراسلات الخاصة بالتحرير توجه باسم رئيس التحرير (٤٧٧٧٢٦٩).
- المراسلات الخاصة بالاشتراكات والإعلانات توجه باسم مدير الإدارة (٤٧٦٥٤٢٢).
- عنوان المجلة :
- عالم الكتب
  ص.ب: (١٥٩٠) الرياض : (١١٤٤١)
  المملكة العربية السعودية
  هاتف : ٤٧٦٥٤٢٢
- الاشتراك السنوي في الداخل والخارج ١٠٠ ريال سعودي أو ما يقابلها بالدولار الأمريكي.
- الإعلانات يتفق بشأنها مع الإدارة.

المحتويات

المكتبات المتخصصة

تاريخها - تعريفها - أهدافها وتحولها المعاصر إلى مراكز للمعلومات

أحمد بدر

أستاذ المكتبات والمعلومات
جامعة الملك عبد العزيز - جدة

مقـدمـة :

المكتبات المتخصصة ظاهرة حديثة نسبياً ، فقد وجدت منذ القرن التاسع عشر للاستجابة لاحتياجات المعلومات المتلازمة مع الثورة الصناعية والاكتشافات العلمية ، وإن كان بعض الباحثين يردون تاريخها إلى البدايات الأولى للمكتبات في الحضارات القديمة ، حيث انسحبت بعض الخصائص المتعارف عليها الآن للمكتبة المتخصصة على تلك المكتبات القديمة .

وتحاول هذه الدراسة إلى جانب تعرّف تاريخ المكتبة المتخصصة في العصور القديمة والوسيطة والحديثة ، تعرّف تطور مفهوم وتعاريف المكتبة المتخصصة من مجرد أوعية أو مجموعات أو موضوعات متخصصة إلى التعاريف والوظائف والأهداف التي تركز على خدمات المعلومات المتطورة وهي مبرر الوجود والاستمرار المعاصر لهذه المكتبات ، كما اندمجت المكتبات المتخصصة مع مراكز المعلومات في الثمانينات من هذا القرن خصوصاً مع تطور تكنولوجيا المعلومات لتقدم خدمات المعلومات المتخصصة للهيئات التجارية والصناعية والبحثية والوزارات والجمعيات المهنية والبنوك وغيرها .

أولاً : استعراض تاريخي لمفهوم المكتبة المتخصصة

١ ــ المكتبات في العصور القديمة :

المكتبات المتخصصة هي بالضرورة ظاهرة القرن التاسع عشر وإن كان بعض الباحثين[١] يعتبرون المكتبات المتخصصة قديمة قدم المكتبات نفسها ، ولعلهم يذهبون هذا المذهب عندما يعرفون المكتبة المتخصصة من بعض الوجوه خصوصاً من حيث كونها تقتني أوعية متخصصة (كورق البَرْدي أو أقراص الطين) كما قد ينظر إليها على أنها تحوي موضوعات محددة دينية في غالبيتها .

لقد تغير تعريف المكتبة المتخصصة تغيراً جذرياً مع تزايد المعرفة المتخصصة ، ومع وظائف المكتبة المتخصصة وأهدافها خصوصاً بالنسبة لخدمات المعلومات ، ولكن هذه الوظيفة قد أصبحت أكثر وضوحاً بعد الحرب العالمية الثانية .

أي أن الكاتب يلاحظ أنه بالنسبة لمعظم المكتبات القديمة لا تتوفر المعايير الضرورية لوجود المكتبة المتخصصة ، فمكتبات أقراص الطين وغيرها من الأشكال القديمة لم تكن تخدم أية جماعة واحدة من المستفيدين أو الهيئات ، كما أن التغطية الموضوعية كانت عريضة للغاية في نطاقها ، ومن ثم فمن غير المنطقي تسميتها بالمتخصصة[٢] .

واستثناء من التعميم السابق ، فقد وجدت بعض المكتبات التي تحتوي أساساً على مجموعات متخصصة في منطقة الشرق الأوسط وآسيا خلال تلك الفترة[٣] ، فجامعة جونديِ شاهبور The Gondi Shahpour University كانت تمتلك في مكتبتها أعظم مجموعة طبية Medical Collection تعود للقرنين الخامس والسادس الميلاديين ، كما كانت هناك مجموعة تصل إلى أكثر من أربعمائة ألف مخطوط عن الرياضيات وعلم التنجيم Astrology في مكتبة مرصد ماراجه في أذربيجان Maragheh Observatory at Azerbaijan.

كما وجدت المكتبات المتخصصة التي يصدق عليها بعض خصائص المكتبات المتخصصة المعاصرة في الصين وكوريا وسري لانكا ولاووس ، وإن كانت الدراسات الجادة التي تدلنا على هذه المكتبات نادرة لعدم الإحاطة باللغات الآسيوية ، وأخيراً فقد تأسست في الإسكندرية أكاديمية العلماء **Academy of Scholars** وألحقت بها مكتبة الإسكندرية أعظم مكتبات عصرها ، وعلى الرغم من أن مكتبة الإسكندرية كانت لاستخدام الباحثين والعلماء وحدهم ، إلا أن التنوع الموضوعي في مجموعاتها (فقه اللغة ، الجغرافيا ، العلوم ..... الخ) يعتبر من بين الأسباب التي تستبعد كمكتبة متخصصة .

ولعل مشكلة المكتبات القديمة بصفة عامة ــ وليس المكتبات المتخصصة وحدها ــ هي عدم وجود ((القراء)) كما كان يستخدم هذا المصطلح قبل زمن أرسطو[٤] .

٢ ــ مكتبات العصور الوسطى :

وفي العصور الوسطى حيث الحضارة العربية الإسلامية لا

يستطيع الباحث أن يطلق على مكتبات المساجد التي انتشرت في تلك الفترة ولا أن يطلق على مكتبات دار الحكمة في بغداد أو بيت الحكمة في القاهرة أو غيرهما من المكتبات المشهورة في التاريخ الإسلامي بأنها مكتبات متخصصة ، وعلى الرغم من أن الكتب الدينية كانت تغلب على غيرها من الكتب في المجالات العلمية الأخرى إلا أن المستفيدين منها لم يكونوا جماعة واحدة متخصصة ، كما يلاحظ الباحث على الجانب الآخر في أوروبا ازدهار المكتبات الدينية ، فقد كان للكنيسة دور أساسي في التعليم[٥] أي أن المكتبات التي سادت في هذا العصر الوسيط سواء على الجانب الإسلامي أو الجانب المسيحي يمكن أن توصف بأنها مكتبات عامة وليست مكتبات متخصصة . كما يلاحظ الباحث أنه على الرغم من استمرار وازدهار المكتبات الإسلامية حتى وقتنا الحاضر إلا أن المكتبات المسيحية التي ازدهرت في القرنين الثاني والثالث عشر الميلادي قد واجهت منذ عام ١٥٤٠ م بذور تدميرها وذلك على الرغم من نمو الدراسات الإنسانية واختراع الطباعة[٦] .

٣ ــ المكتبات الجامعية القديمة :

لقد ظلت هذه الجامعات لفترة طويلة بدون مكتبات ، وكان لأعضاء هيئة التدريس مجموعاتهم الخاصة من الكتب ، كما كانت هناك بعض مجموعات الكتب في أماكن سكن الطلاب ، ثم نمت هذه المكتبات الجامعية عن طريق الإهداءات من الملوك والنبلاء والقساوسة والتجار ، ثم بدأت هذه المكتبات وظيفة جديدة وهي تقديم مقتنياتها للاستخدام العام بدلاً من قصرها على فئات محددة من رجال الدين أو غيرهم من الحكام ، ولقد ازدهرت هذه المكتبات شيئاً فشيئاً بسبب اختراع الطباعة من جانب وبسبب البعد عن الضغط المسيحي من جانب آخر . وهذه المكتبات الجامعية القديمة لا يستطيع الباحث اعتبارها مكتبات متخصصة نظراً لأن مقتنياتها كانت عامة وإن كان بعضها دينية الصبغة وبعضها يركز على القانون والطب ، ولكنها بصفة عامة كانت مكتبات أكاديمية عامة ، وحتى مكتبات البحث Seminar Library والتي كانت تعاون في تدريب الباحثين وتعليم أساليب المنهج العلمي ، كانت تحتوي على جميع الإنتاج الفكري اللازم للتدريب في مجال العمل العلمي ، وقد تطورت مكتبات البحث هذه إلى مكتبات الأقسام العلمية الموضوعية ، ومن ثم فهي تعتبر نواة للمكتبات المتخصصة على الحرم الجامعي[٧] .

٤ ــ المجموعات المتخصصة الخاصة بالأفراد :

وهذا تطور رئيسي حدث بين القرنين الخامس عشر والثامن عشر ، وقد ترك هذا التطور علامته في تاريخ المكتبة المتخصصة ، ومن أمثلة هذه المجموعات المتخصصة في التاريخ توجد مجموعات سير روبرت كوتن الشهيرة وغيرها من مجموعات القادة المشهورين مثل فرانسيس بيكون ووليم لومباردي وغيرهما من العلماء الأجانب والباحثين العرب ، والمهم أن هذه المجموعات المتخصصة قد أتاحها أصحابها للاستخدام[٨] ومع ذلك فهذه المجموعات لا ينسحب عليها تعريف المكتبات المتخصصة ، فهذه المجموعات قد تكون نواة بشكل أو آخر للمكتبات الوطنية أو العامة كما نعرفها في وقتنا الحاضر .

٥ ــ المكتبات الحكومية :

إذا أخذنا بريطانيا كمثال واضح ، فقد كان تأثير الأفراد الارستقراطيين واضحاً في تجميع المجموعات وإعادة تنظيم الأرشيفات والمحفوظات الوطنية فضلاً عن تأسيس المتحف البريطاني نفسه ، وعلى كل حال فقيمة المكتبات الحكومية قد اتضحت منذ المراحل الأولى لعصر النهضة في أوروبا ، فمكتبات المجالس العلمية ، كانت أقرب في طبيعتها من فكرة المكتبات المتخصصة وذلك من حيث تخصصها الموضوعي طبقاً للهيئة أو الوزارة الحكومية ، كما اقتصر استخدامها على الموظفين التابعين لتلك الهيئات[٩] . كما يذهب أشورث Ashworth إلى أنه يمكن اعتبار الوزارات والهيئات الحكومية أقدم الهيئات التي أنشأت المكتبات المتخصصة ، ولعل وزارات الخارجية هي أكثر هذه الوزارات اهتماماً بمثل هذه المكتبات[١٠] .

٦ ــ الجمعيات العلمية :

تعتبر المرحلة التالية لنمو المكتبات هي تلك التي حدثت مع نمو الجمعيات العلمية ، وهذه تشمل جميع الهيئات المهنية المهتمة بالبحث والثقافة ، وتدعم أحد فروع المعرفة ، وتجذب جماعات ذات اهتمامات مهنية أو علمية مشتركة . وعلى الرغم من أن تاريخ هذه الجمعيات يعود إلى اليونان والصين ومنطقة الشرق العربي فيسجل التاريخ المكتوب من وجهة النظر الغربية بداية الجمعيات العلمية الحديثة في إيطاليا في القرن السادس عشر ثم في بريطانيا بعد ذلك بقرن . وإذا كان بعض الباحثين في تاريخ المكتبات يعتبرون بريطانيا هي مهد Cradle المكتبات المتخصصة[١١] فإن ذلك يعتمد على ما كان يقوم به رجال العلم الإنجليز مثل روجر بيكون من التعاون مع غيرهم من العلماء في تكوين الجمعيات العلمية التي تأسست مكتباتها كمجموعات متخصصة جمعها هؤلاء الأفراد . ولعل البعض يعتبر أن هذا النظام الفردي هو الذي كان يعكس النظام

المكتبي العلمي الإنجليزي في فترة معينة ، ثم جاءت فرنسا بأكاديميتها الملكية للعلوم ثم البلدان الأخرى التي أنشأت جمعياتها العلمية على نسق الجمعية الملكية بلندن وأصبحت هذه الجمعيات شيئاً مألوفاً في أوروبا مع نهاية القرن السابع عشر . والمكتبات المتخصصة هي التي انبثقت عن هذه الجمعيات العلمية سواء في انجلترا أو حتى في أمريكا فيما بعد[١٢] . ولا يستطيع الكاتب أن يأخذ هذا القول على علاته ، ذلك لأن هناك باحثين آخرين[١٣] ، يرون أن أمريكا الشمالية (الولايات المتحدة وكندا) هي مهد Cradle تطور مفهوم المكتبات المتخصصة بالمعنى المتعارف عليه الآن ، وقد بدأت هذه التطورات قبل الثورة الأمريكية ، وأن أول مكتبة متخصصة معروفة نشأت في كندا في المستشفى العام بمدينة كوبيك عم ١٧٢٥ م ، وهناك مكتبة تشريعية افتتحت في جزيرة الأمير ادوارد عام ١٧٧٣ م ، وأخيراً فهناك المكتبة التي أنشأتها شركة النجارين Carpenters في ولاية فيلادلفيا عام ١٧٢٤ م ، ذلك لأن هذه الشركة كانت في ذلك الوقت تقوم بأعمال التصميمات المعمارية .

٧ ــ الثورة الصناعية والثورة ما بعد الصناعية :

لقد كانت الثورة الصناعية ــ كما يقول كروزاس[١٤] ــ دافعاً جديداً لتطور المكتبات المتخصصة في القرن التاسع عشر ، أي أن المكتبات المتخصصة ظهرت لتستجيب لاحتياجات المتخصصين في مجال الأعمال والتجارة وحاجتهم إلى المعلومات الحقيقية فضلاً عن احتياجات الهيئات الصناعية . ويذهب الباحث كروزاس Kruzas أيضاً إلى أن المجموعات الوظيفية التي كانت تحصل عليها الشركات التجارية دون أن تهدف إلى إنشاء مكتبة لهذه المجموعات ، هي التي تعتبر بدايات المكتبات المتخصصة في مجال الصناعة والتجارة بالولايات المتحدة . ونشأت مفاهيم جديدة للخدمة مع زيادة العاملين بهذه الشركات ، وهذه المفاهيم تضمنت ضرورة بث وتدفق المعلومات وليس مجرد اختزانها وحفظها ، أي أن القرن التاسع عشر قد شهد بدايات تطورات عديدة أدت إلى النموذج المعاصر لخدمات المكتبات المتخصصة .

أما أكثر ما يميز المكتبة المتخصصة وتطورها في القرن العشرين فهو ظهور حركة المكتبات المتخصصة التي تمثلت في جمعية المكتبات المتخصصة ومكاتب المعلومات (ازلب) التي أنشئت عام ١٩٢٤ م ، وكذلك جمعية المكتبات المتخصصة في أمريكا التي أنشئت عام ١٩٠٩ م ، والكاتب يرى أن هذه الجمعيات تعكس أول تجمع مهني منظم في مجال المكتبات المتخصصة المعاصرة .

ولقد كان ضغط الصناعة والبحث العلمي حافزاً للقيام بخدمات استرجاع المعلومات المتخصصة ، ومع دخول تكنولوجيا المعلومات كانت المكتبات المتخصصة أسبق من غيرها في استخدام هذه الأساليب ، كما قامت المكتبات المتخصصة بإبداع أساليب مهنية جديدة في التكشيف وخطط التصنيف المتخصصة وغيرها من عمليات عمق التحليل لمواجهة تحديات مشكلة وفيضان المعلومات ، مما دعا العديد من المكتبات المتخصصة إلى تغيير اسمها إلى خدمة أو مركز أو وحدة المعلومات ، بل لعل هذه المكتبات المتخصصة أو مراكز المعلومات تجسد أهمية المعلومات في المجتمع ما بعد الصناعي ، وهو المجتمع الذي تعتبر فيه المعلومات مورداً استراتيجياً للدولة[١٥] .

ثانياً : تعريف المكتبة المتخصصة :

ليس هناك تعريف دقيق وواضح ومقبول من جميع الأطراف للمكتبة المتخصصة ، على الرغم من اجتهادات العديد من الباحثين في هذا المضمار منذ بداية هذا القرن .... ولعل هذه التعاريف تعكس الطبيعة الديناميكية المتطورة للمكتبات المتخصصة ، ولعل اختلاف التعاريف أيضاً ينبع من وجود العديد من الأشكال للمكتبات المتخصصة ذاتها . هذا وينبغي أن نشير إلى أن مصطلح المكتبات المتخصصة هو مصطلح حديث نسبياً ، ولعل أول إشارة له كان في جمعيتي المكتبات البريطانية والأمريكية عام ١٨٧٩ م وإن كانت هذه الإشارات هي للدلالة على المجموعات المتخصصة في المكتبات العامة أو الخاصة ، وتميز هذه المجموعات بتغطيتها لأحد الموضوعات أو المجالات الموضوعية المتخصصة[١٦] .

وإذا كنا نلحظ عنصر التخصص هذا في مكتبات الجمعيات العلمية ، التي يرجع تاريخ إنشائها إلى منتصف القرن السابع عشر ، وكذلك في مكتبات الأقسام العلمية في الجامعات القديمة ، فإن التعريف الحديث للمكتبة المتخصصة ليس محدوداً بمجرد التخصص الموضوعي أو التخصص في المواد المقتناة ، ذلك لأنه منذ نهاية الحرب العالمية الثانية ، تركز الاهتمام بالمعلومات التي يمكن تحديدها في المجال الموضوعي بناء على سمات المستفيدين ، كما تركز الاهتمام بالبث الإيجابي والتوصيل السريع للمعلومات إلى طالبيها ، بل لعل توقع احتياجات المستفيدين والاستجابة السريعة لها هو الذي يميز المكتبة المتخصصة كمركز معلومات ديناميكي ، ولعل ما يميزها أيضاً هو أنها تمد البعد الزمني إلى مدى أبعد ، أي أنها ستُعلم المستفيدين منها بوجود معلومات جديدة قبل أن يعرفها هؤلاء من أي طريق آخر[١٧] .

وفيما يلي بعض التعاريف وتطورها حسب السنين[١٨] :

١٩١٠ قرر جون كوتن دانا John Cotton Dana مؤسس

جمعية المكتبات المتخصصة الأمريكية : أن المجموعات المتخصصة للكتب والتقارير وغيرها من المواد المطبوعة أصبحت متعددة الأشكال وأساليب الاستخدام بحيث لم يعد هناك تعريف كاف يشملها جميعاً .

١٩١٢ كتب جوزيفسون Josephson, A. G. : المكتبة المتخصصة هي التي تغطي موضوعاً محدداً واحداً أو مجموعة محددة من الموضوعات المترابطة .

١٩١٥ اعتبر اثيل جونسون Ethel Johnson أن الخدمة هي أكثر المعايير أهمية للمكتبة المتخصصة ، وعلى وجه التحديد فقد وضع الخدمة في مكان أعلى وأهم كثيراً من الموضوع أو الموضوعات التي تقتنيها .

١٩٢٥ اعتبر رايدلي Ridley وهو عضو بارز في جمعية (أزلب) أن المكتبة المتخصصة هي مجموعة «معلومات» تغطي مجالاً محدداً والتي يمكن أن يديرها موظفون متخصصون ، وذلك لخدمة مستفيدين محددين .

١٩٤٥ ركز موريارتي Moriarty على استرجاع وتقويم المعلومات فضلاً عن المواد غير المطبوعة ، وذلك عند تعريفه لوظيفة المكتبة المتخصصة كما يلي : الخدمة القائمة والمستمرة التي تتميز بالمعلومات المقيمة وغير المحدودة بالمواد المطبوعة ، على أن توجه هذه الخدمة لجماعة واحدة في مجال واحد من المعرفة أو في مجالات متعددة .

١٩٤٥ ركز هاتون Hutton وهو عضو بارز أيضاً في جمعية (أزلب) على ضرورة حصول أمين المكتبة المتخصص على مؤهلات متخصصة .

١٩٥٠ ركز أرنولد Arnold إلى جانب الاعتبارات السابقة على ضرورة أن يكون المستفيدون أعضاء في جماعة محددة .

١٩٥٢ اعتبر شيرا Shera أن المكتبة المتخصصة هي أية مجموعة من المواد المكتبية تجمع بغرض الاستجابة لاحتياجات جماعة معينة من المستفيدين ، ثم قام شيرا بتفسير مصطلح «متخصص» فقال إن كل مكتبة يمكن اعتبارها من جانب أو آخر متخصصة ، وذلك لتوجهها لاحتياجات ومتطلبات معينة للمستفيدين منها .... هذا والمكتبات المتخصصة هي توثيق للفكرة ، وهذه الفكرة يمكن أن تكون عريضة أو ضيقة ، كما يستطيع العقل الإنساني أن يتصور أو يفهم ، فهذه الفكرة يمكن أن تكون تعليمية أو علمية أو اجتماعية أو تكنولوجية ... ومهما كانت طبيعتها ونطاقها ، فالمكتبة ستكون متخصصة لهذا الغرض .

١٩٥٣ تجنبت كاترين كندر Katherine Kinder في تعريفها الحدود غير الواضحة في بيان شيرا السابق الإشارة إليه وقالت : تجمع المواد المكتبية وتنشأ خدمات المعلومات بحيث تكون احتياجات المؤسسة المتخصصة في الذهن ، وهذا العامل يصف المكتبات المتخصصة كنوع ، ولكنه أيضاً يميز مكتبة متخصصة عن غيرها من المكتبات المتخصصة .

١٩٥٥ قام فوسكت Foskett بالتمييز بين المكتبات العامة والجامعية وبين المكتبات المتخصصة بالنسبة للمؤسسة الأم ، فذهب إلى أن القراء في المكتبات الجامعية والعامة يقومون بأنفسهم بمتابعة احتياجاتهم ، وسياسة الجامعة أو السلطة المحلية هي تقديم الوسائل التي تعينهم على ذلك ، دون تنظيم هؤلاء القراء لمتابعة هدف مشترك ، أما المكتبات المتخصصة فهي تخدم مؤسسات ذات سياسة واضحة ومحددة بالنسبة لجماعة معينة .

١٩٦١ قام كروزاس Kruzas بتجميع المكتبات المتخصصة الأمريكية في خمس عشرة فئة بحيث تمثل هذه الفئات الهيئات الأم التي تنتمي إليها المكتبات المتخصصة ، أي أنه صنف المكتبات المتخصصة طبقاً للهيئات وليس طبقاً لموضوعات تخصصها .

١٩٦٢ لاحظت كيل Kyle أن اتجاهات الأمناء المتخصصين في اهتمامهم بالمعلومات أوجد طلبات عن المعلومات .

١٩٦٥ بدأ العديد من أمناء المكتبات المتخصصة يستنكرون التمييز بين المصطلحات الثلاثة التالية : مراكز التوثيق ـــ مراكز المعلومات ـــ المكتبات المتخصصة .... ولعل موهرهاردت[١٩] Mohrhardt قد أظهر صعوبة وضع الحدود الفاصلة بينها .... وتساءل متى يمكن لمؤسسة معينة أن تتوقف كمكتبة متخصصة وتصبح مركز توثيق أو معلومات ؟ إن الإجابة غير مؤكدة على ذلك .

١٩٧٦ قامت الباحثة ايخلمان Echelman بتخليق الاقتراحات السابقة بوضعها للخصائص الأربعة التالية التي تميز المكتبة المتخصصة :

أ ـــ تنظم تحت رعاية هيئة أُم تمدها بالميزانية اللازمة لتسييرها واستمرارها .

ب ـــ تقوم بمهمة الحصول على المعلومات أو المعرفة وتنظيمها ثم بثها من أجل ملاحقة أهداف الهيئة الأم .

جـ ـــ تجميع مجموعات مادية للمعلومات أو المعرفة أو / والآراء المتصلة بموضوع واحد أو مجموعة من الموضوعات أو شكل واحد أو عدة أشكال .

د ــ يقوم أمين مكتبة أو أحد المتخصصين في الموضوع (أو الموضوعات) أو الأشكال التي تغطيها المكتبة ، يقوم بإدارة المكتبة . وعلقت ايخلمان على هذه الخصائص الأربعة قائلة بأن الاثنتين الأولى والثانية تنسحب على جميع المكتبات المتخصصة ، وهناك بعض الاستثناءات عند تطبيق الخاصتين الثالثة والرابعة ....

وفي عام ١٩٧٦ أيضاً لاحظت الين كريستيانسون Elin Christianson أن مصطلح المكتبة المتخصصة له معنيان على الأقل طبقاً لتطور ذلك المفهوم ، أولهما المفهوم العام الذي ينسحب على الأشكال المختلفة للمكتبات أو المجموعات المتخصصة ، وثانيهما المفهوم المحدد الذي يدل على المكتبة التي تقدم خدمات المعلومات المتخصصة في التجارة والإدارة والصناعة والحكومة وغيرها .

ثالثاً : مستويات المكتبات المتخصصة وتحولها المعاصر إلى مراكز للمعلومات :

تشهد الثمانينات من هذا القرن اندماجاً بين المكتبة المتخصصة ومركز المعلومات ، سواء تمّ ذلك في أسماء الكتب الصادرة أو في محتوياتها تلك التي تعكس التطورات التكنولوجية وتطبيقاتها في المكتبات المتخصصة واهتمامها بخدمات المعلومات بالدرجة الأولى كمبرر لوجودها .

لقد أشار ماكينا[٢٠] Mckenna في أوائل الثمانينات إلى أن هناك مستويات خمسة في تطور المكتبات المتخصصة ، وقد أشار إلى أن هذه المستويات تزداد في درجة تعقدها وشمولها أي من أبسط المستويات إلى أكثرها تعقيداً ، وأن المكتبات المتخصصة المعاصرة يمكن أن توجد في أي واحد من المستويات التالية :

أ ــ مجموعات في موضوع متخصص : وهذا هو أدنى مستويات التعريف حيث تتميز المكتبة المتخصصة بموضوع (أو عدة موضوعات) متخصصة في مجموعاتها ، ولعل هذا المستوى كان سائداً في الخمسينات والستينات ولكنه أصبح تعريفاً ومستوى ساذجاً للمكتبة المتخصصة في السبعينات .

ب ــ مجموعة في موضوع أو شكل متخصص : وهذا المستوى يضيف إلى سابقه المواد والأوعية غير الكتبية كالخرائط والصور والقصاصات والوثائق الحكومية وبراءات الاختراع ومذكرات البحوث والتسجيلات الموسيقية والصوتية والمواد السمعية والبصرية والميكروفورم وبرامج الحاسبات .... الخ . ولكن المحتوى المعلوماتي نادراً ما يعتمد على شكل الاختزان .

جـ ــ مجموعة متخصصة منظمة لاستخدام مستفيدين متخصصين : وهذا المستوى أدخل المستفيد كجزء لا يتجزأ من المكتبة المتخصصة فضلاً عن ضرورة تنظيم المجموعة بحيث تستجيب لاحتياجات المستفيدين المتخصصين منها .

د ــ مجموعة متخصصة منظمة بطريقة تسمح بتوقع الخدمات المتخصصة المطلوبة من المستفيدين المتخصصين : وهنا يدخل عامل إجرائي مهم وهو توقع احتياجات المستفيدين بواسطة هيئة المكتبة المتخصصة .

هـ ــ خدمة متخصصة حول مجموعة متخصصة وذلك بغرض توقع ــ أو الاستجابة السريعة ــ للاحتياجات المتخصصة للمستفيدين المتخصصين : ويلاحظ في هذا التعريف استبدال الخدمة بالمجموعة ... وهذا التعريف لا يعني ببساطة أننا قد استبدلنا المجموعة الأساسية للمكتبة بالاتصالات الالكترونية وقواعد المعلومات ، ولكن هذا التعريف يؤكد على أنه ليس هناك مجموعة أياً كان حجمها ، يمكن أن تحتوي على جميع المواد المعلوماتية الضرورية ، أي أن هذا التعريف يعتبر المكتبة المتخصصة وحدة في شبكة المعلومات ، وأن حدود وحجم مجموعاتها هو بمقدار إمكانية وصولها الالكتروني أو الاتصالي لغيرها من المجموعات الداخلة في الشبكة ، ويلاحظ أيضاً أن الكلمات الإجرائية والمميزة في هذا التعريف هي (الاستجابة السريعة والفورية) .

وواضح أننا نتحدث عن مراكز معلومات ديناميكية خصوصاً في المستويين الأخيرين .

وإذا كان الإنتاج الفكري في الستينات وأوائل السبعينات قد حفل ببعض الكتب أو المقالات التي تميز بين المكتبة المتخصصة ومركز المعلومات في الدرجة الأولى في نوع الخدمات ، فالثمانينات ــ كما سبقت الإشارة ــ تشهد اندماجاً بين المؤسستين ، بل وتحول العديد من المكتبات المتخصصة إلى مراكز للمعلومات خصوصاً في الربط بين المركز (أو المكتبة المتخصصة قبل ذلك) ونطاق عمله ، كمركز معلومات الإدارة أو القانون أو الهندسة .... الخ .

ففي **الستينات** تناول موهرهاردت Mohrhart في بحثه السابق الإشارة إليه المؤسسات الثلاث : مركز التوثيق ــ ومركز المعلومات ــ والمكتبة المتخصصة ، وأوضح صعوبة التمييز بينها ، كما تناول الن ريس[٢١] الفروق بين مراكز المعلومات والمكتبات بصفة عامة .

وفي **السبعينات** ركز الباحثون على التكامل بين خدمات المكتبات المتخصصة ومراكز التوثيق والمعلومات ، ومرة أخرى إذا كان هناك فرق فهو في الدرجة والعمق وليس في نوع الخدمة . وقد قام وايزمان[٢٢] بإعداد جدول مقارن **لأنواع** مؤسسات خدمات

المعلومات (المكتبة المتخصصة / مركز التوثيق / مراكز الإحالة / مركز تبادل الوثائق / مركز خدمات المعلومات / مركز تحليل المعلومات) **ولأنواع** العمليات الفنية التي تتم في كل من هذه المؤسسات وذلك من ناحية الوظائف والخدمات والمنتجات ، وكان بحثه هذا محاولة لتقييم المكتبة المتخصصة أو مركز المعلومات طبقاً لهذه المعايير . أما في **الثمانينات** فسيشير الكاتب إلى ثلاثة كتب ظهرت في أوائل الثمانينات لجمعيتي المكتبات المتخصصة في كل من أمريكا وبريطانيا ، فالكتاب الأول لمؤلفته اليس مالونت[٢٣] وظهر التلاحم في عنوان الكتاب بين المكتبات المتخصصة ومراكز المعلومات ، بل وأشارت المؤلفة بوضوح (ص ١٤) إلى أن مصطلح المكتبة المتخصصة يعني في هذا الكتاب مركز المعلومات . ثم تستطرد المؤلفة (ص ١٦ ــ ١٧) فتقول : «تقوم المكتبة المتخصصة بخدمات غير معروفة في الأنواع الأخرى من المكتبات مثل ترجمة مقالات الدوريات الأجنبية وتهيئة خدمة الإحاطة الجارية الآلية للأفراد إلى جانب كتابة الأحاديث أو الخطب للمديرين ، هذا إلى جانب ما تتصف به خدمات المكتبات المتخصصة من الأداء المتميز في دقة التوقيت والسرعة والحرص الشديد في الحصول على المعلومات المطلوبة ، وفي مراكز المعلومات كثيراً ما يوجد خبراء معلومات مهرة يقومون بالتحليل النقدي للإنتاج الفكري مما يتطلب الخبرة الواسعة والتخصص الموضوعي بين العاملين في المكتبة ، ومن الخدمات المتاحة إعداد تقارير المواكبة **Stat of the Art** للتطورات الراهنة في أحد الحقول المعقدة ، وكذلك إعداد مستخلصات لمقالات الدوريات الأجنبية المتخصصة» .

وواضح مرة أخرى اهتمام المكتبات المتخصصة ومراكز المعلومات بالمواد غير التقليدية كالتقارير والمذكرات ، كما يقوم المركز (أو المكتبة المتخصصة) بالتحليل الأكثر عمقاً للمجالات الموضوعية فضلاً عن القيام بخدمات معلومات أكثر تقدماً وتعقداً ، نظراً للاستخدام الواسع للحاسب الآلي ، هذا وتقوم تلك المراكز (أو المكتبات التخصصة) بتجميع البيانات الخام عادة (عن أرقام المبيعات والإنتاج للشركات أو المعلومات الأولية الهندسية ... الخ) ويلاحظ مرة أخرى التركيز على الأعمال التحريرية العلمية بما في ذلك بحوث الإنتاج الفكري وتقويم البحوث وتحليقها .

ولعلنا في ختام هذا الاستعراض نشير إلى المميزات الخمسة للمكتبات المتخصصة كما حددها **الكتاب** الثاني الحديث[٢٤] لجمعية المكتبات المتخصصة الأمريكية نفسها .

١ ــ التركيز على تقديم المعلومات :

فالمستفيدون من معظم أنواع المكتبات الأخرى تقدم لهم الأدوات التي يجدون عن طريقها المعلومات ، وسواء وجد المستفيدون المعلومات المطلوبة أم لم يجدوها فهذه مشكلتهم هم ، وهناك من الأمناء من يزعم أن واجباته تتركز في بناء المجموعات ومع ذلك فعجز المستفيدين عن الحصول على مواد معينة أو فشلهم في الوصول إليها يعتبر مشكلة هؤلاء المستفيدين وليس مشكلة الأمين القائم ببناء المجموعات .

وهناك مكتبات تنشأ لأغراض جمالية أو لأغراض الترويح أو حتى لأغراض مظهرية ، وبالمقارنة مع هذا كله فوظيفة المكتبة المتخصصة عادة هي تقديم المعلومات لأغراض مباشرة ومنفعية في معظم الأحوال ، وتوفير هذه المعلومات أمر ضروري وأساسي مهما كان مصدره .

٢ ــ الأماكن غير التقليدية :

على الرغم من أن أمناء المكتبات الأكاديمية العامة ــ خصوصاً تلك التي تنظم على أساس مجموعات الأقسام ــ يعتبرون أنفسهم أمناء مكتبات متخصصة ، إلا أن أماكن وجودهم أماكن تقليدية ، أما مكتبات الإدارة والصناعة فهي قد توجد حيث لم يكن هناك تخطيط أو توقع لوجود مثل هذه المكتبات ، فقد توجد المكتبة مثلاً في الدور الأربعين من ناطحات السحاب أو في أحد أركان أحد أقسام البحوث أو غير ذلك .

٣ ــ العدد المحدود من المستفيدين :

تخدم المكتبات المتخصصة عادة عدداً محدوداً من المستفيدين وذلك نظراً لاعتبارات الأمن والسرية أو تبعاً للوائح التي تضعها بعض الشركات أو الهيئات التي تقصر الخدمة في هذه الحالة على منسوبيها وتحجبها عن سواهم ، ومن ثم فالمكتبة المتخصصة تعلم بالضرورة من الذين تقوم بخدمتهم أو على الأقل من هم المستفيدون المتوقع خدمتهم .

٤ ــ المجال الموضوعي المحدد :

المكتبات المتخصصة محدودة في المجال الموضوعي ، ومن ثم فمجموعات المكتبة ذات تخصص عميق عادة وإن كان محدوداً في المجال ، ومن غير المتوقع مثلاً أن تحتوي مجموعة المكتبة المتخصصة الهندسية على كتب في الشعر أو الفنون لتفيد منها رواد المكتبة نظراً لأن المكتبات العامة والأكاديمية تتيح لهم ذلك .

٥ ــ المجموعات الصغيرة :

مجموعات المكتبة المتخصصة صغيرة عادة ، فعدد المستفيدين منها ومجالها الموضوعي المحدد يؤدي ــ من ثم ــ إلى عدد قليل من المجموعات والأمناء العاملين ، فضلاً عن الحرص على الاختيار السليم في ظل ميزانية محدودة حيث تنظر المؤسسة للمكتبة على أنها وحدة لا بد أن تكون مربحة فيها ، هذا وهناك عدد كبير من المكتبات المتخصصة ، التي تتم إدارتها بواسطة واحد أو اثنين من الأمناء المهنيين فقط بالمقارنة بنظم المكتبات الأكاديمية والعامة التي قد تشمل أكثر من مائة أمين مهني متخصص .

ولعل هذين الكتابين اللذين أصدرتهما جمعية المكتبات المتخصصة الأمريكية (كتاب اليس ماونت وكتاب سترابل) يتكاملان في إعطاء صورة حديثة لتعريف المكتبة المتخصصة وتحويلها إلى مركز معلومات مع بيان بعض الفروق التي تحدث كانعكاس لمستوى الخدمة وليس للدلالة على التميز في أهدافها ونوعية هذه الخدمة .

وأخيراً فقد رأى الكاتب أن يشير إلى بعض محتويات كتاب الحقائق لجمعية أسلب البريطانية[٢٥] الذي صدر عام ١٩٨٢ ويضم هذا الكتاب خمسة عشر فصلاً منها ما يلي : إدارة المعلومات ــ تصميم وتخطيط النظم ــ بناء المجموعات ــ نظم العمليات الفنية المعتمدة على الحساب الآلي لغات التكشيف : خطط التصنيف والمكانز ــ بناء الملفات ــ استرجاع وبث المعلومات ــ خدمات استرجاع المعلومات المعتمدة على الحساب الآلي ــ بث المعلومات ــ شبكات المكتبات والمعلومات .

ويعتقد الكاتب أنه لو أراد أحد وضع عناصر كتاب عن علم المعلومات أو عن مراكز المعلومات المتطورة فلن يجد أفضل من هذه الفصول التي جاءت في كتاب «المكتبات المتخصصة وخدمات المعلومات» الذي أصدرته جمعية المكتبات المتخصصة ومكاتب المعلومات في بريطانيا ، وهي التي مزجت بين المعلومات والمكتبات المتخصصة منذ إنشائها عام ١٩٢٤ م ، وفي الولايات المتحدة فإن دليل المكتبات المتخصصة ومراكز المعلومات دليل واحد وهو :
Directory of Special Libraries and Information Centers.

رابعاً : الهيئات التي تمتلك مكتبات متخصصة واشتراك المتخصصين الموضوعيين في العمل بها[٢٦] :

يمكن أن تكون الهيئة الأم التي تمتلك المكتبة المتخصصة وزارة أو هيئة حكومية أو جمعية أو مؤسسة خاصة أو أية هيئة عامة أو مستشفى أو بنك أو شركة أو جمعية بحثية أو مجموعة من الشركات أو الصناعات ، والملاحظ أن هذه المكتبات المتخصصة التي توجد في هذه الهيئات ــ خصوصاً في الشركات الصناعية ــ تتحول إلى مراكز للمعلومات وذلك للاستجابة للاحتياجات والتطورات المعاصرة .

وتنشأ المكتبات المتخصصة في هذه المؤسسات للأسباب التالية :

١ ــ عدم إمكانية إفادة هذه المؤسسات من المكتبات العامة ، نظراً لأن المكتبات الأخرى لا تقدم العمق الكافي أو التغطية الشاملة للمعلومات المتخصصة ذات الأهمية للمؤسسة .

٢ ــ المكتبات العامة الأخرى لا تقدم للمؤسسات أيضاً المعلومات المطلوبة بالسرعة المطلوبة .

٣ ــ ضرورة وجود العلاقة الوثيقة بين موظفي المكتبة المتخصصة والمستفيدين منها من حيث معرفة الأمناء بأنشطة المستفيدين البحثية وهؤلاء عددهم قليل بالضرورة ، وليس كعدد المستفيدين من المكتبات العامة أو الجامعية .

أي أن خدمات المكتبات المتخصصة يجب أن توجه لخدمة هدف المؤسسة والأفراد العاملين بها ، كما أن المكتبات المتخصصة بالجمعيات تعمل على خدمة الأعضاء أساساً .

لقد نشأت المكتبات المتخصصة ــ في أحيان كثيرة ــ كمجموعات من الكتب والدوريات في المختبرات العلمية ، ومن ثم فقد تولى المتخصصون في هذه المختبرات تجميع وتنظيم هذه المجموعات ، كما أن هؤلاء المتخصصين قد عرفوا وقدروا تماماً أهمية الوصول السريع للمعلومات الحديثة في تطوير عملهم ، ومع نمو هذه المجموعات في مختلف المختبرات ، أصبح من اللازم تجميعها في مكان واحد وتنظيمها بطريقة رسمية ، ليفيد منها جميع المشتغلين في الهيئة ، وتولى إدارة هذه المكتبة المتخصصة الجديدة أو الوحدة الجديدة ، أحد أولئك المتخصصين الذين كانت لهم اهتمامات أكبر في تناول المجموعات وتنظيمها والخدمة فيها .... ثم أصبحت الهيئة تسعى بعد ذلك أحياناً إلى الاستعانة بأمناء مكتبات مدربين ، ومن ثم فقد كان نمو المكتبة المتخصصة بل ووجودها قد تم بطريقة عملية أو بناء على الاحتياجات التي اكتشفها العاملون فيها ، ثم جاءت فكرة أو مفهوم الدور النشط أو الإيجابي الذي يجب أن تقوم به المكتبة المتخصصة بالنسبة لبث المعلومات ونشرها وتوصيلها إلى المستفيدين منها .

خامساً : أهداف المكتبة المتخصصة ووظائفها :

خدمة المعلومات هي المبرر الأساسي لوجود المكتبة المتخصصة ، وإذا كانت الأنواع الأخرى من المكتبات ، يمكن أن تقوم بالتعليم أو الترويح أو البحث العلمي أو حتى بث الوعي الجمالي Aesthetic فإن الهدف الأساسي ــ ولعله الوحيد ــ للمكتبة المتخصصة هو

تقديم المعلومات بكفاءة لخدمة أهداف المؤسسة الأم ، وبطريقة أكثر اقتصادية أيضاً ، مما لو أمكن تقديمها بأي طريقة بديلة ، كما يجب على المكتبة المتخصصة أن تثبت للإدارة بالمؤسسة أنها تقوم بهذه الوظيفة ، وإذا لم تستطع أن تفعل ذلك فإن مصيرها إلى الذبول بل إلى الأفول[٢٧] .

وإذا كانت المكتبة المتخصصة تعتبر وحدة مربحة للمؤسسة التي تتبعها ، فإن ذلك يستدعي بالضرورة أن يكون لها عدة وظائف وواجبات[٢٨] ، حتى تعكس إسهامها في تحقيق أهداف المؤسسة وهي كما يلي :

١ ــ بناء مجموعات متوازنة من مختلف المواد التي تهم المؤسسة الأم : أي أن تقوم المكتبة بالاختيار الدقيق والسليم للأعمال المرجعية والكتب والدوريات وغيرها من المواد التي تخدم اهتمامات المؤسسة على أن تغطي هذه المواد اللغات التي تنشر بها مجالات الاهتمام ، وفي الولايات المتحدة وانجلترا تكون نسبة المطبوعات باللغات الأجنبية (غير الانجليزية) حوالي خُمُس مطبوعات المكتبة ، وذلك لأن معظم النشر يتم باللغة الانجليزية ، وتختلف هذه النسبة من غير شك في البلاد غير الناطقة باللغة الانجليزية . ومن المعروف أن اللغات الأخرى غير الانجليزية تتطلب خدمات الترجمة ، أما التغطية الشاملة المرجعية للموضوعات الرئيسية فتتحقق عن طريق المطبوعات الثانوية (الببليوجرافيات ، والمستخلصات ، والكشافات ... الخ) .

٢ ــ تجميع وتحليل كل أو معظم التقارير الفنية المتعلقة بنشاط المؤسسة بما في ذلك التقارير التي تعدها المؤسسة نفسها : إن التكاليف اللازمة لإعداد وإصدار هذه التقارير بالمؤسسة هي تكاليف عالية عادة ، وهذا ما يبرر تكشيف هذه التقارير وتحليلها في المكتبة المتخصصة ، للإفادة من المعلومات التي تحويها ، وعمق هذا التحليل والتكشيف يعتمد على درجة أهمية هذه التقارير التي تحويها ، وكذلك السرعة التي يجب أن تقدم بها هذه التحليلات .

هذا وتستطيع المكتبة المتخصصة أن تجمع وتكشف المواد ذات العلاقة بتاريخ المؤسسة الأم التي تتبعها المكتبة بدرجة أكثر شمولاً وفعالية من أية مؤسسة خارجية ، ومن المعروف أن معظم المؤسسات تصدر العديد من المطبوعات عن تاريخها ونشاطها في فترات مختلفة ، ولا تعطي الإدارة عادة مسئولية تجميع هذه المطبوعات والإفادة منها لشخص أو وحدة معينة داخل المؤسسة ، ومن ثم فكثير من هذه المطبوعات تفقد ويصعب الحصول عليها من أية هيئة خارجية ، ومن هنا تظهر أهمية المكتبة المتخصصة في تجميع مطبوعات المؤسسة في مختلف فترات تطور ونمو المؤسسة ، وعلى سبيل المثال فإن تسجيل التطور الزمني للأحداث المهمة في المؤسسة يتم بالاستعانة بهذه المطبوعات والرد على الأسئلة المختلفة التالية :

ــ متى كانت التغيرات الأولى في سياسة المؤسسة ؟

ــ متى افتتحت المباني الجديدة ؟

ــ ما هي المنتجات الأولى التي قامت الشركة بتسويقها ؟

ــ من هم الأفراد أو المديرون الذين تتابعوا على إدارة المؤسسة وأقسامها المختلفة ؟

هذه وغيرها كثير من الموضوعات والتواريخ التي تصبح في وقت معين ذات أهمية قصوى بالنسبة للمؤسسة . وهي ذات أهمية من غير شك لأي باحث يوكل إليه أمر كتابة تاريخ المؤسسة ، كما ينبغي على المكتبة أن تقوم أيضاً بتجميع مجموعات من الصور والوثائق المؤقتة . (Ephemeral Publications) وذلك للاستعانة بها في عمليات الدعاية أو النشر عن الشركة .

٣ ــ خدمة رواد ومستفيدين آخرين : الباحثون هم الفئة التي تخدمها المكتبة بالدرجة الأولى ، ولكن المكتبة المتخصصة تخدم كذلك العديد من المهنيين داخل المؤسسة مثل المديرين ورؤساء الأقسام ، وهؤلاء هم الذين يقررون الميزانية ومستويات الإنفاق ، وهناك صعوبة لخدمة هؤلاء المديرين نظراً لأن احتياجاتهم لا تقع ضمن المجموعات المحددة في المكتبة المتخصصة ، فقد يحتاجون إلى معلومات عن الإنتاج أو عن الدعاية أو المبيعات أو المحاسبات ، أو حتى إدارة الأفراد ، وهذه تختلف في شكلها عن المعلومات الموجودة عادة في مجموعات المكتبة المتخصصة .

٤ ــ خدمة احتياجات البحث والتنمية وتوفير وقت الباحث : تتركز معظم خدمات وأنشطة المكتبات المتخصصة ، شأنها في ذلك شأن المكتبات الأكاديمية ، في دعم البحوث والتنمية بالمؤسسة ، ذلك لأن الباحثين يعتمدون في نشاطهم العلمي على المختبر والإنتاج الفكري ، وإذا كان من العسير أن يقوم أحد بعمل الباحث في المختبر ، فإن عمله في البحث عن الإنتاج الفكري يمكن أن يقوم به الأمين ، ومن المعروف أنه من الأسرع والأرخص أن نجد نتائج التجارب في الإنتاج الفكري من أن نصل إليها في المختبر ، والباحثون يعتمدون على الإنتاج الفكري ومصادر المعلومات حتى لا يقوموا ببحوث مكررة قام بها آخرون في مكان ما من العالم .

ومعنى ذلك أن عمل ونشاط المكتبة المتخصصة يتركز في توفير الوقت الذي يقضيه الباحثون في المكتبة ، وهذا العمل هو الذي يبرر الميزانية التي تنفق عليها ، ولكن ينبغي ألا يغيب عن ذهننا أن نسبة الوقت الذي يقضيه الأمناء في بحث الإنتاج الفكري ، يجب أن يتخذ موقف الحل الوسط بين عاملين متعارضين ، أولهما : هو قيمة

الوقت الذي تم توفيره ، وثانيهما : القيمة المكتسبة بواسطة الباحث عند اتصاله المباشر بالإنتاج الفكري بنفسه . ولقد أثبتت التجربة أنه من المربح للمؤسسة الأم أن يقوم الأمناء بمعظم بحث الإنتاج الفكري (بين ثلثين إلى ثلاثة أرباع البحث يكون بواسطة الأمناء ومختصي المعلومات بالمكتبة المتخصصة) وإذا ما تم ذلك فمن الممكن الوصول إلى توفير ما بين نصف إلى ثلثي التكاليف الكلية لبحث الإنتاج الفكري في المؤسسة ، ونظراً لأن جزءاً من بحث الإنتاج الفكري لا بد أن يتم بواسطة الباحثين والتكنولوجيين أنفسهم فعلى المكتبة المتخصصة أن تقوم بتدريبهم وتعريفهم بمصادر المعلومات وكيفية الإفادة القصوى منها .

هذا وخدمات الاستفسارات من المكتبة المتخصصة تكون عادة أكثر تطوراً في هذا النوع من المكتبات . وعلى سبيل المثال تستحوذ خدمات إجابة الاستفسارات بالهاتف على جزء كبير من أنشطة المكتبة ، ومن ثم فهي توفر على الباحثين مشقة الحضور إلى المكتبة ، أي أن المكتبة تقلل من عدم الانقطاع المستمر لعمل الباحث المستمر ، وتضمن المؤسسة بذلك عدم تعطلهم أو توقفهم عن أبحاثهم .

٥ ــ خدمات المراجع والمعلومات : تقدم المكتبة المتخصصة نوعين أساسيين من خدمات المعلومات ، والنوع الأول يكون استجابة لطلبات محددة عن المعلومات ، ويتضمن هذا النوع خدمات مرجعية وبحثية ، أما النوع الثاني فهو خدمة معلومات يتم فيها توقع احتياجات المستفيدين ، وتصمم هذه الخدمات لإحاطة المستفيدين بالحديث والجاري من المعلومات التي تهمهم ، وكل وظائف المكتبة الأخرى (كالتزويد والفهرسة والتصنيف والتكشيف .... الخ) تدعم خدمات المعلومات هذه .

أما بالنسبة لخدمات المراجع وهي جزء من خدمات المعلومات أيضاً فهي ذات نطاق واسع ، إذ تتراوح من مجرد الإجابة على الأسئلة المرجعية البسيطة إلى القيام بالبحث المعقد وبحوث الإنتاج الفكري ، وهذه الأخيرة قد تكون شاملة أو محددة بزمن أو لغة أو معيار آخر ، وقد يكون نتاج البحث قائمة ببليوجرافية ، ولكن النتاج في الغالب هو معلومات يتم تفسيرها في مذكرة أو تقرير[٢٩] .. ويفضل عادة أن يقوم الأمناء بهذا العمل نيابة عن الباحثين ، لأن الأمناء أكثر منهم دراية عادة بمصادر المعلومات والإفادة منها بدرجة مؤثرة . فهذا النشاط بالنسبة لهم هو عملهم الأساسي ، ولكن هذا النشاط بالنسبة للباحثين هو عمل جانبي ومساند لواجباتهم ووظائفهم الرئيسية ، وخلاصة هذا كله أن الأمناء ومتخصصي المعلومات القادرين على القيام بخدمات المعلومات المتنوعة يوفرون قدراً كبيراً من المال خصوصاً عندما تكون التجارب المعملية واستخدام الأجهزة المرتفعة التكاليف هي التي تشغل نشاط عمل الباحثين .

٦ ــ خدمة الإحاطة الجارية وخدمة البث الانتقائي للمعلومات :

وهذه خدمات أكثر تخصصاً وتحديداً من خدمات المراجع ، كما أن خدمة الإحاطة الجارية تشمل نطاقاً عريضاً من الأنشطة ، إذ قد تفصّل على المستفيد كفرد وقد توجه للمؤسسة كلها ... كما قد لا تقتصر هذه الخدمة على المؤسسة وحدها ، بل تمتد وتبث إلى مكتبات متخصصة خارج الهيئة الأم . هذا وتمرير الدوريات على المستفيدين يعتبر أكثر الوظائف الشائعة للمكتبة المتخصصة ، ويتم ذلك بعد قيام المكتبة بعمل مسح للتعرف على الدوريات التي يريد المستفيدون الاطلاع على محتوياتها بطريقة منتظمة ، وهناك النشرات الإخبارية ونشرات الإضافات ، وهذه الأخيرة قد تكون قائمة بسيطة للمواد الجديدة ، وقد تحتوي على حواش أو مستخلصات ، كما قد تصدر هذه النشرات على هيئة مستخلصات موضوعية ، حيث تضع المصادر المختلفة من كتب ومقالات ونشرات وتقارير .... الخ تحت رؤوس موضوعات تعكس اهتمامات المؤسسة ، وهناك بعض المكتبات المتخصصة التي تقوم بإعداد الكشافات لتغطية الدوريات غير المكشفة في الدوريات الثانوية المشهورة .

أما البث الانتقائي للمعلومات ، فهو خدمة إحاطة جارية ولكنها أكثر تعقيداً ، وهنا لابد من مضاهاة السمات Profiles أو الاهتمامات الخاصة بكل مستفيد على المعلومات الواردة للمكتبة ، ويستخدم الحاسب الآلي في إعداد هذه الخدمة ، كما تقوم بعض المكتبات المتخصصة بالاتصال بقواعد البيانات للقيام بهذه الخدمة ولو في مراحلها الأولى ، وفي الواقع فإن المكتبة المتخصصة لا تقوم بتكشيف واسترجاع المعلومات لاهتمامها ((بموضوع)) الوثيقة ، ولكنها تهتم بما تقوله هذه الوثيقة عن هذا الموضوع What it says about that subject وارتباطه بسمات المستفيدين ، هذا والمكتبة العادية يمكن أن تنظم المواد بدرجة كافية للمستفيدين عن طريق التصنيف وطبقاً للموضوعات العامة ، وهناك حاجة قليلة للتكشيف في المكتبة العادية ، ولكن الأمر يختلف في المكتبة المتخصصة التي تحتاج كثيراً إلى التكشيف حسب الرسالة Mission مستخدمة المفاهيم التي يستعملها ويتداولها المستفيدون بالمؤسسة .

وتضيف ستراوس وغيرها من الباحثين[٣٠] إلى الأهداف والوظائف السابقة وظيفة التصوير ووظيفة الترجمة من اللغات الأجنبية إلى اللغات المحلية أو التي يقرأها الباحث ، فضلاً عن وظيفة

العلاقات العامة وهندسة الرضا بين المستفيدين والمكتبة ، وقد يستدعي ذلك إعداد كتيبات عن المكتبة وما تقدمه من خدمات أو إقامة معارض حسب المناسبات العلمية أو الاجتماعية المختلفة مبرزة أنشطتها المعلوماتية المتعلقة بالموضوع ، فضلاً عن التعاون والاتصال بالمصادر المهنية الأخرى ، فلم تعد المكتبات المتخصصة تعيش في عزلة عن المكتبات ومراكز المعلومات الأخرى ، بل دخلت في مختلف أنواع الشبكات خصوصاً الشبكات الوطنية للمعلومات[٣١] .

سادساً : ملاحظات ختامية :

لقد لاحظنا عند دراستنا لوظائف المكتبة المتخصصة وواجباتها أن كلمة معلومات قد استخدمت بكثرة ، ذلك لأن اهتمامات المكتبة المتخصصة قد انتقل من مجرد وصف طبيعة الوثيقة إلى التعريف بالمعلومات التي تحتويها هذه الوثيقة . هذا ومصطلح اختزان واسترجاع المعلومات ، قد استخدم في البداية مع تطبيقات الحاسبات الآلية في المكتبات ، ثم انتشر متزامناً مع مصطلح تفجر المعلومات ، ولكن اختزان واسترجاع المعلومات لا يقتصر على استخدامات الحاسب الآلي ، ذلك لأن المكتبة المتخصصة تقوم أحياناً بأنشطة اختزان واسترجاع المعلومات بالطرق اليدوية أيضاً .. وتم ذلك لوقت قريب ، ولعل هذا الخطأ يعود إلى التصور التقليدي بأن مهمة المكتبة تقتصر على معالجة الكتب والمواد المماثلة ووضعها على الرفوف وليس استرجاع المعلومات وبثها ونشرها السريع بين المستفيدين .

وعلى كل حال فهناك مستويات وظيفية ثلاثة لخدمات المكتبة المتخصصة : **وفي أدنى مستوى** لخدمة المعلومات يقوم الأمين ببث المعلومات والمواد ، وبالإجابة على الأسئلة المرجعية وبتوجيه المستفيدين الذين يحتاجون لمعلومات بحثية تفصيلية إلى المصادر الممكنة ، كما يقوم الأمين في هذا المستوى أيضاً بخدمة إحاطة جارية بسيطة كتمرير اللدوريات . **وفي المستوى المتوسط** يضيف الأمين المتخصص بحث الإنتاج الفكري وإعداد الببليوجرافيات واختيار وبث المواد البحثية ، كما يقوم بخدمة إحاطة جارية إضافية كنشرات الإضافات ، أما في **أعلى مستويات الخدمة** ، فإن أمين المكتبة المتخصصة سيكون هو نفسه المستخدم الأساسي للمكتبة ، ويستبدل الأنشطة السابقة بنشاط على مستوى أعلى يتمثل في تحليق وتقييم المعلومات وإعداد التقارير المكتوبة والببليوجرافيات النقدية وبحوث الإنتاج الفكري الشاملة فضلاً عن خدمات الإحاطة الجارية الأكثر تعقيداً مثل نظم البث الانتقائي للمعلومات .

ولعل مفهوم مركز المعلومات المتطور أن يتمثل بطريقة واضحة في المستوى العالي الأخير لخدمة المعلومات ، والمكتبة المتخصصة تقوم بهذه المستويات الثلاثة طبقاً لاحتياجات روادها ... وهدفها دائماً أن تعمل على المستوى الأعلى وهو مستوى مراكز المعلومات المتطورة ، كما تدور توقعات الثمانينات بأن يتحول أمين المكتبة المتخصصة إلى مدير أو مستشار للمعلومات[٣٢] .

الهوامش

(I) Predeek, **A History of Libraries in Great Britian and North America.** (Chicago : American library Association, 1947), P. 60.

(٢) انظر المرجعين التاليين على وجه الخصوص :

- Carter, M.D. ''Special libraries in the Near East''. **Special Libraries** XIII (Sep. 1951). P.245.
- Johnson, E.D. **''A History of libraries in the Western World.** Metuchen, New Jersey : Scarecrow Press, 1965. P. 26-34.

التبادل بين المكتبات العربية

من أجل اتفاقية عربية لتبادل الوثائق

محمود بوعياد

مدير المكتبة الوطنية الجزائرية

إن التبادل بالمطبوعات وغيرها من أوعية المعلومات بين المكتبات ، أصبح في العقود الأخيرة مورداً له بالغ الأهمية في إغناء مجموعات المكتبات الكبرى في العالم مثل المكتبات الوطنية ، ومكتبات الجامعات ، والمكتبات المتخصصة ، وأحيانا حتى المكتبات العامة ذات الحجم الكبير ، إذ إن كثيرا من المطبوعات تُقدر بعدة ملايين سنويا ، تنتقل من قطر إلى قطر ، ومن مكتبة إلى مكتبة عن طريق التبادل ، وخاصة منها ما يحمل صبغة رسمية أو علمية ، وكلما ازدادت حاجة الدول النامية لترقية اقتصادها ومواكبة العصر ، تجد أنها تحتاج إلى مجموعات أكبر من المؤلفات العلمية الصادرة في مختلف أنحاء العالم ، ومن ثم إلى توسيع نطاق التبادل ، أو إقامته إن لم يكن موجودا ، مع المكتبات والمؤسسات العلمية في الدول المختلفة . وقد أتاحت هذه الطريقة في الاقتناء لأكبر المكتبات في هذه الدول ، أن تتجاوز مشكلة العملة التي طالما تلاشت أحلام المكتبيين في إثراء مجموعاتهم بسببها .

وقد سهّل عملية التبادل هذه استخدام وسائل التصغير وإنشاء أجهزة قراءة الأفلام والبطاقات المصغّرة ، مما جعل المطبوعات النادرة والمنشورة بنسخ قليلة متوفرة لدى الأطراف المتبادلة أولا ، ثم العلماء والباحثين ، ولهذا رأينا من المفيد قبل الكلام عن تنظيم التبادل بين المكتبات العربية ، أن نقدم محاولة تعريف للتبادل موجّه بالدرجة الأولى إلى غير الاختصاصيين ، وكذلك نبذة تاريخية تلقي بعض الأضواء على هذه الوسيلة الجديدة للاقتناء بالنسبة لأغلبية المكتبات العربية ، وتبينّ لنا المراحل التي مرّ بها التبادل ، وكيف وصل إلى ما وصل إليه الآن ، لكي نستفيد من تجربة الذين سبقونا في هذا المجال ، ثم نتكلم عن تنظيم التبادل في المكتبات ، ونتعرض لتجربة المكتبة الوطنية الجزائرية في التبادل منذ الاستقلال إلى الآن ، ومدى إغنائه لمجموعات المكتبة ودوره في التعريف بالجزائر والإنتاج الفكري الوطني الجزائري ، لكي نصل إلى النهاية ، أي إلى أهمية التبادل وإمكانية تنظيمه بين المكتبات العربية .

ما هو التبادل ؟

إن التبادل هو أن تتبادل مؤسستان علميتان أو دولتان ، الوثائق المطبوعة والمرئية والمسموعة المتوفرة لدى كل منهما كالرسائل الجامعية ، والكتب ، وأعداد الدوريات ، والمطّبوعات والوثائق الحكومية ، والمصغّرات ، والأسطوانات وغيرها من التسجيلات ، على أن يكون هذا التبادل بدون مقابل مالي . غير أن التبادل لم يُطبق إلا نادرا على الوثائق السمعية والمرئية . وتدخل هذه العملية في نطاق التعاون العلمي والثقافي العالمي ، كما يعتبر أداة اتصال وتقارب بين الشعوب . وبفضل التبادل تحصل المكتبات على وثائق لا تتمكن في الغالب من أن تحصل عليها بواسطة الشراء أو الاشتراك ، كما يمكّن التبادل هذه المؤسسات العلمية من التعريف بالإنتاج الفكري الوطني .

ومن أجل كل هذا أولت المنظمات الدولية ذات الأهداف السياسية منها كعصبة الأمم بين الحربين العالميتين ، ثم بعدها هيئة الأمم المتحدة ، وجامعة الدول العربية ، والمؤسسات ذات الأهداف العلمية والثقافة كاليونسكو ، اهتماما كبيرا لتعميم تبادل المنشورات في جميع القارات .

التبادل في الماضي

لم تحدثنا كتب التاريخ والموسوعات الأدبية عن ممارسة التبادل بين المكتبات العربية سواء في المشرق أو في المغرب خلال العصر الذهبي للحضارة الإسلامية . وأول حديث عن التبادل في العالم يعود إلى العصر الوسيط حيث كانت بعض المكتبات في أوروبا آنذاك ، تتبادل المخطوطات ، ولكن التبادل لمَ يتسع نطاقه ، ولم يأخذ شكلا منظما ، إلا بعد ذلك بقرون .

فبعد أن أحدثت الطباعة بالحروف المتحركة الثورة المعروفة في عالم النشر ، وتقدمت بفضلها العلوم في عصر النهضة وما يليه ، أصبحت الرسائل الجامعية تحظى باهتمامات خاصة ، مما زاد عدد المطبوعات المخصصة للتبادل من هذا النوع .

وقد بدأ التبادل يأخذ شكلا منظما في القرن الثامن عشر إذ شرعت الاكاديميات والجامعات الأوروبية في تبادل الكتب العلمية ولكن على نطاق ضيق .

وفي أوائل القرن التاسع عشر نظم التبادل أكثر فأكثر ، وهذا بمبادرة من جامعة ماربورغ في ألمانيا (MARBROUG) إذ أسست

((**الجمعية الأكاديمية للتبادل**)) في عام ١٨١٧ م وهي جمعية ألمانية تحمل اسم AKADEMISCHER TAUSHVEREJN .

وكان عدد الجامعات التي انضمت إليها في البداية ١٧ جامعة ، وارتفع في عام ١٨٨٢ م إلى ٦٨ جامعة ، وفي عام ١٨٨٢ م شكلت ١٨ جامعة فرنسية بدورها ((**القسم الفرنسي للتبادل الجامعي**)) . وآنذاك انتهى نشاط الجمعية الألمانية التي كان لها فضل السبق إذ إن بعض أعضائها لم يتمكنوا من مسايرة تزايد عدد النسخ المخصصة للتبادل .

ويدين تطور التبادل المنظم لمبادرة فردية من باحثين أوروبيين هما الفرنسي الكسندر فاتمار (ALEXANDRE VATTEMARE) والانكليزي جيمس سميثون (JAMES SMITHSON) . فقد أوجد هذان الباحثان أشكالا جديدة للتبادل ، وهي التبادل بالنسخ المكررة ، والتبادل بالمطبوعات الرسمية ، أسس فاتمار ((في باريز)) ((**وكالة مركزية دولية للتبادل العالمي**)) إذ بنى فكرته الأساسية على تبادل المطبوعات المكررة التي وجدها في مكتبات أوروبا ، وأصبحت وكالته مركزا للتبادل بين عدد كبير من دول اوروبا والولايات المتحدة الأمريكية . وكان له الفضل في تبادل عدد كبير من المطبوعات منذ عام ١٨٤٠ م الى ١٨٥٠ م ، كما عرض ((فاتمار)) على الكونغرس الأمريكي خطة للتبادل العالمي عن طريق النسخ المكررة الموجودة في المكتبات ، مما جعل من مكتبة الكونغرس وكالة مركزية للولايات المتحدة الأمريكية . وهذا بعد أن سمح الكونغرس الأمريكي لمكتبته في عام ١٨٤٠ م بتبادل النسخ المكررة . وبناء على هذا الترخيص خصصت المكتبة ٥٠ نسخة من الوثائق الرسمية للتبادل العالمي .

أما جيمس سميثون فلم يكرس نشاطه كله لتبادل المطبوعات ، ومع ذلك ترك بعد وفاته مبالغ ضخمة من المال سمحت بإنشاء ((**مؤسسة سميثونيان**)) (SMISTHSONIAN INSTITUTION) في واشنطن في عام ١٨٤٦ م وبدأت هذه المؤسسة منذ ١٨٤٩ م بتبادل المطبوعات لمؤسسات أمريكية أخرى ، وقد فتحت في عدد من البلدان بعض الوكالات لتوزيع هذه المطبوعات ، وكانت فكرة إنشاء هذه الوكالات التي لعبت دورا في نقل الوثائق ، هي التي فتحت الطريق لإيجاد مكاتب التبادل في عدة بلدان ، وبعد أن كانت هذه المكاتب تابعة **لمؤسسة سميثونيان** أصبح لها استقلال ذاتي ، واتفقت فيها بينهما على كل ما هو خاص بالتبادل مثل حق الاستيراد ، وتكاليف النقل ، ونوع المطبوعات المخصصة للتبادل .

وقد تمكن الاختصاصيون بفضل المؤتمرات الدولية المتتالية من مناقشة وسائل تنمية تبادل المطبوعات ، إذ سجلت اتفاقيات بروكسل عام ١٨٨٦ م تقدما ملحوظا في المجال ، وجاءت بفكرة مبتكرة وهي لامركزية التبادل ، فقد أصبح بإمكان كل مؤسسة من شبكة المؤسسات التي تقوم بالتبادل أن تتبادل مع غيرها ، من دون المرور بمؤسسة رئيسية كان لها وحدها الحق في التبادل من قبل .

ولكن هذه الاتفاقيات لم تحقق كل الآمال المرجوة ، فحاولت ((عصبة الأمم)) بين الحربين العالميتين تلافي النقائص الموجودة في هذه الاتفاقيات ، ثم تلتها اليونسكو في عام ١٩٥٨ م ، وأبرمت اتفاقيات دولية أخرى بعد سنة ١٨٨٦ م ، نذكر منها على الخصوص اتفاقيات مكسيكو (١٩٠٢ م) وبونيوس آيرس (١٩٣٦ م) وجامعة الدول العربية (١٩٤٥ م) .

وهناك أيضا اتفاقيات ثنائية عديدة تدخل في نطاق التبادل الثقافي بين دولتين ، فينص مثلاً الاتفاق المبرم بين دولتين على أن تتبادل المكتبتان الوطنيتان للبلدين المطبوعات أو على تعزيز تبادل المطبوعات بين المؤسسات الثقافية المختصة . ونادرا ما يبرم اتفاق مخصص لتبادل المطبوعات بين دولتين وإنما يكون ذلك في إطار التبادل الثقافي عامة . وقد أصبحت اتفاقيتا اليونسكو للتبادل اللتان وافق عليهما مجموع الأعضاء في عام ١٩٥٨ م ، الإطار العام للتبادل الجاري حاليا بين المؤسسات العلمية والدول . فالأولى منهما خاصة بتبادل المطبوعات بشكل عام ، والثانية خاصة بتبادل المطبوعات الرسمية والوثائق الحكومية ، وقد تركت هاتان الاتفاقيتان الحرية لكل دولة أن تبرم اتفاقا ثنائيا مع دولة أخرى ، تحدد فيه التفاصيل التي تلائم كلاً منهما ، وتلائم الظروف الخاصة بكل بلد ، والنظام السياسي والإدارى المطبق فيه . وصادقت على هاتين الاتفاقيتين أكثر دول العالم ومنها بعض الأقطار العربية .

وظلت المنظمات الدولية مثل ((**الفدرالية الدولية لجمعيات المكتبات والمؤسسات**)) وبعض الملتقيات الإقليمية تدرس وتطور وتحل المشكلات التي قد تقف عقبة في سبيل تطبيق هاتين الاتفاقيتين أو في طريق سير التبادل .

تنظيم التبادل

لجأت بعض الدول إلى تنظيم التبادل ، وذلك بإنشاء مركز وطني موحد للتبادل . ومع أن المكتبات والمؤسسات العلمية ظلت تتمتع بحق عقد اتفاقيات مباشرة مع نظيراتها في الخارج ، إلا أن وجود هذه المراكز الوطنية سهل الاتصال بين المؤسسات الراغبة في التبادل .

ويختلف تنظيم قسم التبادل من مكتبة إلى أخرى ، ومن بلد إلى آخر حسب حجم القسم وإمكانياته البشرية والمادية والأهداف التي يترجّاها . وسنتعرض للخطوط العريضة لتنظيم التبادل .

تعقد الاتفاقيات الثنائية للتبادل غالبا بين المكتبات ذات

الاختصاص الواحد أو النوع الواحد ، فتتبادل المكتبة الجامعية مع المكتبة الجامعية ، والمكتبة المتخصصة مع نظيرتها . إلا أن بعض المكتبات الكبرى وخاصة منها المكتبات الوطنية وبعض المكتبات التابعة لجامعات كبيرة ، لا تقتصر على التبادل مع نظيراتها ، بل تحاول ممارسته مع مكتبات متنوعة الاختصاص والرصيد .

تبدأ الخطوة الأولى باختيار الأطراف التي سيتم التبادل معها ويكون ذلك إما بمبادرة من المكتبة نفسها ، أو استجابة لطلب مؤسسة أجنبية ، كما يكون نتيجة اتفاق بين دولتين أو مركزين وطنيين . ثم تعد قوائم سنوية أو فصلية ، تذكر فيها المطبوعات المخصصة للتبادل ، والتي كما سنرى تختلف من مكتبة لأخرى . وتعتمد أغلبها على النسخ المكررة .

وتحرص بعض المكتبات على التوازن فيما ترسل ، وما تستلم من مطبوعات وغيرها من أوعية المعلومات ، فتؤكد مثلا على تسلم قطعة مقابل قطعة (كتاب بكتاب ، دورية بدورية ، أسطوانة بأسطوانة) كما تراعى القيمة المالية للقطعة ، ولكن بعض المكتبات الأخرى لا تعير أهمية لهذا التوازن ، وخاصة منها مكتبات البلدان الاشتراكية وبعض البلدان العربية لأنها تريد أن تعرف بالإنتاج الفكري للبلد ، إذ قد يتعذر على الطرف الثاني الحصول على هذا الإنتاج بطرق أخرى .

وتختلف الوثائق المعدة للتبادل باختلاف المكتبات حسب نوع الاختصاص ، وحسب إمكانيات المؤسسة . فالمكتبات الجامعية تتوفر فيها الرسائل الجامعية ومطبوعات الجامعة كالدوريات العلمية والأبحاث وبعض الكتب ، وإن كان يتعذر أحيانا أن توجد فيها نسخ كثيرة من الرسائل الجامعية إلا أن الاستنساخ يمكن حاليا من تذليل هذه العقبة .

والمكتبات المتخصصة على منوال المكتبات الجامعية تخصص للتبادل ، الرسائل الجامعية والأبحاث التي يقوم الاختصاصيون والباحثون التابعون للمؤسسة بإعدادها والتي تنشر على شكل كتب أو كتيبات أو على شكل مقالات ، وازداد في السنوات الأخيرة تبادل المعلومات عن طريق الحاسوب بين المكتبات ومراكز المعلومات وخاصة فيما بين مثل هذه المؤسسات في البلدان المتقدمة . إلا أن هذا النوع من التبادل يخضع لاتفاقيات خاصة .

أما المكتبات الوطنية فتعتمد أساسا على كتب الإيداع القانوني بما فيها المطبوعات والوثائق الحكومية المودعة بها ، كما أن المكتبات التابعة للمجالس الوطنية والدوائر الحكومية كرئاسة الحكومات ، والوزارات مثلا ، ومدارس الإدارة تعتمد في التبادل على المطبوعات والوثائق الرسمية . وهناك مكتبات تشتري عددا من النسخ من الكتب المنشورة في البلد أو تحصل عليها على سبيل الإهداء ، فتدرجها في قوائم الكتب المعروضة للتبادل . وإذا كانت المؤسسة نفسها تقوم بنشر الكتب فهي تخصص منشوراتها أيضا للتبادل .

تجربة المكتبة الوطنية الجزائرية :

واستكمالا للفائدة أريد أن أعرض فيما يلي تجربة المكتبة الوطنية الجزائرية في هذا المجال ، وخاصة أني أشرفت على إنشاء هذا القسم الذي يعتبر حاليا من أهم الأقسام في المكتبة وأنشطها ، وتتبعت تطوره عن كثب من يوم أسس إلى يومنا .

وينبغي أن نشير باديء ذي بدء إلى أن مكتبة جامعة الجزائر كانت تمارس التبادل وحدها يوم استقلت البلاد ، وذلك لأنها كانت مدرجة أيام الاحتلال الأجنبي ، ضمن شبكة المكتبات الجامعية الفرنسية التي كانت تتبادل فيما بينهما الرسائل الجامعية . وقد واصلت المكتبة هذا التبادل ووسعته على مرّ السنين إلى عدد من الجامعات العربية والأجنبية مع عدم الاقتصار على الرسائل الجامعية .

أما المكتبة الوطنية فإنها شرعت في ممارسة التبادل غداة استقلال البلد ونهاية حرب تحرير طويلة ومريرة ، احتلت صدارة الأنباء العالمية مدة سنوات ، مما أدّى بعدة مكتبات في البلدان المصنعة إلى أن تهتم بالبلد وبإنتاجه الفكري ، وتطلب إقامة صلات تبادل مع المكتبة الوطنية الجزائرية . وبادرت أحيانا المكتبة إلى إقامة هذه العلاقات مع الدول الشقيقة من العالم العربي والإسلامي والدول الصديقة في افريقيا وآسيا وأمريكا الوسطى والجنوبية ، لأنها كانت تدرك أن تبادل المطبوعات هو عامل إيجابي في التعاون الفكري والعلمي . وتعامل قسم التبادل في المكتبة منذ البداية بجد ملحوظ مع كل الأطراف التي مارس التبادل معها .

وكانت الاتصالات مباشرة مع أغلب المكتبات . أما الأخرى فأقامت معها المكتبة علاقات تبادل طبقا للاتفاقيات الثقافية التي أبرمتها الجزائر مع الدول التي تنتمي إليها هذه المكتبات ، وأمام اتساع نشاط قسم التبادل ، انقسم بعد سنوات من الممارسة إلى مصلحتين ، مصلحة تتعامل مع المكتبات والجامعات في الوطن العربي ، ومصلحة ثانية مهتمة بالمكتبات الموجودة بباقي أنحاء العالم . وقد بلغ عدد المؤسسات التي تتعامل معها من مكتبات وطنية ومكتبات جامعية ومتخصصة وجمعيات علمية وثقافية ١٩٧ مؤسسة منها ٦٠ موزعة على أقطار الوطن العربي ، وفي مقدمتها المكتبات الوطنية والمكتبات الجامعية المشهورة .

وتُعد المكتبة الوطنية في كل عام ثلاث قوائم بالمطبوعات المخصصة للتبادل ، الأولى خاصة بالمؤلفات المكتوبة باللغة الوطنية ، والثانية

بالمؤلفات المكتوبة باللغات الأجنبية ، وتدرج في الثالثة منشورات المكتبة الوطنية كلها . وقد بلغ عدد هذه المنشورات ٢٣ عنوانا موزعة على سلاسل مختلفة لقي أكثرها وخاصة منها كتب التراث الوطني إقبالا كبيرا لدى المؤسسات العلمية والجمهور المثقف داخل القطر وخارجه ، وتضاف إلى هذه القائمة عناوين دوريات علمية وثقافية وطنية معروضة بصفة دائمة للتبادل ، وهذا بالإضافة إلى ((**البيبليوغرافيا الجزائرية**)) وهي نصف سنوية تصدرها المكتبة الوطنية بانتظام منذ سنة ١٩٦٤ م ، وترسل هذه القوائم كلها مجتمعة في أول كل سنة .

وتحرص المكتبة الوطنية على بعض التوازن في إعداد قائمة الكتب المعروضة للتبادل ، فيراعى فيها تنوع المواضيع مع التركيز على كتب التراث الوطني ، والدراسات الخاصة بالجزائر . وهذا النوع الذي تحرص الأطراف المتبادل معها على اقتنائها . كما يراعى في القوائم تنوع مصادر المطبوعات ، فبعضها مما يرد إلى الإيداع القانوني ، ومن المعروف أن الجزائر تعتبر من العالم الثالث من البلدان القليلة التي تطبق بصفة مرضية قانون الإيداع ، كما تضم القائمة مطبوعات ووثائق حكومية واردة من مختلف الوزارات والإدارات ، وتدرج أيضا في القائمة الكتب المكررة لدى المكتبة . أما النوع الأخير وهو في نظرنا وفي نظر الأطراف المشاركة أهم الأنواع المعروضة ، فيحتوي على المؤلفات ذات الطابع العلمي والثقافي التي يقوم بنشرها مختلف الناشرين في البلد . ومن الملاحظ أن المكتبة الوطنية تخصص قسما من ميزانيتها لاقتناء عدد يتراوح بين ٥٠ إلى ١٠٠ نسخة من العناوين الجديدة التي تصدر فوق التراب الوطني بهدف عرضها للتبادل ، ورغم تكاليف الشراء وتكاليف اليد العاملة ثم الإرسال ، فإن المكتبة الوطنية مواظبة على بذل الجهود في الميدان ، وذلك لأنها متيقنة من أنها تقوم بدور إيجابي في تزويد مكتبات قد لا تتمكن لولاها من الحصول على هذه الوثائق ، وتقوم في الوقت نفسه بالتعريف بالإنتاج الفكري الوطني ، إذ من المعروف أن الكتب الجزائرية على الرغم من قيمة بعضها ، لا توجد إلا نادرا في الأسواق الخارجية ، وذلك لأسباب لا يتسع المجال لشرحها في هذا المقام ، ويلقى هذا النوع من المطبوعات إقبالا كبيرا لدى أكثر المكتبات التي تتعامل مع المكتبة الوطنية الجزائرية سواء في الأقطار العربية أو في البلدان الأخرى من اشتراكية وغربية .

وبناء على هذا الدور العلمي والثقافي الذي يقوم به قسم التبادل ، فهو لا يعير أهمية لعدم التوازن في التبادل بالنسبة لعدد المطبوعات الواردة ، أو لقيمتها المالية مع أكثر الأطراف وخاصة منها الأقطار العربية ، وذلك لأن المكتبة الوطنية الجزائرية تسعى إلى أن تقدم للمكتبات والجامعات العربية ما تطلب من مؤلفات ووثائق مهما كان عدد المطبوعات المرسلة من الطرف الآخر قليلا .

وبالإضافة إلى القوائم السنوية ، تسعى المكتبة الوطنية إلى إرضاء كل طلبات الأطراف المتعامل معها والتي كثيرا ما تطلب بعض المنشورات المذكورة في البيبلوغرافيا الوطنية غير المدرجة في قائمة التبادل ، وما يسترعي الانتباه ، أن المكتبات الضخمة في العالم كمكتبة الكونغرس بواشنطون والمكتبة البريطانية في لندن ، والمكتبة الوطنية في باريز ، ومكتبة لينين في موسكو هي التي تحرص على الحصول على هذا النوع الأخير من المطبوعات التي لا يكفي العدد المتوفر لدى المكتبة الوطنية حتى تدرجه في القوائم المعروضة للتبادل .

وقبل أن ننتهي من هذا العرض نرى من الواجب التعرض بكل موضوعية إلى نتائج هذا الجانب من التعاون الفكري والعلمي . فإذا كانت المكتبة قد قدمت لأكثر المكتبات والجامعات والمعاهد التي تتعامل معها منذ سنوات عديدة ، مؤلفات ودوريات ما كان باستطاعة هذه المؤسسات أن تحصل عليها بطريقة أخرى ، وتمكنت هكذا من أن تعرّف أيضا بالإنتاج الفكري الوطني ، وإذا كانت المكتبة قد حصلت من جهتها بفضل التبادل على بعض المطبوعات القيمة وبعضها خاص بالجزائر ، فيجب أن نشير بكل موضوعية ونزاهة علمية ، إلى بعض نقاط الضعف في ممارسة هذا التبادل ، إذ إن بعض المكتبات في الدول الاشتراكية والغربية ، تعرض كتبا ذات مواضيع بعيدة عن اهتمامات المكتبة الوطنية وقرائها مكتوبة بلغات قليلة الاستعمال لدى الباحثين والقراء في البلاد عامة ، وكذلك لدى العاملين في المكتبة الوطنية .

أما فيما يخص التبادل بالدوريات فإن خيبة الآمال كانت كبيرة ، إذ إنه إضافة إلى الدوريات الكثيرة التي ترسلها بعض المكتبات من دون أن يطلبها القسم ، نلاحظ أن أعداد الدوريات التي ترغب المكتبة في اقتنائها قليلا ما تصل بانتظام ، ولا تتمكن المكتبة من أن تحصل على الأعداد الناقصة لتكميل مجموعاتها ، وهذا عيب يمقته كل مكتبي حريص على جمع سلاسل ومجموعات كاملة ، ولا يمكن أن نقدم حكما على تبادل المصغّرات لأن المكتبة شرعت منذ أمد غير طويل ، وعلى نطاق ضيق إلى يومنا ، في التبادل بهذ النوع من الأوعية الفكرية . أما الملاحظات الخاصة بالتعامل مع الأقطار العربية الشقيقة فإننا سنتعرض لها في الفصل القادم .

التبادل في الوطن العربي :

إذا كانت المكتبات وغيرها من المؤسسات العلمية والثقافية في

العالم بحاجة إلى اللجوء إلى التبادل لإثراء مجموعاتها من المطبوعات وأحيانا من المنتوجات الفكرية الأخرى التي يتعذر أو على الأقل يعسر الحصول عليها بطريقة أخرى ، كما سبق أن أشرنا ، فإن المكتبات العربية أحوج من غيرها إلى استعمال هذه الوسيلة من التزويد ، لا بالكتب وغيرها من الوثائق الأجنبية فحسب ، وإنما بالكتب والدوريات المنشورة داخل الوطن العربي على الخصوص ، وهذا راجع إلى سوء توزيع الكتب والإنتاج الفكري على العموم في مجموع الأقطار العربية ، ويترتب على هذا النقص ، حرمان المكتبة العربية والقارىء العربي ، من الحصول على عدد كبير من الوثائق تصدرها مؤسسات عربية فوق التراب الوطني العربي .

من المعروف أن تعويقات كثيرة تحول دون بعث حركة النشر في الوطن العربي ولكني أعتبر سوء توزيع الكتاب أخطر هذه العوائق ، إذ إن هذه الحلقة الأخيرة من حلقات صناعة الكتاب هي تتويج لكل الجهود ، وأحيانا للتضحيات التي بذلها كل من المؤلف والناشر والطابع ، فإذا قبع الكتاب المنشور في مخازن الناشر ، بعد بذل هذه الطاقات والمصاريف كلها ، ولم يجد طريقه إلى دكاكين الكتبيين ، ورفوف المكتبات ، وبيوت القراء ، فإن هذه الجهود تكون قد أهدرت وذهبت سدى ، مما يؤدى إلى شلل حركة النشر . وذلك أن الناشر بعد إخفاقه المتكرر يصبح مترددا ، كثير الحذر قبل أن يغامر من جديد بأمواله وجهوده لإصدار كتب جديدة . ومن نتائج هذا الوضع الخطير أيضا اقتصار أكثر الناشرين العرب على إصدار عدد زهيد من النسخ في أمة يبلغ عدد أفرادها ١٧٠ مليون ، منهم العديد من الملايين من القراء المحتملين . وسبب هذا الحذر الكبير هو سوء التوزيع كما ذكرنا . وإذا خاف الناشر وقلّت موارد الطابع ، ومن حام حول الاثنين من الفنّيين والاختصاصيين ، فإن الشلل يلحق لا محالة المبدع أيضا . وهذا الوضع المؤسف تتصف به صناعة الكتاب في الأقطار العربية جميعها من المحيط إلى الخليج .

ومما يجدر التنبيه إليه أننا لا نأسف على سوء توزيع الكتاب ونقله من قطر إلى قطر فحسب ، بل إننا نلاحظ الخلل نفسه في توزيع الكتاب حتى داخل القطر الذي يصدر فيه . إذ لا تتوفر في أكثر الأقطار شبكة منظمة وفعّالة من دكاكين الكتبيين لإيصال الكتاب لأطراف البلد جميعه ، فنلقى مساحات شاسعة في أكثر الأقطار العربية تضم العديد من المدن والقرى لا يوجد فيها دكان واحد لبيع الكتب .

ويترتّب على كل هذا بالإضافة إلى العواقب التي ذكرناها أن القارىء العربي سواء كان باحثا ، أو مثقفا ، أو من المهتمين بالكتاب ، أو إطار دولة ممن لهم حق القرار ، لا يعلم بما صدر من كتب في الأقطار العربية ، وأحيانا ما صدر في القطر الذي يقطنه . وإذا علم بصدور كتاب من باب الصدفة ، أو عن طريق جريدة ، أو أثناء لقاء مع زميل ، فإن الحصول على هذا الكتاب متعذر إن لم يكن مستحيلاً ، لعدم وجود الكتبي الذي يقدر ويرغب في جلب نسخة واحدة من كتاب من أجل باحث أو مكتبة .

فما هو الحل ؟

إنني لا أدعي أن بيدي الحلول التي تسهل من تداول الكتاب ، وتجعله يسير داخل كل قطر ، وبين الأقطار ، من دون قيود ، وهذا بفضل إنجاز شبكة توزيع منظمة تنظيما عقلانيا محكما ، يسهر على تنظمها وتسييرها موزّعون وكُتُبيون يجمعون بين المؤهلات المهنية ، والإيمان برسالتهم التثقيفية ليتمكنوا من إيصال الكتاب إلى كل من يحتاجه ، ولكني أقل حلما وأكثر تواضعا لأنني أتحدث كمكتبي همّه الوحيد خدمة الباحث ، والطالب ، والقارىء على العموم ، ومن ثم خدمة الكتاب العربي . وكيف يتسنّى ذلك والطريق شبه مسدود ؟ كيف سيصبح في مستطاع القارىء العربي أن يحصل على الكتاب الذي يرغب في اقتنائه أو على الأقل الاطلاع عليه ؟

هنا نعود إلى موضوع تبادل المطبوعات وأوعية المعلومات الأخرى : هل من الجائز للمكتبي أن يحقّق ما لم يحققه الناشر التاجر ؟ أرى هذا ممكنا ، وأبادر بالقول إن تحقيقه لا يتنافى مع مصالح أي طرف من الأطراف المساهمة في صناعة الكتاب ، بل هي في صالح الأطراف جميعها بما فيها المؤلف ، والناشر والطابع ، وأضيف الموزّع أيضا ، كما سنرى .

وقبل أن نشرع في عرض اقتراحي ، أرى أن نبدأ بعرض الوضع الحالي للتبادل بين المكتبات العربية . يجب أن نعترف أن هذا الوضع غير مرض وليس خليقا بأقطار شقيقة تصبو إلى الوحدة والتلاحم ، ولكي أثبت ذلك ، أعتمد أولا على تجربة المكتبة الوطنية الجزائرية التي لم تتمكن من إنماء تبادلها مع الأقطار العربية حتى يبلغ أو يفوق ما هو جار مع بعض المكتبات الأجنبية في أوروبا والولايات المتحدة ، وثانيا على ما شاهدته عيانا في أكثر هذه الأقطار بمناسبة زيارات لها ، ولعدد من مكتباتها الكبرى ، وأخيرا على ما أجابني به عدد من زملائي حينما سألتهم عن الموضوع . فإن التبادل موجود بين عدد كبير من المكتبات العربية ولكن حجمه ضئيل جداً . وبما أنني تحدثت عن تجربة المكتبة الوطنية الجزائرية يجدر بي أن أذكر أن التبادل بين هذه المكتبة وبين نظيرة لها في قطر عربي واحد فقط بلغ حجما محترما .

وفحوى اقتراحي أن يخصص كل ناشر سواء أكان من القطاع الحكومي كما في بعض الأقطار ، أو من القطاع الخاص ٢٢ نسخة من كل كتاب ينتجه لترسل إلى ٢٢ مكتبة وطنية أو ما يقوم مقامها في الأقطار الأعضاء في جامعة الدول العربية . فيكون هذا الإرسال بمثابة إيداع قانوني ، ولكن ليس على نطاق القطر بل على نطاق الوطن العربي كله ، ويكون الإرسال إما مباشرة إلى المكتبات

الوطنية كلها ، أو عن طريق المكتبة الوطنية المحلية التي ستتولّى عملية الإرسال لنظيراتها في الأقطار الأخرى . والهدف من هذه العملية بسيط ومهم في الوقت نفسه .

وإنه بسيط لأن تحقيقه لا يحل مشكلة رواج الكتاب على نطاق الوطن العربي كله ،و إنما نتيجته أن يحصل كل قطر من الأقطار العربية على نسخة واحدة فقط من كل كتاب جديد يصدره الناشرون العرب ، **إلا أنه مهمّ** في الوقت نفسه ، لأن حصيلته العملية هو وجود أكثر الكتب العربية ولو نسخة واحدة في كل قطر من الأقطار ، فيتمكن المكتبي ، والباحث ، والبيبليوغرافي ، والصحافي وغيرهم ، من الاطلاع على الإصدارات الجديدة ، ومن تعريف الجمهور بها بالأساليب التي يراها المسؤولون صالحة محليا إما عن طريق دورية متخصصة ، أو الصحافة ، أو أجهزة الإعلام الأخرى وهكذا ...

ولا أراني بحاجة إلى الإطالة في الحديث عن مردود رواج هذه الكتب ولو قلّ عددها ، على البحث العلمي ، وعلى النمو الثقافي والاجتماعي والاقتصادي للأمة العربية .

ولكن السؤال الذى قد يتبادر إلى الذهن هو : كيف لنا أن نجبر الناشر الذي همّه الوحيد الربح ، أن يتخلى عن أكثر من عشرين نسخة بدون مقابل ؟

في الحقيقة ليس لنا أن نجبره بل أن نقنعه ، ويبدو لي أن هذا ليس بالأمر الصعب ، فإن الناشرين في أكثر البلدان يخصصون عادة عددا من النسخ مما يصدرون قد يبلغ المئات أحيانا ، لتوزيعها على النقاد ، والصحفيين من الصحافة المكتوبة ، والمسموعة ، والمرئية ، وأيضا على بعض الأعلام من رجال العلم والسياسة ، وعلى عدد من المؤسسات والمعاهد العلمية ، والثقافية ، وذلك بقصد التعريف بالكتاب الجديد وتسهيل ترويجه . فممّا لا شك فيه أن النسخة التي يرسلها الناشر ، والحال على ما هو من تضاعف عدد القراء الحقيقيين والمحتملين في الوطن ، لن تبقى يتيمة ، إذ ستكون سببا في رواج سوق الكتاب العربي ونفاقها ، مما سيدرّ أرباحا على الناشر ، كما ستساهم في بعث حركة النشر في الوطن العربي ، وأرى من الضروري أن يُدعى اتحاد الناشرين العرب إلى المشاركة في جميع مراحل تطبيق هذه الأفكار والمقترحات وخاصة في إقناع أعضاء الاتحاد بجدوى هذه العملية ، وأهمية مردودها على صناعة الكتاب العربي ، أما الناشرون الذين يأبون الاقتناع فللأقطار العربية من وسائل الضغط ما يقنعهم بالمصلحة العامة . وأرى من أسبق هذه الضغوط وأنجحها ، حرمان هؤلاء من المشاركة في معارض الكتاب التي تدرّ أكثر ما تدرّ على هؤلاء من الأرباح ، وهذا على غرار ما يطالب به اتحاد الناشرين العرب من إقصاء الناشرين الذين نشروا وباء التزوير في مجال صناعة الكتاب العربي ، وعلى كل حكومة إن كانت مؤمنة ، ومقتنعة بصلاحية هذه العملية ، أن تجد وسائل ضغط على الناشرين المحليين ، كما أرى من واجب الحكومات العربية أن تسهل إنجاز هذه العملية بمنحها مجانية الإرسال لكل الطرود الحاملة للكتب المرسلة إلى المكتبات الوطنية العربية . وأذكر أننا نجد هذا التسهيل نفسه في القوانين المختلفة الخاصة بالإيداع القانوني في أرجاء العالم كلها بما فيها الأقطار العربية .

هذا فيما يخص المطبوعات العلمية والثقافية . أما **المطبوعات الرسمية** أي كل الوثائق المطبوعة التي تصدرها رئاسات الدول ، والحكومات ، والوزارات ، وكل المصالح الإدارية في إطار نشاطها العادي ، وتقوم بتوزيعها ، فقد حان الوقت لأن يهتم بها المسؤولون العرب لما لها من أهمية في التنمية الاقتصادية ، وفي سير الإدارة ، وبالنسبة لكتابة التاريخ .

فمن الملاحظ المعترف به أن الوثائق التي تحمل القوانين ، والمراسيم ، والخطب التوجيهية ، والدراسات الاقتصادية ، والإحصائيات ، ومحاضر جلسات عدد من المجالس والهيئات ، لم تحظ إلا نادرا بالعناية اللائقة بها من طرف المؤسسات المكلفة بالحفاظ على الإنتاج الفكري ، فتقوم بتصنيفها وفهرستها وصيانتها حتى يتمكن من الاستفادة منها اليوم وغداً ، أصحاب القرارات في الدولة ، والباحثون من اقتصاديين ، ومؤرخين ، وكذلك الصحافيون . أما أن تتبادل بها المكتبات العربية فهذا أندر من النادر .

وهناك وثائق أخرى لا تلقى الكثير من الاهتمام من طرف المكتبات ومراكز الأرشيف في الوطن العربي كالصور البريدية ، والخرائط ، والملصقات ، ونلاقي أيضا عدم اهتمام أو على الأصح قصوراً فيما يخص الوثائق المسموعة والمرئية كالأسطوانات ، والافلام السينمائية ، والتلفزيونية ، وليس من الواقعية أن أدعو للقيام بالتبادل بمثل هذه الوثائق التي قلما تهتم المؤسسات الثقافية محليا بجمعها والحفاظ عليها ، وإنما ما يهمّ على ما أرى في هذه الحقبة من تطور الوطن العربي ، هو أن تسعى إلى إنماء التبادل بالكتب والدوريات والمطبوعات الرسمية .

وللشروع في التبادل بمثل هذه المطبوعات على نطاق واسع ، فالمنتظر من الحكومات أن توافق على القيام به إذا كانت مقتنعة بالنفع الذي ستجنيه منه فئات العاملين في أحضانها ، والعاملين لصالحها ولصالح النمو من الباحثين والصحافيين ، وبفائدة التعريف بنشاطها ، وإنجازاتها ، ومطامحها .

ونشير في الأخير إلى فائدة أخرى لعملية التبادل بالإنتاج الفكري والمطبوعات الرسمية لا ينتبه إليها غير الاختصاصيين ، وهي صيانة هذا التراث ، إذ إن المكتبات كباقي مؤسسات الأقطار معرضة لنوائب الزمن الطبيعية كالحرائق والفيضانات ، وللكوارث التي يتسبب في نشوبها الإنسان كالحروب . فإذا أتلفت آفة من هذه الآفات تراث قطر ، فإن باستطاعته أن ينشيء ثانية هذا الرصيد بفضل النسخ الموجودة في مكتبات الأقطار الشقيقة .

وأكبر الظن أن الحكومات العربية التي بذلت ما بذلت من جهود في العقود الأخيرة لتعميم القراءة ، ونشر العلم ، وبعث التراث ، قديمه وحديثه ، ستقتنع كلها وبسهولة إذا عرضت عليها هذه الحجج والدلائل .

هذا هو وضع التبادل في الوطن العربي ، وهذه هي الحجج والدوافع التي اعتمدت عليها للمطالبة باستحداث عملية تبادل تتلاءم مع أواصر الأخوة ووحدة الماضي والمصير . فما بقي إلا أن أعرض وجهة نظري في كيفية إبراز هذا المشروع إلى الوجود ، وتحديد خطوات تنفيذه .

الاتفاقية العربية لتبادل الوثائق :

على ضوء ما سبق من كلام عن أهمية التبادل بين المكتبات عموما ، وبين المكتبات العربية خصوصا ، وعن الوضع الحالي لهذا التبادل في الوطن العربي ، أقترح أن تُبرم الأقطار العربية اتفاقية جديدة تُحدث نظام **تبادل إجبارى** واسع النطاق بالوثائق بين المكتبات الوطنية العربية ، إلى جانب نظام **تبادل اختياري** فيما بين كل المؤسسات الثقافية العربية الأخرى التي لها الرغبة والقدرة في الوقت نفسه على ربط علاقات تبادل مع نظيراتها في الوطن العربي .

وقبل أن نتوسع في الحديث عن هذا الاقتراح ، وذكر وسائل تحقيقه ، أرى من المناسب أن أبدأ بالتذكير بالاتفاقيات والقرارات العربية السابقة الخاصة بتنظيم التبادل ، وما صدر في هذا المجال من توصيات وقرارات عن مختلف الاجتماعات التي نظمتها الهيئات العربية والمنظمات الدولية .

وأول ما نذكر هو معاهدة جامعة الدول العربية في سنة ١٩٤٥ م التي أشارت إلى تبادل المطبوعات بين الدول الأعضاء . ويشير الكتاب الذي أصدرته اليونسكو عن التبادل ، والذي نقل طبعته الثالثة سنة ١٩٦٦ م إلى العربية علي محمد كحيل تحت عنوان : ((**التبادل الدولي للمطبوعات**)) (القاهرة ، دار الفكر العربي ، ١٩٦٧) إلى مؤتمر نظمته الأقطار العربية لتبادل المطبوعات في دمشق من ٢٢ إلى ٢٨ يونيو ١٩٥٧ م . وقد خطا هذا الاجتماع خطوات كبيرة في توصياته نحو تنظيم التبادل ، فأوصى بالتبادل بالمطبوعات الحكومية وغير الحكومية فيما بين المكتبات الوطنية . وأهم ما أوصى به المؤتمر ((وجوب إنشاء المراكز الوطنية للتبادل في المكتبات الوطنية)) . إلا أن هذه التوصيات التي مرّ عليها اليوم ما يقرب من ثلاثين سنة لم تنفذ توصية واحدة منها . وأكثر من هذا ، فليس هناك أحد يذكرها اليوم على ما يبدو ، وكأنها لم تكن ، وعلى الرغم من حضوري للعديد من المؤتمرات والحلقات التي نظمتها في المنطقة ، كل من اليونسكو ، والمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، وأولها الحلقة التي نظمتها اليونسكو في بيروت سنة ١٩٥٩ م ،وبرغم تطرقي للموضوع مع العديد من المسؤولين العرب في مجالي الثقافة والمعلومات ، فإنني لم أسمع أحدا يذكر هذا المؤتمر ، ولم أقرأ عنه سوى ما جاء في الكتاب السابق الذكر حول تبادل المطبوعات الذي أصدرته اليونسكو .

وحتى الأقطار التي نظمت التبادل على نطاق واسع كالجزائر وتونس ومصر مثلا ، فإنها لم تفعله تطبيقا لتوصية مؤتمر دمشق . فعلى سبيل المثال ، إن الأستاذة السيدة ماجر ربيع ذكرت في مقال لها عنوانه ((**مصر وتبادل المطبوعات**)) أنه ((بناء على انضمام مصر لاتفاقيتي اليونيسكو لسنة ١٩٥٨ م صدر القرار الجمهوري رقم ٤٥٠ لسنة ١٩٦٦ م الخاص بإنشاء مركز قومي لتبادل المطبوعات بدار الكتب الوطنية (صحيفة المكتبة ، يناير ١٩٨٣ م ، ص ٦٠) . وممّا يجدر ذكره أن الكاتبة لم تشر لا في هذا المقال ولا في مقال آخر سابق خصصته لدراسة ((**الجانب التاريخي لتبادل المطبوعات**)) (صحيفة المكتبة ، أفريل ١٩٨٢ م) إلى ميثاق جامعة الدول العربية وما نص عنه فيما يخص تبادل المطبوعات ، كما أنها لم تذكر مؤتمر دمشق حول تنظيم التبادل الذى سبق ذكره ، مع أنها أشارت إلى العديد من الاتفاقيات الدولية التي يرجع تاريخها إلى القرن التاسع عشر ثم القرن العشرين الميلاديين .

ومن الملاحظ أن المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم لم تصدر سواء في اجتماعاتها المختلفة أو عن طريق مؤتمرات الوزراء العرب المسؤولين عن الثقافة ، أي قرار جديد بشأن النهوض بالتبادل فيما بين المكتبات العربية أو بشأن تنظيمه .

بينما أصدرت العديد من المؤتمرات والندوات سواء منها التي نظمتها اليونسكو أو المنظمة العربية توصيات خاصة بإقامة التبادل . وذلك منذ مؤتمر دمشق حول التبادل والمنعقد سنة ١٩٥٧ م والدورة التدريبية حول المكتبات التي نظمتها اليونسكو سنة ١٩٥٩ ففي بيروت التي كانت منطلقا للدراسات في علم المكتبات بالمنطقة العربية .

وبما أننا ننتظر الكثير من إقامة تبادل على نطاق واسع ، والأوضاع الحالية لا تضمن تحقيق الآمال المعقودة على هذا التبادل ، وبما أن الاتفاقيات والتوصيات السابقة من جهة أخرى قد فقدت فعاليتها بتقادم الزمن ومرور السنين ، أقترح إبرام اتفاقية جديدة لتبادل الوثائق بين المكتبات العربية على أن يُعدّها هذه المرة ، المعنيون بالأمر من المكتبيين قبل أن تعرض على الحكومات لإبرامها ثم التصديق عليها ، وعلى أن تتخذ التدابير اللازمة في الاتفاقية تمكن هؤلاء المعنيين بالقضية ، من السهر على تطبيقها .

وحتى لاتبقى الاتفاقية الجديدة حول التبادل حبرا على ورق يغشاها النسيان كما غشى سابقاتها ، أقترح ما يلي :

إذا اقتنعت المنظمة العربية للتربية والعلوم والثقافة وهي المعنية الأولى بتحقيق مثل هذه الاتفاقية وتطبيقها ، خدمة للكتاب العربي ، والأهداف التي تسعى إلى بلوغها ، أقترح أن تجمع المنظمة مديري المكتبات الوطنية العربية ، أو المؤسسات التي تقوم مقامها ، والمسؤولين عن مصالح تبادل المطبوعات بها إن كانت موجودة ، وذلك لأنهم أكثر اطلاعا على سير الأعمال ، وعلى الإيجابيات والسلبيات التي لقوها أثناء ممارستهم للتبادل ، كما يجب أن يحضر الاجتماع ممثلون عن اتحاد الناشرين العرب ، إذ يجب أن يُعطي الناشرون رأيهم في إنشاء نظام التبادل الإجباري بإنتاجهم ، وممثلون عن الهيئة الإدارية ، وهي في الغالب الوزارة الأولى في كل الأقطار ، التي من الجائز أن تتحدث باسم الهيئات الأخرى التي تصدر المطبوعات الرسمية . وحتى لا تتوارى المناقشات في هذا الاجتماع في المتاهات ويشيّد النظام الجديد للتبادل على أسس واقعية متينة ، أقترح أن يُهيأ لهذا الاجتماع بورقة عمل يعدها خبير عربي بتكليف من المنظمة ، على أن يبسط فيها إشكالية الموضوع ، والحلول المقترحة وكذلك مشروع نص الاتفاقية العربية للتبادل . والهدف الأساسي من هذه الوثيقة هو أن تتفق الأقطار على إقامة نوعين من التبادل : الأول إجباري فيما بين المكتبات الوطنية العربية المحلية التي ستتصل كل واحدة منها بمقتضى الاتفاقية ، بنسخة مما يصدره كل ناشر يعمل فوق التراب العربي مهما كانت جنسيته ، وبنسخة من المنشورات التي تصدرها رئاسات الحكومات ، والوزارات ، والدوائر الرسمية الأخرى .

أما النوع الثاني فهو اختياري تُطبّقه المؤسسات العلمية والثقافية الأخرى ، فتتبادل بما لديها من مكرّرات ومنشورات ، على غرار التبادل القائم في جميع أطراف العالم .

وللسهر على التطبيق ، أقترح إنشاء هيئة دائمة مكوّنة من مديرين اثنين من مديري المكتبات الوطنية العربية ومن المسؤول عن مديرية التوثيق والمعلومات في المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، والكاتب العام لاتحاد الناشرين العرب . فعلى هذه الهيئة الدائمة أن تهتم في السنوات الأولى بتطبيق ترتيبات الاتفاقية الخاصة بالتبادل على أن ينقص عدد الاجتماعات بتقدم تطبيق الاتفاقية ، غير أنني أقترح أن تواصل الهيئة اجتماعاتها بين الحين والآخر بعد مرحلة التطبيق ، فتجتمع مثلا مرة في السنة ، لدراسة سير التبادل ، وتقدم تقارير إلى المنظمة العربية والحكومات واتحاد الناشرين العرب في هذا الشأن ، حتى تتخذ العقوبات اللازمة ضد الناشرين الذين يتهاونون في إيداع إنتاجهم ولتقوم بتنبيه الدوائر الرسمية التي تأخرت عن إرسال منشوراتها والمكتبات التي لم تقم بالدور المنوط بها في هذه الاتفاقية .

ولا داعي إلى التوسع في الحديث عن نص الاتفاقية إذ ستدرس على عدة مراحل ، ويساهم في إعدادها ، المكتبيون والحقوقيون وممثلون عن المنظمات الهيئات العربية المختصة .

ولم يبق لي إلا أن أتمنى تحقيق هذا الحلم الذي يشغلني منذ سنوات ، إذ شاهدت عن كثب هموم المكتبيين والباحثين العرب الذين لا يزالون يعانون الأمرّين وهذا في السنوات الأخيرة من القرن العشرين ، وبعد مرور أكثر من أربعين سنة على تأسيس جامعة الدول العربية ، لاقتناء كتب عربية أصدرتها دور نشر ودوائر حكومية عربية .

قصّة كتاب الإيضاح

مُصطفى الحِدري

كُليّة الآداب - جامعة البعث - حلب

تمهيد :

تواترت الأخبار على أن لأبي علي الفارسي كتاباً في النحو اسمه الإيضاح ، وأنه ألفه لعضو الدولة البويهي[1] . وقد قرأت في النسخة الخطية التي ترقد في المكتبة الظاهرية من هذا الكتاب ، ثم قرأت في نسخته المطبوعة التي حققها حسن شاذلي فرهود . ومن الجدير بالذكر أن منه عدة نسخ خطية في مكتبات العالم التي تدخر المخطوطات[2] . وقد جعلت هذه المقالة للحديث عن كتاب الإيضاح من الناحية التاريخية ، وللحديث عن الكتب التي ألفت عنه ودارت في فلكه . ومن الله أطلب العون والتسديد .

والذي يبدو من تعدد نسخه الخطية أنه كان من الكتب المهمة في تاريخ النحو ، وكان — فيما يظهر — كتاباً مدرسياً يفيد منه الطلبة ، وقد نص على ذلك القفطي بصريح العبارة حيث قال : ((انتفع به الطلبة ، وهو كتاب المصريين وأهل المغرب وأهل الحجاز واليمن والشام إلى أن اشتغل الناس باللمع لابن جني ، والإيضاح لأبي علي الفارسي))[3] والكتاب الذي كان الطلبة يدرسونه لأنه كان ذا طريقة مدرسية مفيدة قبل الإيضاح واللمع هو كتاب الجمل للزجاجي ، وقد رأيت كتاباً ألف في الفترة التي ألف فيها الإيضاح يشبهه من حيث العنوان هو الواضح للزبيدي الأندلسي ، ولكن شتان بين الكتابين !

علاقة الفارسي بالأسرة البويهية :

وقد كانت تربط الفارسي بالأسرة البويهية علائق مودة أكيدة ، وهو قد أهدى كتاب الإيضاح إلى أحد الرجال البارزين في هذه الأسرة التي حكمت في عصره العراق ومناطق من إيران ، وكان الصاحب بن عباد أحد وزرائها . ويبين لنا الزبيدي الأندلسي مبدأ هذه العلاقة بقوله عن أبي علي : ((كان عند ابن حمدان ، فاستجلبه الديلمي لبني أخيه خسرو ، يؤدبهم ، فأقام في بغداد ، ثم توجه إلى شيراز))[4] وعلى أهمية هذا النص الذي كتب في حياة أبي علي ، أرى أنه يكتنفه الغموض من غير ما جهة ، ولا عجب في ذلك فهو معلومات يوردها أندلسي عن أحداث جرت خارج الأندلس ، لم يرها ولم يسمع بها من قرب .

ومن أول نقاطه الغامضة أنا لا نعرف على وجه التحديد من الديلمي الذي استجلبه من بلاد الشام ليؤدب أبناء أخيه . ويحتمل أن يكون معز الدولة الذي كان حاكم بغداد في تلك الفترة على الرغم من وجود الحاكم الصوري الذي كان خليفة للمسلمين . ولكن الذي يعترضنا دون الانسياق وراء هذا الفهم أنه ليس بين أخوة معز الدولة من اسمه خسرو ، وإنما ولد أخيه فيروز اسمه فناخسرو ، وهو الذي اشتهر بلقب عضد الدولة . فهل أبني على هذا احتمالاً بأن يكون النص الذي في طبقات الزبيدي قد تعرض للخلل وأن يكون أصله هكذا : ((فاستجلبه الديلمي لبني أخيه : خسرو وإخوته يؤدبهم)) إن هذا الاحتمال مقبول عندي ، ويرشحه للصواب إقرار عضد الدولة غير مرة بأنه غلام أبي علي الفسوي — أي صاحبنا الفارسي المنسوب إلى مدينة فسا — في النحو[5] .

ومما يضعف هذا الاحتمال أن التأديب إنما يكون للأحداث ، وعضد الدولة — عندما انحدر أبو علي من الشام إلى بغداد وفي حدود سنة ٣٤٧ هـ — كان في حدود الثالثة والعشرين من عمره . ولا يبعد عندي أن يكون عضد الدولة هو الذي استدعاه لتأديب أولاد أخيه ، ومن بينهم خسرو ابن فيروز بن ركن الدولة[6] .

وقد قضى أبو علي في شيراز عشرين سنة ، وكانت في ذلك الوقت مقر حكومة فارس ، وكانت كثيرة الأهل مشتبكة البناء ، قذرة الشوارع والأخلاق ، وفيها من الظلم والجور ما لفت أنظار الزائرين[7] وكان عضد الدولة حاكمها ،و فيها أخذ عن الفارسي بعض تلاميذه النجباء كعلي بن عيسى الربعي ومحمد بن طوسي القصري . وقد أذن عضد الدولة لأبي علي الفارسي أن يقرىء الطلاب هذا الكتاب فيها ، وكان من أول آخذيه عنه الربعي وأبو أحمد بن الجلاب[8] . ومن الذين حظوا بقراءة الإيضاح عليه ابن أخته محمد بن الحسين الفارسي وهلال بن المحسن الكاتب[9] .

ومن الجدير بالذكر أن العلماء قد عنوا بهذا الكتاب على مدى ثلاثة قرون ، فشرحوه واختصروه واعترضوا عليه .

شروح الايضاح :

وقد شرحه عدد من الطلبة الذين أخذوا عن أبي علي مباشرة ، ففي مكتبة شهيد علي شرح له ينسب إلى ابن جني[10] وذكر المؤرخون أن الربعي قد شرحه[11] . وشرحه أبو طالب العبدي شرحاً وافياً فيما قالوا ، وتوجد من هذا الشرح نسخة في مكتبة

بشير آغا في استانبول[١٢] ورأى ياقوت الحموي شرحاً له منسوبا إلى الدقيقي ، فرجح أن يكون للسمساني ، وقد نسب إلى الدقيقي لشهرته في النحو أكثر منه ، ولأنهما يشتركان في الاسم واسم الأب ، وكلا الرجلين من تلاميذ أبي علي[١٣] .

أما حفدة الفارسي ــ وأعني بهم تلاميذ تلاميذه ــ فقد شرح منهم الإيضاح زيد بن علي الفارسي[١٤] ، الذي زعم القفطي أنه ولد أخت أبي علي مع أن بينهما دهراً مديداً ، والحقيقة أنه أخذ عن ولد أخت أبي علي : محمد بن الحسين الفارسي[١٥] وشرحه من تلاميذ أبي الحسين ولد أخت أبي علي المتقدم ذكره عبد القاهر الجرجاني الذي لم يكن له شيخ إلا أبا الحسين وجاء شرحاً مبسوطاً في نحو ثلاثين مجلداً من مجلدات ذلك الزمان ، ولكنه اختصر ذلك الشرح في مجلد واحد سماه : المقتصد . وتوجد منه عدة نسخ في مكتبات العالم[١٦] . وشرحه من هذه الطبقة أبو الحسن بن الوراق النحوي محمد بن هبة الله المتوفى سنة ٤٧٠ هـ وهو من تلاميذ الربعي[١٧] .

ومن رجال القرن الخامس الذين أتوقع أن يكونوا قد أخذوا عن تلاميذ أبي علي ، وقد شرحوا كتاب الإيضاح ، كل من ابن البناء المصري حسن بن أحمد المتوفى سنة ٤٧١ هـ وتوجد من شرحه نسخة في مكتبة بنكيبور[١٨] . ومن أبي عبد الله الحلواني سليمان بن عبد الله المتوفى سنة ٤٩٤ هـ ، وقد روى الجواليقي كتاب الإيضاح بسنده إليه[١٩] .

وشرحه من رجال القرن السادس أبو الحسن بن الباذش[٢٠] وهو علي بن أحمد المتوفى سنة ٥٢٨ هـ ، وكذلك محمد بن حكم السرقسطي المتوفى سنة ٥٣٨ هـ[٢١] . وشرحه أبو محمد الدهان سعيد بن المبارك المتوفى سنة ٥٧٩ هـ شرحاً كبيراً مبسوطاً في أكثر من أربعين مجلداً[٢٢] . وشرحه أيضاً ابن بري المتوفى سنة ٥٨٣ هـ[٢٣] وأبو عبد الله محمد بن جعفر الأنصاري المتوفى سنة ٥٨٧ هـ[٢٤] ، وذكر أن الشيخ نصر بن علي المعروف بابن أبي مريم قد شرحه ، وهو مما قرىء عليه سنة ٥٢٨ هـ[٢٥] .

وشرحه من علماء القرن السابع عدد من الرجال منهم أبو البقاء العكبري المتوفى سنة ٦١٦ هـ وتوجد من شرحه نسخة خطية في المتحف البريطاني وأخرى في القاهرة[٢٦] . وشرحه محمد بن أحمد الزهري المتوفى سنة ٦١٧ هـ في خمسة عشر مجلداً[٢٧] ، وشرحه أبو العباس أحمد بن عبد المنعم الشريشي المتوفى سنة ٦١٩ هـ وقد روى الشيخ إبراهيم الحافظ الحموي أثناء مجاورته في بيت الله الحرام هذا الكتاب عن شيخه محمد جمال الدين بن عمر المكي هذا الشرح بسنده إلى أبي عبد الله محمد بن الأبار القضاعي ، عن مؤلفه الشريشي[٢٨] . وشرحه أبو الحجاج يوسف بن معزوز القيسي المتوفى سنة ٦٢٥[٢٩] ومحمد بن يحيى بن هشام الخضراوي المتوفى سنة ٦٤٦ هـ واسم كتابه : الإفصاح بفوائد الإيضاح . وقد ذكر بروكلمان أن منه نسخة خطية في القاهرة عنوانها : إيضاح غوامض الإيضاح[٣٠] . وربما كانت هذه النسخة من تأليف إبراهيم بن أحمد الجزري الأنصاري فهو الذي له كتاب بهذا الاسم[٣١] .

وممن شرح الإيضاح أيضاً أبو بكر بن يحيى المالقي المتوفى سنة ٦٥٧ هـ[٣٢] وابن عصفور المتوفى سنة ٦٦٩ هـ[٣٣] وتوجد من شرحه نسخة خطية في جامع القرويين بفاس ، واسمه : الإفصاح في شرح الإيضاح[٣٤] . وقد قرأ عليه أبو الطيب محمد بن إبراهيم السبتي المالكي المتوفى سنة ٦٩٥ هـ واختصر شرحه هذا[٣٥] .

وشرحه أبو بكر بن محمد بن عبد الرحمن المغربي الأندلسي الكافي ، ونسخة شرحه الخطية في مكتبة إسماعيل أفندي باستانبول[٣٦] . وقد أفردت هذا الرجل بالحديث لأنه من المجهولين عندي ، إذ لم أعرف عنه شيئاً سوى ما تقدم .

المختصرات :

وقد اختصر كتاب الإيضاح ــ فيما نعلم ــ ثلاثة من العلماء ، أولهم عبد القاهر الجرجاني الذي سمى اختصاره بكلمة الإيجاز . وأعجب ابن الحاجب بهذا الإيجاز فشرحه بالقول ، وسمى شرحه : المكتفي للمبتدي[٣٧] . واختصر الإيضاح أيضاً محمود بن حمزة الكرماني الذي كان في حدود سنة ٥٠٠ هـ وسمى مختصره : الإيجاز في النحو[٣٨] . وهو شيخ ابن أبي مريم الذي شرح الإيضاح ، فلعله شرح عبارة الإيضاح التي أوجزها شيخه . واختصر الإيضاح أيضاً محمد بن يحيى بن هشام الخضراوي ، وسمى مختصره : الاقتراح في تلخيص الإيضاح[٣٩] .

ومن الطريف أن ينظم أبو العباس الأزدي الحمصي كتابي الإيضاح والتكملة لأبي علي شعراً ، وقد ذكروا أنه أجاد في ذلك[٤٠] .

اعتراضات ومشكلات :

وقد اعترض ابن الطراوة سليمان بن محمد المتوفى سنة ٥٢٨ على كتاب الإيضاح ، وسمّى اعتراضه : الإفصاح ببعض ما جاء من الخطأ في كتاب الإيضاح . ومن هذا الاعتراض نسخة في الاسكوريال . وقد أملى عليه علي بن محمد الكتامي المعروف بابن الضائع المتوفى سنة ٦٨٠ هـ ورد اعتراضات ابن الطراوة[٤١] . ويدخل في باب الاعتراض ما دعي بالمشكلات ، ومن ذلك أن لأبي العباس أحمد بن محمد الإشبيلي المعروف بابن الحجاج على الإيضاح مشكلات[٤٢] . ولمحمد بن الحسن القلعي كتاب نشر الخفي في مشكلات كتاب الإيضاح[٤٣] .

تعليقات وحواش :

ولبعض العلماء تعليق على الإيضاح وحواش لا ندري أهي شروح أو اعتراضات . ومنها تعليق الشريف الرضي[٤٤] ، وتعليق الخِدَبّ الأنصاري محمد بن أحمد المتوفى سنة ٥٨٠ هـ ، ويفهم من عبارة الحاج خليفة أنه شرح[٤٥] . ولأبي القاسم القصباني الفضل بن محمد المتوفى سنة ٤٤٠ هـ حواشي الإيضاح[٤٦] ، ومثل ذلك للكمال بن الأنباري[٤٧] .

شواهد الإيضاح :

وقد أفرد أبو علي لشواهد الإيضاح كتاباً اسمه عند ابن النديم : شرح أبيات الإيضاح ، واسمه عند ياقوت الحموي : الإيضاح الشعري[٤٨] . وقد تعرض لشرحه عدد من العلماء منهم ابن يسعون يوسف بن يبقى المتوفى في حدود ٥٤٠ هـ ، وقد سمّى شرحه : المصباح في شرح ما أعتم من شواهد الإيضاح ، ويسمى : المصباح في شرح شواهد الإيضاح[٤٩] . ومنهم أبو العباس أحمد بن عبد العزيز الفهري المتوفى سنة ٥٥٠ هـ[٥٠] وأبو بكر محمد بن عبد الله ابن ميمون العبدري القيسي القرطبي المتوفى سنة ٥٦٧ هـ ، وتوجد من شرحه نسخة خطية في مكتبة الاسكوريال[٥١] . ومنهم أبو علي الحسن بن عبد الله ، أو الحسين بن عبد الله ، المقرئ القلعي المنسوب إلى قلعة يحصب ، وتوجد من شرحه نسخة في الاسكوريال أيضاً[٥٢] . ومنهم عبد الله بن بري المتوفى سنة ٥٨٣ هـ وتوجد من شرحه نسخة في القاهرة[٥٣] . وشرحه من تلاميذ ابن بري رجل يدعى سليمان بن بنين الدقيقي ، وهو من وفيات سنة ٦١٤ هـ وعنوان كتابه : الوضاح في شرح أبيات الإيضاح[٥٤] . ومن المفيد الإشارة إلى أن الأستاذ عبد الرحمن بن سليمان العثيمين قد ذكر في مقالة له وجود كتاب في شرح أبيات الإيضاح مجهول المؤلف ، لا يبعد أن يكون كتاب الدقيقي الذي نتحدث عنه ، أو لعله كتاب في الموضوع نفسه من تأليف ابن عصفور ، وذكر أن السيوطي والبغدادي قد نقلا عنه ولم يعرف مؤلفه[٥٥] . وذكر الحاج الخليفة أن لأبي علي عبد الكريم بن حسن شرحاً على شواهد الإيضاح[٥٦] .

فكاهــة :

ومع أن الذين اشتغلوا بكتاب الإيضاح أكثر من أربعين عالماً — كما أثبت هذا الإحصاء — فقد نسب إلى عضد الدولة أنه استقصر هذا الكتاب . قال ابن الأنباري : ((ويحكى أن أبا علي لما صنف كتاب الإيضاح لعضد الدولة وأتاه به قال له عضد الدولة : هذا الذي صنعته يصلح للصبيان . فصنف له التكملة بعد ذلك . ولو صدر هذا الكلام من بعض أئمة النحويين لكان كبيراً ، فكيف من بعض الملوك[٥٧])) ! وقد أورد ياقوت الحموي هذا الخبر بصورة أخرى وهي : ((قالوا : ولما صنف أبو علي كتاب الإيضاح وحمله إلى عضد الدولة استقصره عضد الدولة وقال له : ما زدت على ما أعرف شيئاً ، وإنما يصلح هذا للصبيان . فمضى أبو علي وصنف التكملة ، وحملها إليه . فلما وقف عليها عضد الدولة قال : غضب الشيخ وجاء بما لا نفهمه نحن ولا هو))[٥٨] .

والخبر بكلتا صورتيه ليس له سند يصل به إلى عصر أبي علي ، لأن ابن الأنباري من وفيات ٥٧٧ هـ ، ولأن ياقوتاً من وفيات ٦٢٦ هـ ، وبينهما وبين أبي علي قرنان ويزيد . وقد بدأ الأول بقول : يحكى . والثاني بكلمة : وقالوا . للإشعار بأن الخبر فيه شيء من الغرابة . وأنا أستغرب ألا تزيد المعلومات التي في الإيضاح عما في ذهن عضد الدولة ، وأن يستغلق عليه التكملة أشد الاستغلاق . وأرى أن الخبر موضوع يراد منه المبالغة والإضحاك . ولو كان كتاب الإيضاح عديم القيمة عند عضد الدولة ما كلف الربعي وابن الجلاب بقراءته على أبي علي .

الهوامش

١ — نزهة الألباء ٣١٦ ومعجم الأدباء ٢٣٨/٧ ووفيات الأعيان ١٦٣/١ .

٢ — تاريخ الأدب العربي لبروكلمان ١٩١/٢ وأبو علي الفارسي للشلبي ٥٣٩ — ٥٤٠ .

٣ — إنباه الرواة ١٦١/٢ .

٤ — طبقات النحويين واللغويين للزبيدي ١٣٠ .

٥ — نزهة الألباء ٣١٦ وصورة الأرض لابن حوقل ٢٣٨ .

٦ - يتيمة الدهر ٢٦٤/٢ .
٧ - صورة الأرض ٢٣٨ ومعجم البلدان ٣٢٠/٥ والمختار من أحسن التقاسيم ٢٨٥ .
٨ - إنباه الرواة ٢٧٥/١ .
٩ - فهرسة ابن خير ٣٠٩ .
١٠ - تاريخ الأدب العربي لبروكلمان ٢٩١/٢ .
١١ - نزهة الألباء ٣٤١ وكشف الظنون ٢١٢/١ .
١٢ - نزهة الألباء ٣٣٦ وبغية الوعاة ٢٩٨/١ وكشف الظنون ٢١٢/١ .
١٣ - معجم الأدباء ٥٧/١٤ .
١٤ - إنباه الرواة ١٧/٢ وبغية الوعاة ٥٧٣/١ وكشف الظنون ٢١٢/١ .
١٥ - إنباه الرواة ١٧/٢ ومعجم الأدباء ١٧٧/١٢ .
١٦ - كشف الظنون ٢١٢/١ وتاريخ الأدب العربي لبروكلمان ١٩١/٢ .
١٧ - كشف الظنون ٢١٣/١ ونزهة الألباء ٣٦٨ وبغية الوعاة ٢٥٦/١ .
١٨ - بغية الوعاة ٤٩٦/١ وكشف الظنون ٢١٢/١ وروضات الجنان ٢٢١ وتاريخ الأدب العربي لبروكلمان ١٩١/٢ .
١٩ - بغية الوعاة ٥٩٥/١ وكشف الظنون ٢١٢/١ ومقدمة كتاب الإيضاح ١/ل .
٢٠ - بغية الوعاة ١٤٣/٢ وكشف الظنون ٢١٢/١ .
٢١ - معجم الأدباء ٢٢٤/١٩ - ٢٢٥ وبغية الوعاة ١٤٣/٢ وكشف الظنون ٢١٢/١ .
٢٢ - إنباه الرواة ٤٨/٢ و ٥٠ وبغية الوعاة ٥٨٧/١ وكشف الظنون ٢١٢/١ .
٢٣ - أبو علي الفارسي ٥٤٠ .
٢٤ - بغية الوعاة ٦٩/١ وكشف الظنون ٢١٢/١ .
٢٥ - معجم الأدباء ٢٢٤/١٩-٢٢٥ وبغية الوعاة ١٤٣/٢ وكشف الظنون ٢١٢/١ .
٢٦ - إنباه الرواة ١١٧/٢ وبغية الوعاة ٣٩/٢ وكشف الظنون ٢١٢/١ وتاريخ الأدب العربي لبروكلمان ١٩١/٢-١٩٢ و ١٧٥/٥ .
٢٧ - بغية الوعاة ٢٦/١ وكشف الظنون ٢١٢/١ .
٢٨ - بغية الوعاة ٣٣١/١ وكشف الظنون ٢١٢/١ وظهر الورقة ٥٦ من العقد الفريد في اتصال الأسانيد للشيخ إبراهيم الحافظ ، وتاريخ الأدب العربي لبروكلمان ٣٦٧/٥ .
٢٩ - بغية الوعاة ٣٦٢/٢ وكشف الظنون ٢١٢/١ .
٣٠ - بغية الوعاة ٢٦٧/١ وكشف الظنون ٢١٢/١ وتاريخ الأدب العربي لبروكلمان ١٩٢/٢ .
٣١ - بغية الوعاة ٤٠٦/١ وكشف الظنون ٢١٢/١ .
٣٢ - كشف الظنون ٢١٢/١ .
٣٣ - خزانة الأدب ٤٠/٣ و ٤١ .
٣٤ البلغة ١١٧ وكشف الظنون ٢١٢/١ وتاريخ الأدب العربي لبروكلمان ١٩٢/٢ والأعلام ٣٤٤/٤ .
٣٥ - بغية الوعاة ١٤/١ وكشف الظنون ٢١٢/١-٢١٣ وقد تحرفت نسبته فيه إلى البستي .
٣٦ - تاريخ الأدب العربي لبروكلمان ١٩٢/٢ .
٣٧ - كشف الظنون ٢١٢/١ .
٣٨ - بغية الوعاة ٢٧٧/٢ وكشف الظنون ٢١٣/١ .
٣٩ - بغية الوعاة ٢٧٦/١ .
٤٠ - بغية الوعاة ٣٤٨/١ وكشف الظنون ٢١٣/١ .
٤١ - بغية الوعاة ٢٠٤/٢ وكشف الظنون ٢١٣/١ وتاريخ الأدب العربي لبروكلمان ١٩٢/٢ .
٤٢ - بغية الوعاة ٣٥٩/١ وكشف الظنون ٢١٣/١ .
٤٣ - انظر ترجمته في الأعلام .
٤٤ - حاشية إنباه الرواة ١١٥/٣ .
٤٥ - كشف الظنون ٢٨/١ و ٢١٣ .
٤٦ - نزهة الألباء ٣٥٢ .
٤٧ - بغية الوعاة ٨٧/١ وكشف الظنون ٢١٢/١ .

٤٨ – الفهرست لابن النديم ط مصر ٩٥ ومعجم الأدباء ٧/٢٤٠ .
٤٩ – بغية الوعاة ٢/٣٦٢ وكشف الظنون ١/٢١٣ .
٥٠ – كشف الظنون ١/٢١٣ .
٥١ – كشف الظنون ١/٢١٣ وقد تحرفت العبدري فيه إلى العبقري . وانظر ترجمته في المغرب في حلى المغرب ١/١١١–١١٢ وبغية الوعاة ١/٢٥٤ وانظر الكتاب الذي عنوانه أبو علي الفارسي للشلبي ٥٤٠ .
٥٢ – بغية الوعاة ١/٥٣٤ .
٥٣ – تاريخ الأدب العربي لبروكلمان ٢/١٩٢ .
٥٤ – بغية الوعاة ١/٥٩٧ .
٥٥ – مجلة البحث العلمي والتراث الإسلامي ــ مكة المكرمة ــ العدد ٤ سنة ١٤٠١ هـ ص ٥٥٢ .
٥٦ – تاريخ الأدب العربي لبروكلمان ٢/١٩٢ .
٥٧ – نزهة الألباء ٣١٦ – ٣١٧ .
٥٨ – معجم الأدباء ٧/٢٣٨ .

علم الببليوجرافيا النشأة والتطور

جورية إبراهيم مشالي
قسم المكتبات والمعلومات
جامعة الملك عبد العزيز
وجامعة الإسكندرية

تمهيد :

تهدف الدراسة موضوع هذا البحث إلى التعرف على نشأة الببليوجرافيا ومراحل تطورها ، ومحاولة الكشف عن طبيعة العلاقة بين مجالات الإنتاج الفكري وظاهرة تعدد وظائف الببليوجرافيا ، هذا بالإضافة إلى تحليل دوافع ظهور الببليوجرافيا كمهنة تخصصية والتي مهدت الطريق لتكوين فكر ببليوجرافي تنسج منه خيوط نظرية الببليوجرافيا .

وتسعى الباحثة من خلال هذه الدراسة إلى المساهمة في سد الفجوة القائمة في الدراسات العربية في مجال الببليوجرافيا ، حيث إنها محدودة بصفة عامة ونادرة بالنسبة لدراسة تاريخ وتطور الببليوجرافيا .

وتجدر الإشارة هنا إلى أن الببليوجرافيا لم تحظ حتى الوقت الحاضر بتعريف محدد ومتفق عليه ، ويرجع ذلك إلى اختلاف وجهات نظر المفكرين من ناحية ، وإلى سرعة التطور الذي لحق بالنشاط الببليوجرافي من ناحية أخرى . وتتضمن هذه الدراسة عدداً من التعريفات التي تعكس وجهات نظر كبار المفكرين في هذا المجال . فمنها ما يراه ابرت Ebert[1] من أن الببليوجرافيا هي العلم الذي يتناول الإنتاج الأدبي بالدراسة . ومما يراه جريج Greg[2] من أن الببليوجرافيا هي دراسة الكتب كأشياء مادية . هذا بالإضافة إلى ما توصل إليه براون Brown[3] وآخرون من أنها علم الكتب ، وقد عرفها شنيدر Schneider[4] بأنها دراسة قوائم الإنتاج الفكري . وفي إحدى الدراسات العربية في هذا المجال يشير الهجرسي[5] إلى أن المفهوم السائد للببليوجرافيا الآن هو ما يتصل بالقوائم وإعدادها .

أولاً : تأثر الببليوجرافيا بتطور الإنتاج الفكري

١ ــ الببليوجرافيا في العصور القديمة :

إن العلاقة بين الببليوجرافيا وبين الإنتاج الفكري علاقة وطيدة . فقد وجد الأدب وازدهر في الحضارات القديمة وظهرت معه الجهود التي نشطت في تجميع وتنظيم الإنتاج الفكري ليكون في متناول الدارسين والباحثين . ويرجع ستوكس Stokes[6] نشأة العمل الببليوجرافي إلى الحضارة اليونانية متمثلة في مكتبة الإسكندرية . وتؤكد دراسات أخرى بأن فهرس تلك المكتبة لم يكن دليلاً لمجموعات من الكتب ، ولكنه كان عملاً يعبر عن اهتمامات ببليوجرافية حقيقية[7] . وعلى مدى قرون طويلة كان للمكتبات

القديمة وفهارسها دور فعال في حفظ الكلمة المكتوبة وتداولها ، حتى اعتبر الباحثون البيليوجرافيون هذه الفهارس أقدم أنواع العمل البيليوجرافي[٨] . وبجانب أنشطة تلك المكتبات نمت جهود فردية تحمست للعمل البيليوجرافي المبكر وبدأت بقيام بعض العلماء بحصر مؤلفاتهم وإعداد قوائم لها . ففي القرن الثاني بعد الميلاد أعد الطبيب الروماني جالين Galen[٩] (١٣٠ - ٢١٠) قائمة بمؤلفاته De libris proprus liber لتكون سجلاً رسمياً لأعماله الفكرية ، وفيها استطاع أيضاً أن يسجل الأعمال التي نسبت له عن طريق الخطأ . ويعتبر هذا العمل أول تجسيد للفكر البيليوجرافي من حيث حصر وتسجيل وتحقيق المعرفة ، حيث استمرت أهميته لقرون طويلة .

ومع بداية القرن الخامس وجه جيروم Jerome[١٠] اهتمامه نحو حصر وتسجيل مؤلفات رجال الدين في ذلك الوقت في العمل الذي أطلق عليه عنوان : الكتاب الكنسيون De Scriptoribus ecclesiasticis كما أعد المؤرخ بيد Bede[١١] في القرن الثامن كتاباً عن التاريخ الكنسي Historia eclesiastica اختتمه بقائمة احتوت على أربعين عملاً تحت عنوان: Notitia de se ipoo et de libris susi.

٢ - البيليوجرافيا في العصور الوسطى :

أما في العصور الوسطى فقد تدهور النشاط الفكري في البلدان الأوربية بالمقارنة بما كان عليه في العصور القديمة ، حيث انتشرت مظاهر التخلف الاقتصادي والاجتماعي وسادت أوروبا ممارسة العلوم السحرية والشعوذة والتنجيم ، وكان للكنيسة تأثير واضح في مجالات الحياة المختلفة خاصة في التعليم الذي تركز في تعليم ونشر الشؤون الدينية ، ويتضح ذلك من وجود مراكز للنسخ في الأديرة كان يعكف فيها الرهبان على دراسة النصوص الدينية ونسخ أعداد منها .

وقد ترتب على تدهور الإنتاج الفكري في العصور الوسطى انخفاض ملحوظ في النشاط البيليوجرافي ، حيث لم يظهر من القوائم التي تحصر الإنتاج لذلك الوقت إلا عدد من المخطوطات ذات الطابع الديني ، إلى جانب عدد قليل من المخطوطات في الشعر والموسيقى[١٢] . ومنها Lynn Thorndike's for medieval latin Scientific manuscripts and langfors' for medieval French poetry.

٣ - البيليوجرافيا في الحضارة العربية الإسلامية[١٣] :

بينما كانت أوروبا في العصور الوسطى تعاني من تدهور في الأدب والفكر ظهرت نهضة ثقافية عمت أقطار العالم الإسلامي . وقد اتجه العلماء المسلمون في ذلك الوقت إلى ترجمة الأعمال الكلاسيكية لمختلف العلوم عند اليونان والاستفادة منها ، مما ساعد على تنشيط التأليف ونسخ الكتب . وقد نتج عن هذه الحركة العلمية بالبلدان الإسلامية إنتاج فكري ضخم جعل العصور الوسطى عصوراً ذهبية للفكر العربي الإسلامي .

وقد أدت هذه النهضة العلمية التي سادت البلدان الإسلامية في العصور الوسطى إلى الحاجة لحصر وتسجيل وتنظيم تداول هذا التراث الفكري ، لذلك حرص العلماء في هذا الوقت على التأكد من الإسناد في التأليف والضبط والتصحيح[١٤] . كما ترتب على هذه النهضة الفكرية الاتجاه نحو إنشاء المكتبات وتدعيمها ، فكان منها «دار الحكمه» و «دار العلم» لحفظ الإنتاج الفكري . ثم تبع ذلك توجيه الجهود لإعداد الفهارس في المكتبات لتيسير تنظيم وتداول المؤلفات ؛ وكانت هذه الجهود المبكرة بداية لممارسة العمل البيليوجرافي عند العرب .

ويوضح الحلوجي[١٥] في دراسته عن نشأة البيليوجرافيا عند المسلمين ، أن البيليوجرافيا «علم قديم في لغة العرب (وإن لم يعرف بهذا الاسم) ويرجع تاريخه المحقق إلى أكثر من عشرة قرون ..» ويشير إلى أنه «يكاد ينعقد إجماع الباحثين أن فهرست ابن النديم هو أول عمل بيليوجرافي في اللغة العربية ...» كما يضيف أنه كانت هناك « أعمال ... تمثل علامات بارزة على الطريق الطويل الذي قطعه التجميع البيليوجرافي عبر الفهرست عشرة قرون ، ابتداء من ابن النديم في الفهرست ، ومروراً بطاشكبري زاده في (مفتاح السعادة) وحاجي خليفة في (كشف الظنون) ووصولاً إلى إسماعيل البغدادي في (إيضاح المكنون) و (هدية العارفين) وانتهاء بيوسف سركيس في (معجم المطبوعات العربية والمعربة)» .

كما تبين من دراسة الحلوجي أنه بالرغم من هذا الإجماع على الفهرست إلا أن أعمالاً بيليوجرافية قد سبقته ، حيث يلاحظ «أن الجاحظ (المتوفى سنة ٢٥٥ هـ) قد ذكر مؤلفاته في أول كتابه الحيوان (ليكون ذلك كالفهرست) على حدّ تعبير أبي بكر بن الأخشاد فيما يرويه عنه ياقوت في معجمه ... وأن كتب التراجم السابقة على ابن النديم والمعاصرة له كانت تذكر في بعض الأحيان أسماء كتب المؤلفين أو تقتصر على أهم المؤلفات ، ولكن الصفة البيليوجرافية لم تكن مقصودة» . كما تتضمن الدراسة المشار إليها ما يفيد بأن في كتاب الفهرست نفسه إشارات متعددة إلى أعمال بيليوجرافية سابقة اعتمد عليها ابن النديم ونقل عنها ، وأن «علم البيليوجرافيا عند العرب تمتد جذوره إلى أواخر القرن الثاني الهجري أي إلى ما قبل الفهرست بما يقرب من قرنين كاملين» .

٤ ــ الببليوجرافيا في عصر النهضة الأوروبية :

ومع قرب انتهاء العصور الوسطى بدأت الببليوجرافيا الانتقال إلى مرحلة جديدة في ظل عصر النهضة ــ وذلك ما بين القرن الرابع عشر والقرن السابع عشر ــ حيث اختلفت الظروف الثقافية اختلافاً كبيراً عما كانت عليه من قبل .

ويصف المؤرخون عصر النهضة بأنه حركة انتقالية في أوروبا بين القرون الوسطى والعصر الحديث . وقد تميز هذا العصر بمواجهة التدهور الذي أصاب الحياة الثقافية في أوروبا عبر العصور السالفة حيث تركزت الجهود على الاهتمام بالكتاب بصفته أحد العوامل الرئيسية في إصلاح التدهور الثقافي ، وبدأ الاهتمام بأخذ اتجاهين : الوجه الموضوعي للكتاب من ناحية قيمته العلمية في تغيير فكر الإنسان ، والوجه المادي للكتاب الذي يتمثل في كيفية إخراجه وسرعة تصنيعه لتسهيل تداوله . ويرتبط الاهتمام بالوجه الموضوعي بنهضة علمية عرفت بالحركة الإنسانية Humanist movement التي تهدف إلى إحياء الآداب الكلاسيكية ، ومن خلال هذه الحركة اهتمت العلوم الإنسانية بالاستفادة من تراث العصور القديمة التي حازت على إعجاب المثقفين بآثارها التذكارية وأعمالها الفنية والأدبية . لذلك عكف الإنسانيون على دراسة تلك الآداب والعمل على إحيائها للاستفادة منها في دراساتهم التي كانت تتطلب البحث المستمر عن هذا التراث الفكري القديم . كما انشغل علماء اللغات بترجمة ما يعثر عليه الباحثون من هذا التراث ثم قيام البعض بنسخ أعداد كثيرة منها لتوافرها للدراسين . وأصبح البحث عن الكتب وحصرها امتداداً لدراسات هؤلاء العلماء .

أما فيما يتعلق بالاهتمام بالوجه المادي للكتاب وكيفية إخراجه فقد ارتبط ذلك باختراع الطباعة المتحركة[١٦] في منتصف القرن الخامس عشر ما بين عام (١٤٤٠ و ١٤٥٠) . ويعد اختراع الطباعة من أهم العوامل التي ساعدت في إعداد الببليوجرافيات وانتشارها .

واستهل المطبعيون أول عملهم بطباعة كثير من مخطوطات الأعمال الفكرية الكلاسيكية وبعض الأعمال الدينية التي ظهرت في القرون الوسطى ، وبذلك توفر لرجال العلم أعداد كبيرة من الكتب المطبوعة ، وقد أدى هذا التطور في تصنيع الكتاب إلى انتشار الفكر وما تلاه من زيادة في الطلب على الكتب في مختلف دول أوروبا .

وقد نتج عن الحركة الإنسانية واختراع الطباعة ظاهرتان كان لهما أثر كبير على تقدم الممارسات الببليوجرافية وهما :

ــ اكتشاف العنوان .

ــ والالتزام بتاريخ الطباعة والنشر[١٧] .

ذلك أن ممارسة تحديد عنوان للكتاب لم تكن معروفة إلا قليلاً في بدء عصر الطباعة ، حيث إن كثيراً من مؤلفات العصور القديمة والوسطى لم يكن لها عناوين ، والقليل منها الذي تضمن عنواناً كان يصعب تحديد مكانه في الكتاب . لذلك جاهد الباحثون في مجال العلوم الإنسانية ــ من خلال بحثهم عن الكتب ــ إلى إيجاد وصياغة عناوين لعدد كبير من كتب الحضارات القديمة التي قاموا بحصرها وترجمتها تمهيداً لتجميعها في قوائم ، كما اهتم هؤلاء الباحثون بمحاولة تحديد أقرب تاريخ تم فيه تأليف بعض هذه الكتب ، ثم عملوا على إلزام أصحاب المطابع بالإشارة إلى تاريخ الطباعة على كل كتاب . لذا كان لتوفير كل من العنوان وتاريخ النشر بالكتاب دور كبير في إزالة كثير من العقبات التي كانت تعوق من تقدم الببليوجرافيا .

وهكذا أصبح للنشاط الببليوجرافي بيئة صالحة تتمثل في الاهتمام بالتأليف والبحث عن الكتب والتحقق من العنوان والتاريخ مما وفر مظاهر ببليوجرافية حقيقية دفعت بالعمل الببليوجرافي إلى الأمام .

ويذكر بسترمان Besterman[١٨] أن أول ممارسة ببليوجرافية يشهد لها بالإتقان في ظل هذه الجهود كانت لجوهان تريثايم Johannes Tirtheim بعنوان «كتاب المؤلفين الكنسيين» Liber de scriptoribus ecclesiasticis. وذلك في مدينة باسل (Basil) عام ١٤٩٤ . وقد جمع تريثايم في هذا العمل ما يقرب من سبعة آلاف عنوان في مائة وأربعين ورقة ، حتى سمي بالأب الشرعي للببليوجرافيا . ومنذ ذلك الوقت تتابعت ممارسة إعداد الببليوجرافيا بنمط أسرع وأعظم مما كانت عليه ، ولكنها لم تحمل اسم «ببليوجرافيا» بل كانت تسمى بكاتلوج أو فهرس Catalog بالانجليزية أو مكتبة Bibliotheque بالفرنسية ، حتى إن العمل الببليوجرافي المشهور الذي أعده العالم الألماني كونراد جسنر Conard Gesner أطلق عليه اسم المكتبة العالمية Universalls Bibliotheca وكان ذلك عام ١٥٤٥ م .

ثانيا : أنواع الحصر الببليوجرافي :

١ ــ نشأة الببليوجرافيا التجارية Trade Bibliography

كان تقدم الببليوجرافيا حتى نهاية القرن الخامس عشر يتم على يد بعض العلماء الذين كان لهم فضول علمي شديد في البحث عن المعرفة وجمع أجزاء متفرقة منها . ولكن بتلاحم الحركة الإنسانية مع اختراع الطباعة نشأ مناخ علمي نتج عنه منافسة شديدة في التعليم وزيادة مضطردة في إنتاج الأعمال العلمية والأدبية . هذا بالإضافة إلى ظهور عدد من عظماء رجال العلم والفكر ، منهم إراسمس Erasmus وتوماس مور Thomas more ومكيافيللي Machiavelli ورابليه Rabelais ولوثر Luther وشكسبير Shakespear .

وقد غمر أمثال هؤلاء العظماء القرن السادس عشر بإنتاج فكري غزير ساعدت الطباعة على سرعة توافره . وأدت هذه الوفرة إلى ظهور الحاجة إلى قوائم تحصر هذا الكم من المؤلفات من أجل التعرف على وجوده وإعلام أكبر عدد من القراء به ، ونتج عن ذلك توجيه الاهتمام نحو أعمال النشر ، وقد انعكس هذ الاهتمام على صناعة الطباعة ، حيث تجاوز عمل أصحاب المطابع مجرد طباعة المؤلفات الفردية والإعلان عنها إلى إعداد قوائم تحصر الكتب المطبوعة لديهم ولدى آخرين وتنسيقها في فهرس "Catalogu" وذلك لعرضها للبيع .

وخلال القرن السادس عشر بدأت تقام معارض لبيع الكتب في المدن الأوروبية الكبيرة . وتوضح الكتابات في هذا الشأن أن فهارس أوسترن Ostern ومايكليس Mickaelis من أوائل الفهارس التي استخدمت لعرض ما يتوافر من كتب للبيع . وفي إطار هذا التطور اتجه أصحاب المطابع المشهورين في الدول الأوروبية نحو تجميع وحصر الإنتاج الفكري الحديث لألمانيا والدول المحيطة بها وعرضه في معارض الكتب . ويذكر أن جورج ويلر George Wheeler وهو بائع كتب في مدينة اجسبرج بألمانيا أصدر أول فهرس في عام ١٥٦٤ في معرض مدينة فرانكفورت ، وقد احتوى الفهرس على ٢٥٦ كتاباً ووقع في تسع عشرة صفحة . وحيث إن معارض الكتب في ألمانيا كانت تقام أثناء احتفالات الكنائس ، لذا أضيفت كلمة "Mess" التي تعني شعائر الصلاة الكنسية ــ قبل كلمة Katalog وأصبح اسم الفهرس The Mess Katalog[١٩] .

وقد تتابع صدور هذا الفهرس بمعرفة أصحاب المطابع حتى عام ١٥٩٨ حينما تولت جهات حكومية في مدينتي فرانكفورت وليبزج الإشراف على معارض الكتب ، واستعانت بأساتذة من الجامعات في تطوير وإنتاج الفهرس حتى يكون له طابع علمي بجانب الغرض التجاري . ونتيجة لزيادة الإنتاج الفكري لدول أوروبا فقد اقتصر هذا الفهرس بعد ذلك على حصر المنتج الطباعي لألمانيا فقط . وهكذا لم تصبح ألمانيا مهد الطباعة فقط ، وإنما أصبحت أيضاً القاعدة التي ينطلق منها العمل البيليوجرافي إلى دول أخرى . ولقد انتقل النموذج الألماني لهذا النشاط البيليوجرافي إلى انجلترا حيث أعد أندرو مونسيل أول فهرس شامل للكتب المطبوعة فيها عام ١٥٩٥ وسمي Andre Mmaunsell Catalog of English Printed Book ولقد لحق جهود مونسيل صدور مجموعة من الفهارس التي كان لها أثر واضح في تقدم النشاط البيليوجرافي في هذا الوقت بانجلترا ومن أهمها الفهارس الفصلية The Term Catalogues التي كانت تصدر تحت إشراف روبرت كلافيل منذ عام ١٦٦٨ م والتي ضمت ما يقرب من ٢٠٠٠٠ مطبوع ، ثم فهرس لندن The London Catalogue الذي أشرف على إصداره وليم بنت William bent منذ عام ١٧٧٣ م حتى ١٨٢٣ م الذي نتج عنه الفهرس الإنجليزي المشهور The English Catalogue الذي لا يزال يصدر حتى الآن[٢٠] .

هذا وقد انتقل النمط نفسه إلى فرنسا ، حيث أعد جوزيف يعقوب عام ١٦٤٥ م حصراً بالكتب التي نشرت في فرنسا تحت عنوان البيليوجرافيا الباريسية Bibliographia Parisiana ثم انتشر إنتاج هذه الفهارس في سائر الدول الأوروبية وخاصة هولندا التي كان لها دور قيادي في تجارة الكتب .

وامتد هذا النشاط البيليوجرافي إلى الولايات المتحدة الأمريكية في القرن الثامن عشر ولكن لم يظهر بوضوح إلا في القرن التاسع عشر . وكان للتطورات الاقتصادية والاجتماعية في أمريكا أثر كبير على اتساع العمل البيليوجرافي وخاصة المرتبط بتجارة الكتب ، حيث نتجت فيها أعمال بارزة في هذا المجال يستفيد منها العالم كله من أهمها : النشرة الأسبوعية للناشرين Publishers Weekly التي بدأها بوكر Bowker منذ عام ١٨٧٢ م والفهرس التراكمي للكتب Cumulative Books Index الذي أعده ويلسون Wilson منذ عام ١٨٩٨ م ليكون سجلاً لكل ما ينشر من كتب في الولايات المتحدة الأمريكية ، وابتداء من عام ١٩٢٩ م أصبح يتضمن فهرس ويلسن كل ما ينشر باللغة الإنجليزية ويصدر شهرياً ، بالإضافة إلى المجلدات التي تضم أعداد ستة أشهر . هذا إلى جانب سجل الكتب الأمريكية American Book Publishing Record الذي تعده شركة بوكر منذ عام ١٩٦٠ م ــ ثم القائمة التجارية للناشرين Publishers Trade List Annual التي تعدها أيضاً شركة بوكر وتجمع فيها أكثر من ١٥٠٠ ناشر في الولايات المتحدة الأمريكية .

وهكذا نجد أنه قد تنافس الناشرون في إخراج فهارس الكتب واعتمدوا على البيليوجرافيا التي أنجزها كبار العلماء على مدى العصور ، وذلك لإتقان اعداد المداخل ووصف بيانات الكتب حتى أصبحت هذه الفهارس بما تحتويه من أساليب ومبادىء للوصف والعرض والتنظيم أدوات بيليوجرافية يعتمد عليها الباحثون في البحث عن المعرفة .

وقد استمرت مسيرة التطور في هذا النشاط تتألق في العالم الغربي وخاصة في كل من المملكة المتحدة والولايات المتحدة الأمريكية في العصر الحديث حتى أطلق عليه الباحثون مصطلح البليوجرافيا التجارية Trade Bibliography .

٢ ــ الببليوجرافيا الوطنية National Bibliography

يتضح من التحليل السابق أهمية الدور الذي قام به الناشرون والذي ساعد في تكوين قاعدة ببليوجرافية للإنتاج الفكري الغربي ، غير أنه بالرغم من الجهود المكثفة التي بذلت إلا أن كثيراً من فهارس الناشرين لم تستمر لفترة طويلة . فقد كانت أهداف الناشرين اقتصادية في المقام الأول ، وكانت تفتقر إلى التنظيم على المستوى الوطني لإخراج عمل موحد ومستمر خاصة في ظل الزيادة المطردة في الإنتاج الفكري . لذلك ظهرت الحاجة إلى التنسيق في تجميع ما ينشر من إنتاج فكري على مستوى الدولة وضرورة إحاطته برعاية رسمية من جانب الحكومة .

وقد سبقت ألمانيا دول العالم في هذا الاتجاه ، وذلك عندما أشرفت الحكومة في مدينتي فرانكفورت وليبزج على إنتاج The mess Katalog وأوصت بأن يقتصر على الإنتاج الطباعي لألمانيا فقط .

ويعتبر هذا الفهرس الذي استمر إصداره من منتصف القرن السادس عشر إلى منتصف القرن التاسع عشر تحت إشراف الحكومة ليأخذ طابعاً وطنياً هو البداية الفعلية للببليوجرافيا الوطنية .

وأخذاً بهذا الاتجاه القومي في مجال الببليوجرافيا أصبحت فهارس الناشر في باقي الدول الأوروبية تقتصر على ما يطبع من إنتاج فكري وطني . غير أن تزايد الميول والنزعات الوطنية في أوروبا التي ألهبت الثورة الفرنسية أوجدت المزيد من الإنتاج الفكري ، وأصبحت فهارس الناشرين سواء السنوية أو الفصلية منها غير قادرة على مواجهة تزايده . لذا اشتدت الحاجة لضرورة إيجاد أساليب أكثر دقة من الفهارس تساعد على سرعة إحصاء وتداول الإنتاج الفكري الوطني . وبناء عليه اتجهت الجهود نحو إصدار مطبوعات تحصر الإنتاج الفكري على فترات أكثر تقارباً من فهارس الناشرين ، هذا بالإضافة إلى تدعيم مبدأ الإيداع القانوني الذي يلزم الناشر أو المؤلف بأن يقدم للدولة عدداً من النسخ لكل كتاب ينشر على أرضها . وضماناً لدقة وسرعة حصر الإنتاج الفكري في الدولة صدر مرسوم في فرنسا عام ١٧٧٠٩ م ينص على ضرورة رصد المنتج الطباعي لفرنسا أسبوعياً في صحيفة العلماء وصحيفة بارس[٢١] ثم صدر قانون عام ١٨١١ م يقضي بتدعيم الصحيفة الأسبوعية "Annales: Typographiquees: Notice due progres des Conaissances humaines" «حوليات طباعة : بيان عن تقدم المعارف الإنسانية» . وتم تخصيصها لحصر الإنتاج الفكري الحديث لفرنسا . وقد تغير عنوان هذه الصحيفة عدة مرات إلى أن أصبحت الببليوجرافيا الوطنية لفرنسا .

وقد تبين للباحثة من تحليل الكتابات المختلفة في هذا الشأن أن هذه الدورية تعتبر أول دورية ببليوجرافية للإنتاج الفكري الحديث في العالم .

وقد امتد نمط إصدار الدوريات الببليوجرافية إلى الدول الأوروبية الأخرى . ففي انجلترا ظهرت مجموعة من الدوريات لحصر الإنتاج الفكري الحديث ، منها Bookseller و Publishers وقد أثمرت فيما بعد إصدار الببليوجرافيا القومية الإنجليزية The British National Bibliography التي تعد من أشهر الببليوجرافيات القومية في العالم ، وهي تصدر أسبوعياً مع تجميعات شهرية وسنوية . وأصبح يطلق على هذه المطبوعات الدورية التي تصدر بصفة رسمية وتسجل الإنتاج الطباعي الوطني الحديث «الببليوجرافيا الوطنية الجارية» .

هذا واستمرت الفهارس التجارية للناشرين تستخدم في أغراض بيع الكتب وفي بناء ببليوجرافيات عن فترات زمنية سابقة حيث يطلق عليها مصطلح الببليوجرافيا الوطنية الراجعة .

٣ ــ نشأة الببليوجرافيا الموضوعية Subject Bibliography

يبدو واضحاً مما سبق أن توافر قوائم الكتب قد ساعد على انتشار الكتاب مما أدى بدوره إلى انتعاش الحركة الفكرية ، واتجه العلماء في القرن السابع عشر نحو عالم الطبيعة الذي بدأ يتعرض لتفسيرات علمية جديدة أدت إلى اكتشاف حقائق علمية جليلة . واهتم العلماء حينذاك بالتعرف على تاريخ العلوم وتحديد معالمها وذلك بالبحث والتنقيب في المؤلفات القديمة .

وقد ترتب على وجود هذا المناخ العلمي إقبال شديد على تأليف الكتب في العلوم الطبيعية بعد أن كاد يقتصر على العلوم الإنسانية . وقد كان لمشاركة الأكاديميين في إعداد فهارس بيع الكتب في ألمانيا ــ كما سبقت الإشارة ــ أثر فعال في سهولة وسرعة تداول الكتب . فقد نتج عن هذه الإسهامات إمكانية التوصل إلى أسلوب علمي لتصنيف الكتب في تلك الفهارس حسب موضوعاتها ، بالإضافة إلى تنظيم مداخلها تحت كلمات مفتاحية تساعد في الوصول إلى الموضوعات العلمية التخصصية .

وقد أتاح هذ الأسلوب العلمي في إنتاج الفهارس الفرصة أمام الباحثين المهتمين بتاريخ العلوم لحصر المؤلفات التي تناقش الموضوعات المتقاربة مع بعضها البعض . وكانت أولى هذه المحاولات في مجالات الفلسفة والطب واللاهوت ، حيث نتج عن هذه المحاولات حصر ببليوجرافي للكتب في الفلسفة تحت عنوان المكتبة الفلسفية Bibliotheca Philosophica في عام ١٩٨٢ م ،

وحصر ببليوجرافي للكتب الطبية تحت عنوان المكتبة الطبية Bibliotheca medica في عام ١٦٨٥ م ، وحصر ببليوجرافي في اللاهوت بعنوان المكتبة الحقيقية في اللاهوت Bibliotheca Realis Theologica في عام ١٦٧٩ [٢٢] .

هذا بالإضافة إلى أن ظهور الدوريات العلمية في النصف الثاني من القرن السابع عشر وتزايدها المستمر كان له أثر كبير على تطور الحصر الموضوعي ، فقد صدرت أولى هذه الدوريات في فرنسا عام ١٦٦٥ م بعنوان صحيفة العلماء Journal des Scavants [٢٣] وظهرت مثيلتها في لندن بعنوان : الوقائع الفلسفية Philosophical Transactions عام ١٦٦٥ م . وفي ألمانيا صدرت باسم أعمال العلماء Acta Eruditorum عام ١٦٨٢ .

ولم تتسم هذه الدوريات في بدء نشأتها بالصفة التقليدية للدوريات في نشر مقالات علمية على صفحاتها ، وإنما اتجهت نحو حصر المؤلفات الفكرية في المجالات العلمية ثم تقديم مراجعات نقدية عنها ، بالإضافة إلى التحدث عن النظريات العلمية الحديثة . وكان هذا الاتجاه للدوريات العلمية دافعاً للباحثين لإعداد حصر ببليوجرافي في الموضوعات التي تمثل اهتماماتهم ، أي أن الدوريات العلمية تعتبر عاملاً رئيسياً في دفع عجلة تقدم الببليوجرافيا الموضوعية ، حيث تولى بعد ذلك إنتاج الحصر الببليوجرافي المتخصص في مجالات المعرفة المختلفة . وظهرت بشدة حاجة البحث العلمي إلى هذا النشاط الببليوجرافي حتى أطلق عليه المفكرون إلى جانب مصطلح الببليوجرافيا الموضوعية عدة مصطلحات من أهمها : الببليوجرافيا الفكرية Intellectual Bibliography [٢٤] .

٤ ــ حصر المفردات والموضوعات الموسوعية والسير الذاتية :

وعلى مدى العصور اختلفت اهتمامات العلماء وتنوع الإنتاج تبعاً لذلك . وانعكس هذا على النشاط الببليوجرافي ليتناول ليس فقط حصر الإنتاج الفكري ، وإنما كل ما يتعلق به من حيث المفردات والمشاهير من العلمين والموضوعات الموسوعية ، فظهر مؤلفو المعاجم مثل جونسون Johnson ، ومؤلفو الموسوعات مثل ديديرو Diderot ودالمبار Dalembart [٢٥] ونتيجة للاهتمام بعلم التاريخ في القرن الثامن عشر ، اتجه الباحثون أيضاً إلى حصر الأحداث التاريخية والتعليق عليها وتفسيرها وجمعها في تقاويم أطلق عليها المصطلح Almanacs هذا وقد امتدت موجة الاهتمام بالتاريخ إلى حياة المشاهير من رجال العلم ، حيث اهتم الباحثون الببليوجرافيون بحصر هؤلاء المشاهير وكل ما يتعلق بسيرهم الذاتية وحياتهم العلمية . فظهر في منتصف القرن الثامن عشر أول عمل في هذا الصدد في فرنسا بعنوان «مذكرات في تاريخ الرجال المشهورين في ميدان الأدب مع قائمة بمؤلفاتهم» في ٤٣ مجلداً تحصر رجال الأدب والعلوم الذين نالوا شهرة منذ عصر النهضة بغض النظر عن الأمة التي ينتمون إليها [٢٦] .

٥ ــ حصر الكتب النادرة :

وخلافاً لما اهتم به الإنسانيون في القرن السادس عشر من جمع كتب الحضارات القديمة لما تحتويه من أفكار علمية مفيدة ، اهتم جمهور جديد في القرن الثامن عشر بالبحث عن الكتب ذات اللمسات الجمالية النادرة ، حيث أصبح الكتاب القديم النادر مادة فنية ثمينة أكثر منه مصدراً للمعرفة . وكان الاتجاه بين الفئات الأكثر ثقافة نحو تكوين مجموعات من الكتب الجميلة النادرة في منازلهم بجانب التحف . وبانتشار هذا الاتجاه طاف الكثيرون المدن للبحث عن الكتب النادرة وجمعها . وأصبح للكتاب المزين بالرسم سوق تجارية رائجة ، حيث اجتذبت تلك الرسوم والزخارف مع التجليد الفاخر عدداً كبيراً من مشتري الكتب . كما أقيمت النوادي والأسواق لبيعها في مزادات .

وهكذا انتشرت هواية جمع الكتب النادرة في نهاية القرن الثامن عشر ، وكان لها أثر ملحوظ على الحياة الفكرية عامة وعلى الببليوجرافيا بصفة خاصة ، وخلفت نشاطاً ببليوجرافياً لم يكن موجوداً من قبل [٢٧] .

وقد نشأ النشاط الببليوجرافي الخاص بالكتب النادرة في فرنسا وأطلق عليه الببليوجرافيون عدة مصطلحات ، منها Bibliophilism الولع بالكتب وجمعها ، و Bibliomania الجنون بالكتب . ومن أوائل المؤسسين لهذا المجال دي بور De Bure وقد أعد دراسة مشهورة في هذا القطاع العلمي بعنوان : «الببليوجرافيا التعليمية ... دراسة في معرفة الكتب النادرة والفريدة» Bibliographi Instructive وظهرت في سبعة مجلدات ما بين عام ١٧٦٢ م و ١٧٩٣ م . وقد عرفت بأنها أول قائمة في النشاط الببليوجرافي للكتب النادرة ، إذ حاول فيها المؤلف حصر أروع المؤلفات التي ظهرت في جميع العلوم وبمختلف اللغات في ذلك الحين [٢٨] .

وفي ألمانيا ظهر الاهتمام نفسه بالكتب القديمة النادرة ، حيث بدأه فوج Vogue عام ١٧١٩ . وقد اهتم هواة جمع الكتب بالوصف الدقيق لمقتنياتهم من الكتب النادرة وإعداد فهارس لها ، وأحسن دليل على ذلك مكتبة دوق دولاقليير في فرنسا ١٧٦٩ م [٢٩] .

وقد تبين للباحثة أن القواعد التي اتبعت في وصف تلك المجموعات تعبر عن نشاط ببليوجرافي جديد يختلف كلية عن النشاط الحصري ، حيث يعتمد هذا المجال على المعرفة الجيدة بجميع مراحل إخراج الكتاب وبالفنون التي تستخدم في صناعته . وأصبح هذا العمل بمثابة نواة لنشاط ببليوجرافي تطبيقي ساعد على تحول

الببليوجرافيا من دور الممارسة إلى مرحلة إرساء أسس وقواعد العلم .

ثالثاً : الببليوجرافيا مهنة تخصصية :

لقد كانت الثورة الفرنسية بمثابة عامل تاريخي مهم ساعد على تفجر ما سمّي بالثورة الببليوجرافية[٣٠] . ففي عام ١٧٨٩ أصدرت حكومة الثورة قراراً بتأميم ممتلكات الجمعيات الدينية والهيئات الأكاديمية ، وأصبحت الدولة مالكة لأعداد ضخمة من المطبوعات والمخطوطات التي صادرتها من تلك الهيئات . وصاحب حركة التأميم هذه انتزاع الكتب من أماكنها الأصلية وإلقاؤها في المستودعات الحكومية بطريقة غير منظمة . ومن ثم أصبح من العسير الحصول عليها وقت الحاجة . وقد دفع ذلك المسئولين في السلطة إلى محاولة إيجاد حلول سريعة لحماية هذا الكم الضخم من الكتب والعمل على إنشاء مكتبات عامة لاحتوائها .

وفي هذا الصدد تبنت الدولة تنفيذ مشروع يهدف إلى الرعاية الوطنية للببليوجرافيا ، وأنشىء لهذا الغرض المكتب الببليوجرافي المركزي في باريس عام ١٧٩٣ م ، وتمت الاستعانة بعدد من المفكرين في هذا المجال . وأسند إلى هذا المركز دراسة تنظيم مجموعات الكتب وتوزيعها على المكتبات العامة للدولة ، وذلك حتى تتحقق أكبر فائدة منها . وفي عام ١٧٩٦ م قدم كل من كامو Camus واميلون Emilon ــ وهما من أعضاء هذا التنظيم الوطني ومن المشاهير الببليوجرافيين في فرنسا ــ بياناً تمّ فيه عرض نتائج دراستهما عن الببليوجرافيا[٣١] . وقد توصل الباحثان إلى مفهومين حول دراسة الكتب : **المفهوم الأول** : يختص بمعرفة المعالم الخارجية للكتاب وذلك بتقويم الكتاب وفقاً لتاريخه ، وطباعته وكل العناصر التي تجعله في عداد الكتب النادرة التي تحدد قيمته المالية أيضاً . **والمفهوم الثاني** : ينحصر في معرفة ماهية الكتب العلمية التي نوقشت فيها موضوعات المعرفة التي يمكن عن طريقها معرفة التخصصات العلمية المختلفة ومتابعة تطورها . وقد توصلت الدراسة أيضاً إلى أن هناك وفرة في المعلومات التي تساعد في دراسة الكتب النادرة ، ولكن هناك قصوراً شديداً في المعلومات التي تساعد في تنظيم ومعالجة الكتب العلمية . لذلك شمل البيان توصيات تؤكد ضرورة العمل على إيجاد نظام جديد لدراسة الكتب التخصصية والأكثر نفعاً في كل فرع من فروع المعرفة ، ذلك لأن هذا النوع من العمل الببليوجرافي يعمل على تنشيط وتداول هذه الكتب ومن ثم زيادة انتشار المعرفة .

وهنا ظهرت الحاجة الشديدة إلى فئة من المثقفين الذين لهم دراية ومعرفة واهتمام بشئون الكتاب للعمل في مكتبات الدولة ، وقد دفع هذا بالمسئولين إلى الاهتمام بالتدريب في مجال الببليوجرافيا ، وفي نهاية القرن الثامن عشر بدأت ممارسة العمل الببليوجرافي تأخذ صفة المهنة وذلك في نطاقين : الأول : في المكتبات التي يتزايد عددها يوماً بعد يوم . والثاني : في مجال تاريخ الإنتاج الفكري الذي يعتمد على حصر الكتب والبحث فيها . وقد أدت هذه التطورات ــ التي جعلت من الببليوجرافيا مهنة تخصصية ــ إلى ظهور ما سمّي بالثورة الببليوجرافية التي كانت فرنسا الرائدة فيها بين دول العالم ، حيث اكتسبت لقب «الأرض الكلاسيكية للببليوجرافيا»[٣٢] . The Classical land of bibliography .

رابعاً : تكوين الفكر الببليوجرافي :

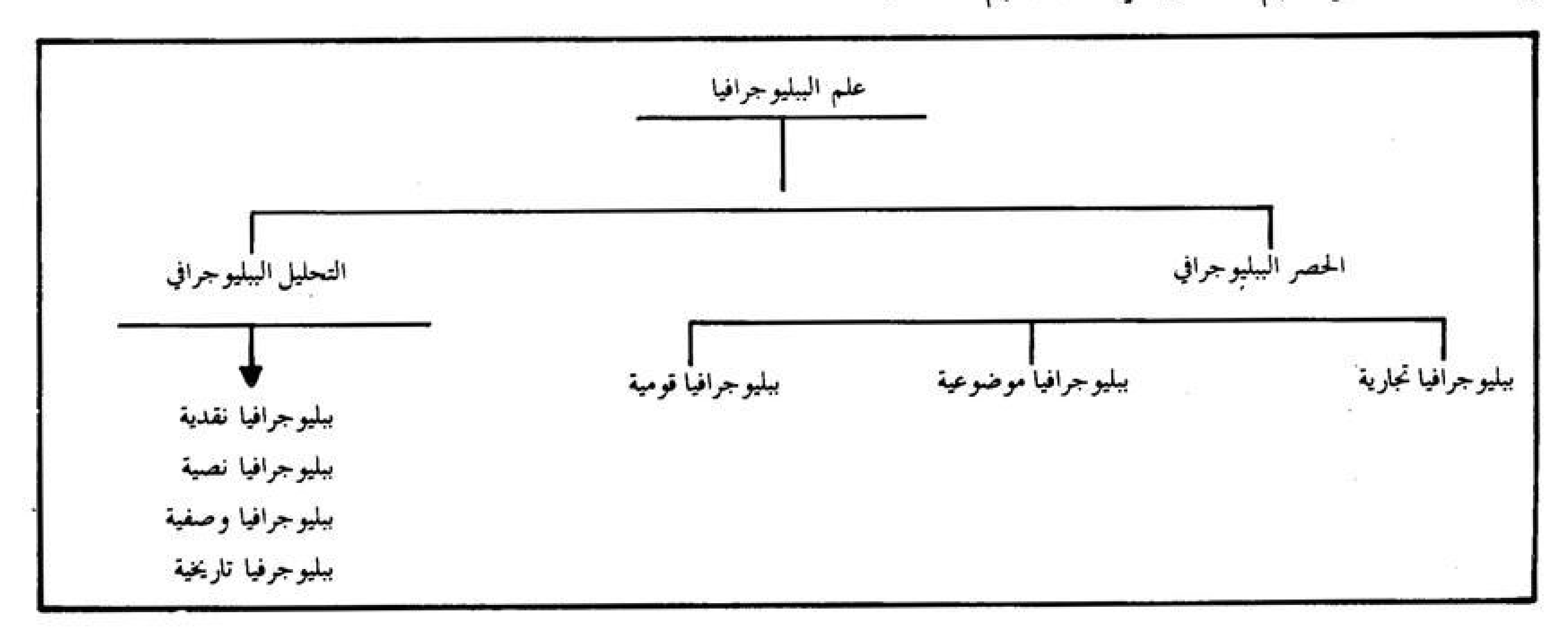
ومع مطلع القرن التاسع عشر أصبح لمزاولة العمل الببليوجرافي نتائج ملموسة عما كانت عليه في الأزمنة السابقة حيث انتقل جوهر العمل من نطاق جمع الكتب لاقتنائها والولع بها إلى نطاق العلم بها والإفادة منها . وقد ترتب على التوسع في ممارسة إعداد القوائم الببليوجرافية ازدياد الحاجة إلى تحديد وتوضيح الأساليب الواجب اتباعها في إعداد هذه القوائم ، لذا أخذت المناقشة العلمية تدور حول كيفية إعداد القوائم بدلاً من المناقشات العامة حول قيمة الكتب النادرة ، وظهرت أولى الأعمال النظرية في الدراسات الببليوجرافية في فرنسا ، وتبعها دراسات مماثلة في الدول الأوروبية الأخرى . وكانت الدراسات الببليوجرافية تتجه حسب مفهوم واهتمامات كل مجتمع ببليوجرافي في ذلك الوقت .

ففي ألمانيا حيث كان الاهتمام بتاريخ الأدب ، وجهت الدراسات نحو دراسة الإنتاج الفكري على يد كل من ارش Ersh وكايزر Kayzer وابرت Ebert . وفي فرنسا حيث تركزت الجهود حول التنقيب عن التاريخ وإعادة صنعه اتصفت الدراسات الببليوجرافية لكل من كيرار Kirar وكامو Camus وبجنو Peignot بالجانب التاريخي الذي يختص بدراسة الكتابات القديمة Paleography . أما في انجلترا حيث الاهتمام الشديد بضبط السرقات الأدبية والكتاب المزيفين الذين كثر عددهم في القرن التاسع عشر فقد تركز الاهتمام حول دراسة الكتب كأشياء مادية ، وذلك بتحليل العناصر المادية التي تتكون منها صناعة الكتاب حتى يتمكن الببليوجرافي من التحقق من صحة البيانات التي ينسبها المؤلفون والطابعون لأنفسهم . وبرع في هذا المجال في انجلترا حينذاك كل من بنت Bent ووات Watt وماكيرو Mckerrow وبولارد Pollard وجريج Greg .

ويتضح من التحليل السابق أن الثورة الببليوجرافية لم تقتصر على ممارسة الببليوجرافيا كمهنة ، بل امتدت إلى تكوين نواة الفكر

البيليوجرافي على يد عدد من رجال العلم الأكاديميين الذين وجدوا في الكتاب هدفاً اقتصادياً واجتماعياً بجانب الهدف الثقافي . فجعلوا من البحث في شئون تنظيمه ــ لإمكانية الاستفادة منه وسرعة الوصول إليه ــ امتداداً لدراساتهم الأكاديمية في تخصصاتهم المختلفة .

كما يتضح أيضاً أن هناك تبايناً في الفكر الذي بناه هؤلاء حول علم البيليوجرافيا ، وقد أدى ذلك فيما بعد إلى تقسيم علم البيليوجرافيا إلى عدد من الأنشطة الرئيسية والفرعية كما يأتي :



وعلى الرغم من أن مزاولة العمل البيليوجرافي في الولايات المتحدة الأمريكية لم تبدأ إلا في القرن التاسع عشر إلا أنه كان على مستوى متفوق منذ أعقاب الحرب العالمية الأولى ، حتى أصبحت الولايات المتحدة الأمريكية في هذا النشاط نموذجاً يحتذى به في كل دول العالم ، وذلك للاهتمامات التي وجهت فيها لإرساء القواعد العلمية للنشاط البيليوجرافي ليصبح تخصصاً علمياً مهماً . هذا وقد تم إنشاء مراكز بيليوجرافية عديدة بها في كافة العلوم الإنسانية والاجتماعية والطبيعية . وقد نما فيها أيضاً فئة من البيليوجرافيين لم يكن هدفهم الأساسي حلّ المشكلات البيليوجرافية كلما نشأت ، وإنما ركزوا الاهتمام حول تنفيذ العديد من المشروعات البيليوجرافية الهادفة ذات التطبيقات العلمية النافعة . ولم يكن للولايات المتحدة الأمريكية دور القيادة فقط في ممارسة العمل البيليوجرافي ، بل أيضاً في نشر التعليم البيليوجرافي المنهجي بالرغم من تأخر ظهور النشاط البيليوجرافي بها بالمقارنة بما كان عليه الحال في دول أوروبا .

وترى الباحثة أن الجهود البيليوجرافية التي ظهرت مؤخراً في الولايات المتحدة الأمريكية هي في واقع الأمر تتويج للجهود التي سبقتها في دول أوروبا فيما يتعلق بتكوين الفكر البيليوجرافي .

خامساً : الجمعيات البيليوجرافية :

تعتبر الجمعيات العلمية أحد العوامل الأساسية في النهوض بالعلم وترسيخه . لذلك فقد تأسس عدد من هذه الجمعيات لتدعيم وتنمية النشاط البيليوجرافي . فأنشئت الجمعية البيليوجرافية Societe Bibliographique في باريس عام ١٨٦٨ م ، والجمعية البيليوجرافية الألمانية Deutsche Bibliographische عام ١٩٠٢ م ، وفي المملكة المتحدة تأسس عدد من هذه الجمعيات في كل من أدنبره The Edinburgh Bibliographical Society في عام ١٨٨٩ م ، وفي جلاسجو The Glasgow Bibliographical عام ١٩٠٦ م ، وفي ويلز The Welsh Bibliographical Society . أما في لندن فقد أنشئت فيها The Royal Bibliographical Society of London عام ١٨٩٢ م ، وفي الولايات المتحدة الأمريكية تكونت الجمعية البيليوجرافية في شيكاغو The Bibliographical Society of Chicago عام ١٩٠٤ م . وهي التي أصبحت الآن The Bibliographical Society of America ثم تأسست فيها أيضاً عام ١٩٤٨ م الجمعية البيليوجرافية لجامعة فرجينيا The Bibliographical university of Virginia وقاد العمل فيها البروفسور باورز Bowers وهو من أشهر البيليوجرافيين المعاصرين[٣٣] .

وقد ساهمت هذه الجمعيات في رفع منزلة العمل البيليوجرافي عن طريق البحوث والدراسات العلمية التي نشرتها والدوريات التي أصدرتها . غير أن تباين الفكر بين العلماء المنتمين إلى هذه الجمعيات في كل من أوروبا والولايات المتحدة الأمريكية أظهر الحاجة إلى

جهاز مركزي يكون بمثابة اتحاد للهيئات والجمعيات العلمية في هذا المجال يهدف إلى تنسيق الجهود لممارسة العمل الببليوجرافي على أسس علمية وعلى نطاق دولي .

سادساً : انتقال الببليوجرافيا للمحيط الدولي :

وقد تبلورت جهود الببليوجرافيين في إنشاء المعهد الدولي للببليوجرافيا[٣٤] ما بين عام ١٨٩٥ - ١٩٠٤ في بروكسل الذي يعد حدثاً تاريخياً مهماً في تطور الببليوجرافيا . وقد أنشىء المعهد ليكون هيئة دولية ينتمي إليها العلماء الببليوجرافيين من مختلف دول العالم ، وليكون جسراً بين الفكر الببليوجرافي الحديث الذي تولد في الولايات المتحدة الأمريكية وبين الفكر الذي سبقه في أوروبا على مدى ثلاثة قرون .

هذا وقد جاءت فكرة إنشاء المعهد المشار إليه من خلال أعمال وتوصيات ثلاثة مؤتمرات دولية عقدت في بروكسيل عام ١٨٩٥ م و ١٨٩٧ م ، ثم في باريس عام ١٩٠٢ م . وقد خطط لإنشائه محاميان من بروكسيل كانت لهما اهتمامات واسعة بالعمل الببليوجرافي ، الأول يدعى بول أوتليه Paul Otlet والثاني لافونتين La Fontaine[٣٥] . وتم ذلك تحت رعاية الحكومة البلجيكية . ومنذ إنشاء هذا المعهد تم الاتفاق على تخصيص قسم يتولى متابعة تنفيذ خطة العمل وأطلق عليه «المكتب الدولي للببليوجرافيا» Office International de Bibliographia . وقد تطلب لهذا القسم من المعهد إنشاء فروع قومية له في كل دول العالم . ولكن لم يتم تنفيذ هذا المتطلب إلا في مكانين فقط ، عرف الأول باسم «المركز الببليوجرافي في باريس Bureau Bibliographique de paris وتأسس عام ١٨٩٩ م . والثاني : المركز الببليوجرافي في زيورخ The Concilium Bibliographicum وتأسس عام ١٨٩٥م .

وكان يهدف المعهد منذ إنشائه إلى ما يلي :

١ ـ معالجة كل الموضوعات التي تتعلق بالكتب والمكتبات .

٢ ـ إنشاء فهرس عالمي يكون بمثابة ببليوجرافية عالمية .

٣ ـ تنظيم وتوحيد العمل الببليوجرافي على النطاق الدولي .

٤ ـ تطويع نظام ديوي العشري للتصنيف ليصبح نظاماً عالمياً يرتكز عليه في العمل الببليوجرافي .

٥ ـ رعاية نمو الببليوجرافيا كعلم[٣٦] .

وقد جاهد الباحثون بالمعهد لتحقيق هذه الأهداف وأنجزوا كثيراً من الأعمال أهمها :

١ ـ تطوير نظام ديوي للتصنيف وأطلق عليه Dewey Brussels Clasification وسمّي بعد ذلك Universal Decimal Classification .

٢ ـ بناء المتحف الببليوجرافي Musee Bibliographique الذي يعد الأول من نوعه ، حيث تم فيه تجميع كثير من المصادر الأولية التي تتعلق بتاريخ الكتب والمكتبات .

٣ ـ الإعداد لإنشاء الفهرس الببليوجرافي العالمي Le Repertoire Bibliographique Universal .

وكان يعد لهذا العمل ليكون بمثابة مركز معلومات ببليوجرافي حيث تركزت فيه كل أنشطة المعهد . وقد وضعت خطة لتكوين هذا الفهرس وذلك بدمج مجموعة من الفهارس من أهمها : الفهرس الموحد للمكتبات البلجيكية . فهرس المتحف البريطاني ، وفهرس المكتبة الملكية في برلين ، وفهرس المكتبة القومية في فرنسا . هذا بالإضافة إلى الببليوجرافيا التي أعدت تحت إشراف جمعية المكتبات الأمريكية . وأعدت بطاقات من جميع هذه الفهارس ، ولكن توقف العمل في هذا الفهرس العالمي نتيجة للظروف الاقتصادية التي واجهت المعهد .

وقد كان للمعهد الدولي للببليوجرافيا مكانة خاصة بين الهيئات العلمية . ويرجع ذلك إلى الأهداف العلمية التي كان يصبو إليها والتي كان لها انعكاس مباشر على مجالات المعرفة المختلفة وخاصة العلوم والتكنولوجيا . وكان المعهد بمثابة مركز تجمع للببليوجرافيين وموطن يجمع الجهود المشتتة التي نبتت في ألمانيا وترعرعت في فرنسا ودرست بعمق في انجلترا ثم انطلقت بها الولايات المتحدة الأمريكية .

ولقد مهدت هذه الجهود إلى دراسات تكشف عن أسلوب علمي موحد للعمل الببليوجرافي يستند إليه في الارتقاء بالببليوجرافيا إلى منزلة العلم . كما جاهد الباحثون بالمعهد في تسليط الأضواء على أهمية إمداد العالم بفهرس شامل وببليوجرافية عالمية ، بما في ذلك تمهيد الطريق نحو التوصل إلى إحصائيات موثوق بها عن المنتج الفكري العالمي . وكان المعهد لا يهدف إلى تحديد عدد الكتب ومقالات الدوريات التي تنشر سنوياً فحسب ، بل أيضاً متوسط عدد الكلمات في الصفحة وعدد الكلمات المطبوعة في العالم سنوياً . وألقى المعهد الضوء حول مدى صلاحية تصنيف ديوي العشري كنظام تصنيف عالمي للأعمال الببليوجرافية وقام بتعديله إلى نظام التصنيف العشري العالمي (UDC) . غير أن الجهود المضنية التي بذلها الباحثون بالمعهد في تخطيط العديد من المشروعات الببليوجرافية ذات الأهمية العالمية وفي إيجاد أساليب علمية يستند إليها في تنفيذ هذه المشاريع قد صادفتها عقبات كثيرة حالت دون الوصول إلى تحقيق الحلم الذي كان يصبو إليه الباحثون بالمعهد في إنتاج واستمرارية الببليوجرافيا العالمية . هذا بالإضافة إلى أن المعهد لم

يتمكن من تحقيق أهم أهدافه وهو رعاية الببليوجرافيا كعلم ونشر المعرفة الببليوجرافية .

ويعتقد المؤرخون الببليوجرافيون أن من أهم العقبات التي واجهت المعهد ، هو أن الإطار الكامل للمفهوم الببليوجرافي وقت إنشاء المعهد عام ١٨٩٥ م كان لا يزال غير مستقر بين العلماء ، ومن ثم كانت تقنيات التنفيذ متغيرة وفقاً للمفهوم في كل دولة . هذا بالإضافة إلى عدم تأمين الوسائل المادية الكافية للمشروع . كما اتضح أيضاً أن تحقيق أهداف المعهد كان يتطلب عملاً تمهيدياً سابقاً لإنشائه يرمي إلى دارسة اتجاهات العمل الببليوجرافي في الدول التي قطعت شوطاً فيه للوصول إلى نتائج تساعد في بناء أسلوب علمي موحد يرتكز عليه في إنشاء الببليوجرافية العالمية .

وقد تداركت المنظمات العالمية ــ التي اهتمت بشئون البحث العلمي على النطاق الدولي ــ وخاصة اليونسكو ــ أهمية هذا العمل التمهيدي حيث عقدت له عدة مؤتمرات لمناقشة القضايا البارزة في النشاط الببليوجرافي على المستوى الإقليمي والدولي . ونجحت هذه اللقاءات العلمية للباحثين الببليوجرافيين في تلك المؤتمرات في الانتقال بالببليوجرافيا في النصف الثاني من القرن العشرين إلى مرحلة جديدة من مراحل تطورها عرفت بالضبط الببليوجرافي العالمي Universal Bibliographic Control (UBC) وهو ليس مفهوماً جديداً وإنما هو خطة عمل جديدة تهدف إلى إنشاء نظام يرتكز على أسس موحدة لتحقيق تبادل المعلومات والبيانات الببليوجرافية على النطاق الدولي . ويقتضي هذا النظام أن يتأسس في كل دولة هيئة وطنية تأخذ على عاتقها إعداد وصف ببليوجرافي لكل إنتاج فكري ظهر أو يظهر على أرضها ، ثم إنشاء تسجيل Record له إما في الشكل التقليدي على بطاقة مطبوعة أو في الشكل الآلي (مثل البطاقات والأشرطة الممغنطة أو غيرها من الأوساط الحديثة لتسجيل البيانات) . ثم تقوم الهيئة الوطنية بتوزيع التسجيلات الببليوجرافية التي تعدها للإنتاج الفكري الوطني على المكتبات ومراكز المعلومات بالدولة ، وتعتمد فعالية هذا العمل الوطني على مدى التزام المتخصصين في الهيئة الوطنية باستخدام أكبر قدر من التقنيات الدولية التي تستخدم في تكوين شكل ومحتوى الوصف الببليوجرافي[٣٧] .

ويتحقق هدف هذا النظام من خلال برنامج تعليمي يحتوي على عدد من المشروعات الببليوجرافية على المستوى الوطني والدولي . وتشرف على تنفيذها على المستوى القومي المكتبات الوطنية أو هيئات وطنية أخرى تنشأ لهذا الغرض ، وتدعمها على المستوى العالمي الأجهزة الببليوجرافية التابعة للهيئات الدولية وفي مقدمتها هيئة اليونسكو UNESCO والاتحاد الدولي لجمعيات المكتبات IFLA .

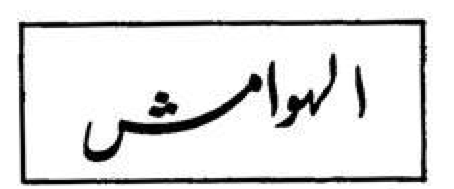
هذا وقد أثرت المستحدثات التكنولوجية كالتصوير والمصغرات الفيليمة والحاسبات الآلية على مختلف الأنشطة الببليوجرافية . بل لعل هذه التكنولوجيا لم تجد لها أرضاً خصبة للتطبيق أكثر من الببليوجرافيا . ومع ذلك فينبغي التأكد على أن هذه التكنولوجيا كانت مجرد أدوات ساعدت على إنجاز الأعمال الروتينية التي تتعلق بإعداد الببليوجرافيات والتي تتطلب السرعة والدقة الفائقة ، ولكنها لم تؤثر على الوظائف الأساسية للببليوجرافيا ومنهجها العلمي[٣٨] .

خاتمة

يتضح من متابعة تطور النشاط الببليوجرافي على الصفحات السابقة أن الباحثين الأوائل في المجال الببليوجرافي ، وأيضاً مؤسسي علم الببليوجرافيا ، كانوا علماء في اللغات والتاريخ والآداب القديمة فضلاً عن علماء في العلوم الطبيعية . وقد تطورت الممارسات الفردية الأولى لهؤلاء العلماء إلى قواعد علمية تحكم العمل الببليوجرافي وتنظمه . وإذا كان دافع هؤلاء العلماء للقيام بهذا النشاط هو البحث عن الكتب وتجميعها لأغراض علمية ، فقد كانت جهودهم هذه سبباً في وجود علم يخدم العلوم والمعارف الإنسانية جميعها ، وهذا ما دفع العالم الألماني ابرت Ebert إلى تعريف الببليوجرافيا بأنها العلم الشامل أو العلم العالمي The Universal Science .

وإذا كان علم الببليوجرافيا قد نشأ على يد العلماء المسلمين منذ القرن الثاني الهجري ، فقد نشأ هذا النشاط في أوروبا منذ القرن الثاني الميلادي على يد جالين ، واستمر في التطور حتى القرن التاسع عشر حيث تكونت الجمعيات الببليوجرافية التي تضم عدداً من العلماء الأكاديميين في فروع المعرفة المختلفة ويجمعهم هدف واحد هو الكتاب .

واستمر هذا الاتجاه حتى النصف الثاني من القرن العشرين حيث جذبت النظرية الببليوجرافية العديد من الأكاديميين في الولايات المتحدة الأمريكية والمملكة المتحدة ، ووجدوا فيها أساساً علمياً لتفسير وتطبيق نظرية المعلومات .



1. Ebert, F.A. Uber die Geschichte der LIterarischen Warenkunde, 1825. IN George Schneider, Theory and history of bibliography, translated by Ralph Robert Shaw. New York, CLOUMBIA University press, 1934. p. 13.

2. Greg, W.W. Bibliography-a retrospect studies in Retrospect (1892-1942). London the Bibliographical society, 1945, p. 24.

3. Brown, James Duff. A manual of practical bibliography London, George Routledge & Sons (1914) p. 1.

4. Schneider, G. Theory and history of bibliography, translated by Ralph Robert Shaw. New York, Clumbia University press, 1934. p. 280.

٥ ــ سعد محمد الهجرسي . الببليوجرافيا ودراستها في علوم المكتبات . القاهرة : جمعية الكتبات المدرسية ، ١٩٧٤ م ، ص ٤ .

6. Sotkes, Roy. ''Bibliography'' in Encyclopedia of library and Information science. New York, Dekker, 1973. Vol 2, p. 413.

7. Parsons, Edward. The Alexandrian library. London, Cleaver-Hume press, 1952.

8. Strout, Ruth French. Development of the catalog and cataloguing codes. Chicago, University of Chicago pres, 1957. pp,. 6-7 ''If the pinakes of callimachus, compiled about 250 B.C., were a general bibliography rather than a catalog of the ALexandrian library they would antecedate Galen's Works''.

9. Besterman, Theodore. The beginnings of systematic bibliography. Oxford, Oxford University press, 1935, p. 2.

10. Stokes, Roy. The Function of bibliography. 2nd ed., Aldershoft, Gower publishing Co., 1982. p. 21.

11. Ibid p. 22.

12. Manuscripts in Ecyclopedia of library and Information Science, vol. 7 pp. 131-138.

١٣ ــ قام عبد الستار الحلوجي بتغطية هذا الموضوع في كتابات متعددة من أهمها : نشأة علم الببليوجرافيا عند المسلمين . مجلة الدارة العددان الثالث والرابع ــ شوال ١٣٩٦ هـ ، ص ص ١٧٦-١٧٨ .

١٤ ــ عبد السلام هارون . تحقيق النصوص ونشرها . القاهرة : مكتبة الخانجي ، ١٩٧٧ م ، ص ١٤ .

١٥ ــ عبد الستار الحلوجي . نشأة علم الببليوجرافيا عند المسلمين . الدارة ، العددان الثالث والرابع ــ شوال ١٣٩٦ ، ص ص ١٧٦-١٧٨ .

16. Binns, N.E. An introduction to historical bibliography. 2nd ed. London, Assoc. of Assistant Librarians, 1962. 387 p.

17. Schneider, op. cit. p. 272.

18. Besterman, op. cit. pp. 7-9.

- Nash, Frederick ENumerative Bibliography.... Library History 706 no. 1, 1985. pp. 10-20

19. Estienne, Henri. The Frankfurt Book fair. Chciago, the Caxton club, 1911. p. 16.

20. Growoll, Adolph. Three centuries of English Booktrade bibliography, New York, Publilshed for the Dibdin club by Greenhalgh, 190 3. p. 3.

21. Hatin, Eugene. Bibliographie Historique et critique de la presse periodique francaise francaise. Paris, Didot, 1866. p. 601

22. Schneider, op, cit. p. 275.

٢٣ ــ قد تغير اللفظ اللاتيني Scavant بعد ذلك إلى Savant في اللغة الفرنسية .

24. ''Bibliography'' in Encyclopedia Americana , vol. 3, pp. 674-677.

25. Schneider, op. cit. p. 276.

26. Malcles, Louise N. Bibliography. New York, the Scarecrow press, 1961. 152 p.

26. Malcles, Louise N. Bibliography. New York, the Scarecrow press, 1961. 152 p.

27. Carter, J. Books and Book collectors, Hart Dairs, 1956.

28. Malcles. op. cit. p. 122.

29. Elton, C. and M. The great book collectors, 1893 in Binns. an introduction to historical bibliography.

30. Malcles. op, cit. p. 131.

31. Jean Tourneur-Aumont, ''A project sur L'usage que L'on peut faire des livres Nationaux. ''Revue des bibliotheques. xxxvIII (Octobre-Decembre, 1927), p. 386.

32. Schneider, op. cit. pp. 278-280

33. ''Bibliographic societies'' in Encyclopedia of library and Information science. vol 2.

٣٤ ــ وقد تغير اسم المعهد بعد ثلاثين عاماً من إنشائه إلى الاتحاد الدولي للتوثيق .

35. Rayward, W.B. The Universe of information : THE Work of paul otlet for Documention. Moscow, All Union Institute for scientific and Technical Information (VINITI) for (FID) 1975.

36. Schneider, op. cit., p. 285.

37. Verona, F. and Anderson, D. IFLA's Programme of ISBD. Int. cataloging 6 (1) Jan-March, 1977, p. 1.

Anderson, D. Universal bibliographic control : a long term policy, a plan for action. Pullach/Munchen, Veslag Dokumentation, 1974.

38. Sto kes, op. cit. pp. 43-44.

أبجد العلوم لصديق القنوجي

أحمد عبد الحليم عطية

كلية الآداب - جامعة القاهرة

القنوجي ، صديق حسن خان/أبجد العلوم .ـــ دمشق : دار الكتب العلمية ، ١٤٠٧ هـ ، ٣ مج .

نتناول في هذه الدراسة محاولة من أهم محاولات القرن التاسع عشر في التصنيف ، وهي المحاولة التي قدمها المؤلف الهندي المسلم صديق بن حسن القنوجي في موسوعته الضخمة ((أبجد العلوم)) ، وهو عمل مكون من ثلاثة مجلدات تتجاوز الألف والأربعمائة صفحة ، وتظهر أهميتها فيما تلقيه من ضوء على حالة العلم العربي ، أو قل العلوم العربية في هذه الفترة من جانب ، وما تشير إليه من مصادر اعتمد عليها المؤلف في تأسيس كتابه ، سواء فيما يتعلق بمكونات العمل ، أي المادة العلمية ، أو بتكوين العمل أي البنية التي قام عليها من جانب آخر ، وفي البداية علينا أن نعرف بالمؤلف ومؤلفاته بإيجاز حتى نستطيع بيان موقع عمله الحالي من مجمل نشاطه العلمي . وسوف نعتمد على ما كتبه هو نفسه في ترجمته الشخصية في كتابيه : ((التاج المكلل من مباهر مآثر الطراز الآخر والأول)) وكتابه الحالي ((أبجد العلوم)) حيث يذكر : مولده ونشأته وحياته العلمية وأعماله المختلفة .

هو أبو الطيب صديق بن حسن بن علي بن لطف الله الحسيني البخاري القنوجي نزيل بهوبال بالهند . ولد في جمادى الأولى عام ١٢٤٨ هـ ـــ ١٨٣٢ هـ م ونشأ في قنوج ونسب إليها ، وهي من أقدم بلاد الهند ، ارتحل إلى دهلي وتلقى العلم على محمد صدر الدين خان ، خاصة علوم العقل والنقل والأدب ، وعاد إلى بلدته ثم رحل إلى بهوبال طلباً للعلم والتماساً للرزق ، وأخذ عن القاضي حسن الأنصارى ، وأخيه الشيخ زين العابدين ، والشيخ محمد يعقوب الدهلوي ، وتزوج ملكة بهوبال ١٢٨٨ هـ ، وعمل وزيراً ونائباً لها . واشتغل بالتأليف والتصنيف حتى كثرت مؤلفاته في علوم القرآن والحديث والعقائد واللغة والأدب ، كثير منها مطبوع بالهند والقاهرة ، وكانت وفاته في ١٣٠٧ هـ ـــ ١٨٨٩ م .

ويذكر القنوجي مؤلفاته في ترجمته لنفسه في نهاية المجلد الثالث من ((أبجد العلوم)) وقد تناول الدكتور جميل أحمد في ((حركة التأليف باللغة العربية في الإقليم الشمالي بالهند في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر للميلاد)) في ثلاث مجموعات : المطبوع والمخطوط والمجهول ، ومن أهم كتبه المطبوعة : ((فتح البيان في مقاصد القرآن)) ، ((نيل المرام من تفسير آيات الأحكام)) ، و ((الدين الخالص)) ، و ((حصول المأمول من علم الأصول)) ، وهو تلخيص إرشاد الفحول للشوكاني في أصول الفقه . و ((قصد السبيل إلى ذم الكلام والتأويل)) و ((التاج المكلل من جواهر مآثر الطراز الآخر والأول)) و ((أبجد العلوم)) الذي طبع مرتين : الأولى حجرية بالصديقية ببهوبال ١٢٩٦ هـ ـــ١٨٧٨ م ، والثانية بدار الكتب العلمية بدمشق ١٩٧٨ ، والكتاب نشر في طبعته الثانية في ثلاثة أجزاء أطلق على كل منها عنوان فرعي الأول ((الوشي المرقوم في بيان أحوال العلوم))[١] والثاني ((السحاب المركوم المسطر بأنواع الفنون وأصناف العلوم)) والثالث ((الرحيق المختوم من تراجم أئمة العلوم)) .

وعلينا من البداية أن نتناول مكونات كل جزء من أجزاء العمل الثلاثة والبنية الداخلية لكل جزء وارتباط ذلك بالهدف العام للمؤلف والأساس الذي قام عليه الكتاب ، حتى نستطيع بعد ذلك تحديد علاقة العمل بالمصادر العربية السابقة عليه في التصنيف ، ومدى استفادته منها .

المجلد الأول ((الوشي المرقوم في بيان أحوال العلوم)) الذي يمثل مع المجلد الثاني أهم أجزاء الكتاب فيما يتعلق بالتصنيف . جاء في مقدمة وستة أبواب وخاتمة ، وقد قسم كل باب إلى فصول والفصول إلى فقرات أطلق عليها أسماء مختلفة : مثل أعلام ، أفهام ، إفصاح ، تلويح ، إشارة ، ترشيح ، مقطر .. الخ .

وقد تناول في المقدمة بيان ما يطلق عليه اسم العلم ونسبته ومحله (ص ١١ ـــ ٢٥) وهو يعتمد فيه كثيراً على كل من الجرجاني (السيد الشريف) والشوكاني (قاضي القضاه محمد بن علي) الذي يطلق عليه شيخنا العلامه ويستمر اعتماده عليهم بامتداد صفحات المجلد الأول[٢] . ثم يأتي أطول أبواب المجلد الأول ، وهو الباب الأول ((في تعريف العلم وتقسيمه وتعليمه)) (ص ٢٦-١٥٣) وفيه فصول ، الأول في ماهية العلم حيث يقدم لنا سبعة عشر تعريفاً للعلم يعتمد فيها على : الفخر الرازي ، والجويني ، والغزالي ،

بالإضافة إلى الجرجاني والشوكاني . والفصل الثاني في اختلاف الأقوال فيما يتصل بماهية العلم ، والثالث في ((تقسيم العلم)) ويقدم فيه تسعة تقسيمات للعلم إلى : الحصولي والحضوري ، التصور والتصديق ، خارج الذات وداخل الذات ، الواجب والممكن ، الفعلي والانفعالي ، القوة والفعل ، التفصيلي والإجمالي ، التعقل والتوهم ، التخيل والإحساس وأخيراً إلى الضروري والنظري . والفصل الرابع في العلم المدون : موضوعه ومبادئه ومسائله وغايته ، والخامس في بيان تقسيم العلوم المدونة ومايتعلق بها ، وهو من أهم فصول الباب الأول وربما أهم فصول المجلد جملة ،حيث يعرض لنا تقسيمات العلوم المختلفة التي قدمها المصنفون السابقون عليه ، وكأنها دراسة في تاريخ التصنيف من جهة وبيان لمصادر المؤلف من جهة ثانية ، حيث نجد عدة تقسيمات هي : ما قدمه التهاونوي في ((كشاف اصطلاحات الفنون)) وأحمد بن يحيى الهروي ، العلامة الحفيد (حفيد التفتازاني) وصدر الدين الشرواني في ((الفوائد الخاقانية)) والمقدسي في ((شفاء المتألم في آداب المعلم والمتعلم)) وطاش كبري زادة في ((مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم» الذي يعتمد عليه كثيراً ، و ((مدينة العلوم)) للأرنيقي[٣] .

والفصل السادس في ((بيان أجزاء العلوم)) والسابع في ((بيان الرؤوس الثمانية[٤])) والثامن ((في مراتب العلم وشرفه وما يلحق به)) وهو فصل مهم يؤكد الاتجاه الاكسيولوجي (القيمي) في تصنيف صديق حسن خان ، وفيه إعلامات : الأول في ((شرف العلم وفضله)) ، والثاني في ((كون العلم ألذ الأشياء وأنفعها)) والثالث ((في دفع مايتوهم من الضرر في العلم وسبب كونه مذموماً)) وكلها مقاييس قيمية تفضيلية . والإعلام الرابع ((في ثمرات العلوم من التعليم)) اعتماداً على أدب الطلب للشوكاني . والإعلام الخامس ((في تعليم الولدان واختلاف مذاهب الأمصار الإسلامية في طرقه)) . والسادس ((في أن الشدة على المتعلمين مضرّة بهم)) . والسابع ((في وجه الصواب في تعليم العلوم وطريق إفادته)) ، والثامن ((في آداب المتعلم والمعلم)) ، بينما يخصص الفصل التاسع للحديث عن حالة العلماء .

ويقع الباب الثاني في أربعة فصول ويدور حول ((منشأ العلوم والكتب)) ، الفصل الأول : في سبب العلم وفيه إفهامات تتطابق عناوينها مع عناوين فصول ابن خلدون ، الأول في أن العلم والتعليم طبيعي في العمران البشري والبشر محتاج إليه ، والثاني في أن التعليم والكتابة من لوازم التمدن ، والثالث في أن الخط والكتابة من عداد الصنائع الإنسانية ، والرابع في أوائل ما ظهر من العلم والكتاب . والفصل الثاني في منشأ إنزال الكتب واختلاف الناس وانقسامهم ، وفيه إفصاحات : الأول في حكمة إنزال الكتب ، والثاني في أقسام الناس بحسب المذاهب والديانات ، والثالث في أقسام الناس بحسب العلوم ، فيه عدة تلويحات تتحدث عن أهل الهند ، والفرس والكلدانيين واليونان ، والروم ، وأهل مصر ، والعبرانيين والعرب . والفصل الثالث في أهل الإسلام وعلومهم وفيه إشارات تتناول بشكل تاريخي تطور العلوم الإسلامية . الإشارة الأولى : في صدر الإسلام ، والثانية في الاحتياج إلى التدوين ، والثالثة في أول من صنف في الإسلام ، والرابعة في اختلاط علوم الأوائل والإسلام . والفصل الرابع في أن التعليم للعلم من جملة الصنائع .

والباب الثالث في المؤلفين والمؤلفات والتحصيل وفيه ترشيحات ، الأول في أقسام التدوين وأصناف المدونات ، الثاني في الشرح وبيان الحاجة إليه ، الثالث في أقسام المصنفين وأحوالهم ، الرابع في بيان مقدمة العلم ومقدمة الكتاب ، الخامس في التحصيل . والباب الرابع متفرقات مستمدة من السابقين عليه عنوانه ((فوائد منثورة من أبواب العلم)) وفيه مناظر وفتوحات : المنظر الأول في العلوم الإسلامية والثاني في أن حملة العلم في الإسلام أكثرهم العجم . والثالث في علوم اللسان العربي ، والرابع في أن الرحلة في طلب العلوم ولقاء المشيخة مزيد كمال في التعليم ، والخامس في أن العلماء من بين البشر أبعد عن السياسة ومذاهبها ، والسادس في موانع العلوم وعوائقها ، والسابع في أن الحفظ غير الملكة العلمية ، والثامن في شرائط تحصيل العلم وأسبابه ، والتاسع في شروط الإفادة ونشر العلم ، وفيه فوائد ، العاشر فيما ينبغي أن يكون عليه أهل العلم ، الحادي عشر في التعليم .

ويرتبط الباب الخامس بما سبقه حيث يتناول ((لواحق الفوائد)) وفيه عدة مطالب هي : لزوم العلوم العربية ، العلوم العقلية وأصنافها ((في أن اللغة ملكة صناعية)) في أن لغة العرب لهذا العهد لغة مستقلة مغايرة للغة مضر وحمير ، في أن لغة أهل الحضر والأمصار لغة قائمة بنفسها من مخالفة للغة مضر ، في تعليم اللسان المضري ، في أن ملكة هذا اللسان غير صناعة العربية ومستغنية عنها في التعليم ، في تفسير الذوق في مصطلح أهل البيان ، وتحقيق معناه وبيان أنه لا يحصل غالباً للمستعربين من العجم ، في أن أهل الأمصار على الإطلاق قاصرون في تحصيل هذه الملكة اللسانية التي تستفاد بالتعليم . ونلاحظ هنا ثانية أن عناوين هذه المطالب وما جاء فيها هي فصول لابن خلدون .

والموقف نفسه نجده في الباب السادس والأخير ، حيث يخصص المؤلف باباً في علوم الأدب واللغة ويضع له عنوان «في انقسام الكلام إلى فني النظم والنثر» وفيه مطالب تدور حول : انقسام لسان العرب على فنين : الشعر والنثر ، وأنه لا تتفق الإجادة في فني المنثور والمنظوم معاً إلا للأقل ، في صناعة الشعر ووجه تعلمه ، في أن صناعة النظم والنثر إنما هي في الألفاظ لا في المعاني ، في أن حصول هذه الملكة بكثرة الحفظ وجودتها بجودة المحفوظ ، في ترفع أهل المراتب عن انتحال الشعر ، في أن الشعر لا يختص باللسان العربي فقط بل هو موجود في كل لغة ، في طبقات الشعراء ، في مدح المنظوم من الكلام ، في تعين العلم الذي هو فرض عين على كل مكلف[٥] ، في طبقات أهل العلم ، في مباحث من الأمور العامة التي يكثر استعمالها . ثم خاتمة المجلد الأول التي تحتوي بيان تطبيق هذه الآراء[٦] .

وتظهر أهمية هذه الطبعة في الجهد الذي قام به المعد عبد الجبار زكار في إعداد مجموعة من الفهارس خاصة في المجلد الأول تتناول : أبواب الكتاب وفصوله ، فهرس الأعلام ، فهرس الأماكن ، الكتب ، الآيات القرآنية ، الأحاديث النبوية وأخيراً فهرس الأشعار . وربما تكون قراءة واعية لبعض هذه الفهارس خير دليل للباحث عن مصادر المؤلف التي اعتمد عليها والتي يشير إليها معد هذه الطبعة في هوامش الكتاب ، ويذكرها المؤلف بأمانة في المقدمة ومتن المجلد وفي مقدمة هؤلاء الذين يعتمد عليهم : الشوكاني شيخ المؤلف والجرجاني وفخر الدين الرازي والغزالي والفارابي ، ومن علماء الهند السيالكوتي والدهلوي وغيرهما . ويمكن أن نقوم بالمهمة نفسها مع الكتب التي رجع إليها المؤلف ، ويبدو أن كتاب ابن خلدون «المقدمة» من المصادر الأساسية التي أخذ عنها القنوجي ونقل منها فصولاً طويلة ، نجد صفحات (١١٠ حتى ١٢٣) التي تشمل الإعلام الخامس والسادس والسابع من الفصل الثامن الباب الأول ، كذلك صفحات (١٥٤-١٦٣) الفصل الأول من الباب الثاني وكذا صفحات (٢٢٦-٢٣٩) الباب الرابع و (٢٥٧-٢٨٥) كل الباب الخامس بالإضافة إلى الصفحات (٢٨٦ حتى ٣١٦) من الباب السادس التي نجد في نهايتها هامشاً مهماً يبين فيه المؤلف اعتماده الكامل على ابن خلدون (يتجاوز استشهاده به إلى نقل ٩٦ صفحة كاملة) . يقول المؤلف : «إلى هنا انتهى المؤلف السيد العلامة من كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر من غير حذف ولا إسقاط[٧]» . وهذا ما نجده أيضاً في مقدمة المؤلف الذي يقول : «هذا بث لما وقر في صدري من أحوال العلوم العالية وتراجم الفنون الفاخرة ... حررته إحرازاً لما تشتت من أحوال العلوم وتراجم أسمائها وسماتها وجمعته إفرازاً للفنون مع بيان مبادئها وأغراضها مستمداً ذلك من كتب الأئمة السادة وصحف الكبراء القادة»[٨] . وهو يحدد لنا هؤلاء الأئمة الذين استمد منهم مكونات كتابه ويعدد لنا أسماءهم وأسماء كتبهم وما أخذه عن كل منهم بقوله : «إني لما وقفت على كتاب العبر .. لابن خلدون ، وجدت مؤلفه قد عقد في الكتاب الأول منه فصلاً سادساً في العلوم وأنواعها وسائر طرقها وأنمائها ، وما يعرض في ذلك كله من الأحوال . ثم رأيت خواجه خليفة زادة لخص منه تلك العلوم وأحوالها في مقدمة كتابه «كشف الظنون ...» وأضاف إليه أشياء من «مفتاح السعادة ..» لأبي الخير (هامش كبري زادة) ثم اطلعت على كتاب «مدينة العلوم» للأرنيقي وفيه بيان أنواع العلوم وتراجم بعض علماء الفنون (وهما محتوى مادة المجلدين الثاني والثالث) ثم عثرت على كتاب «كشاف اصطلاحات الفنون» للتهانوي وقد ذكر فيه أنواعاً من العلوم المتداولة وطرقاً من الفنون المتناولة .. فأردت أن أفرد فيها (من المصادر) أحوال العلوم وتراجم الفنون في تأليف مختصر تقريباً للبعيد وتحصيلاً للتجريد[٩]» .

ويأتي **المجلد الثاني** أضخم مجلدات الكتاب في (٦٠٤ صفحة) — مقابل الأول (٣٠٥ صفحة) والثالث (٣١٢ صفحة) — تحت عنوان «**السحاب المركوم المسطر بأنواع الفنون وأصناف العلوم**» ويتكون من مقدمة وعدة أبواب . المقدمة «في بيان أسماء العلوم وعدم تعيين الموضوع في بعضها وموضوعات العلوم» . ويمكن أن نتبين في مقدمة المجلد الثاني عدة موضوعات أهمها بيان المؤلف للجهود السابقة التي قدمت في مجال تصنيف العلوم التي يطلق عليها «موضوعات العلوم» فقد ألف فيها جماعة ويذكر هذه المؤلفات وأصحابها وهي :

— محاولة الإمام فخر الدين الرازي في «حدائق الأنوار في حقائق الأسرار» .

— جلال الدين محمد بن أسعد الصديقي الدواني (ت ٩٠٨) : أنموذج العلوم .

— عبد الرحمن بن محمد البسطامي .

— لطف الله بن حسن التوقاتي (المطالب الإلهية) .

— جلال الدين السيوطي ، «النقاية» ، «إتمام الدراية» .

— محمد أمين بن صدر الدين الشرواني «الفوائد الخاقانية» .

— وطاش كبري زادة «مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم» .

— والأرنيقي (تلميذ قاضي زادة الرومي) مدينة العلوم .

ثم يشير إلى العلوم الدينية بالتحديد وأقوال العلماء فيها وفي

عندها حيث يورد أقوال الشافعي ، والغزالي والسيوطي ، ثم يؤكد على تفضيل العلوم[١٠] ، ويتوقف طويلاً جداً عند تصنيف حاجي خليفة صاحب كشف الظنون ، ويعرض بالتفصيل الدقيق لمحتويات هذا الكتاب صفحات (٨ حتى ٢١) وأهمية هذا التصنيف أنه التصنيف الذي اعتمده في ترتيب وتقسيم ومحتوى المجلد الثاني من عمله وهو يقول : «قف ، اخترنا في هذا الباب الترتيب الذي اختاره صاحب كشف الظنون لكونه سهل التناول»[١١] .

ويعرض القنوجي بعد المقدمة لأبواب الكتاب وهي مرتبة على حروف المعجم من الألف إلى الياء ، تتناول العلوم العربية الإسلامية المختلفة ، حيث يذكر المؤلف العلوم الرئيسية المتعارف عليها ، وفروع هذه العلوم وفروع الفروع ، وهكذا بحيث يصل ما يذكره إلى أكثر من أربعمائة علم . منها (٩٥) علماً في باب الألف ، تقع في حوالي مائة صفحة من ص ٢٣ حتى ص ١٢٢ . وعشرة علوم في باب الباء هي : علم الباطن ، علم الباه ، علم بدائع القرآن علم البرد ومسافاتها ، البلاغة ، البنكامات ، البيان ، البيزرة والبيطرة ، ويقع في ثلاث عشرة صفحة (من ص ١٢٣ حتى ص ١٣٥) وسبعة وعشرون علماً في باب التاء في (٦٥ صفحة) من ص ١٣٧ حتى ص ٢٠٢ . وعلم واحد في باب الثاء ، هو علم الثقات والضعفاء من رواة الحديث (ص ٢٠٣) وعشرة علوم في باب الجيم في ثلاث عشرة صفحة (من ص ٢٠٥ حتى ٢١٨) ويتناول في باب الحاء أربعة عشر علماً في ٤٢ صفحة (من ص ٢١٩ — ٢٦١) وسبعة علوم في باب الخاء (ص ٢٦٤ — ٢٨٣) وستة علوم في باب الدال (٢٨٥ — ٢٩٢) وعلماً واحداً في باب الدال المعجمة في ثلاث صفحات وهو علم الذكر والأنثى ، وهو في الأصل فرع من علم النحو . وثلاثة عشر علماً في باب الراء (الصفحات ٢٩٧ — ٣٠٩) وثلاثة علوم في باب الزاي هي : علم الزائرجه ، علم الزهد والورع ، علم الربح (الصفحات ٣١٠ — ٣١٥) وثمانية علوم في باب السين ، وسبعة في باب الشين وخمسة في الصاد واثنان في الضاد ، وثمانية عشر في باب الطاء ، وواحد في باب الظاء «علم الظاهر والباطن» . ويتناول المؤلف عشرة علوم في باب العين وثلاثة في باب الغين وثلاثة عشر في باب القاء منها فصل طويل في إبطال الفلسفة وفساد منتحليها (ص ٤١٦ — ٤٢٤) منقول عن ابن خلدون . واثني عشر علماً في باب القاف ، وأحد عشر في الكاف واثنين في اللام هما : العلم اللدني وعلم اللغة (٤٦٩ — ٤٧٥) يذكر الأول في أربعة سطور والثاني في سبع صفحات . ويشمل باب الميم وهو أطول أبواب الكتاب في عدد العلوم (١١٦ علماً) في ثلاث وسبعين صفحة ، وستة علوم في باب النون ، وعشرة في باب الواو وعلمين في باب الهاء هما : الهندسة ، وعلم الهيئة ، وعلماً واحداً في الياء (علم اليوم والليلة) ويبرر المؤلف هذا العدد الضخم من العلوم بالمؤلفات التي تمت في هذه الميادين حيث يذكر بعد الفهرس «أن العلوم التي اشتمل عليها هذا الفهرس ليست كلها مستقلة بل أكثرها فروع لعلوم أخرى وإنما عدت علوماً على حدة لكون التآليف فيها وقعت مستقلة»[١٢] .

ويلاحظ على العلوم التي أوردها المؤلف الآتي :

— الاعتماد على مؤلفات بعينها يكاد يذكرها تقريباً في كل مادة هي «مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم» لطاش كبري زادة «وكشف الظنون في أسامي الكتب والفنون» لحاجي خليفة ، ومدينة العلوم للأرنيقي .

— تكرار ذكر العلوم ، تقريباً بنفس أسمائها في أبواب مختلفة وربما في باب واحد . مثل علم الاصطرلاب الذي يذكره في باب الألف (ص ٦٠) تحت عنوان علم الاصطرلاب وص ٦٥-٦٦ تحت عنوان علم الاصطرلاب كما يذكره ثالثا في باب العين (ص ٣٨٥) تحت عنوان علم عمل الاصطرلاب ، وصحيح أنه لا يذكر عنه في ص ٦٠ سوى قوله «وهو بالسين على ما ضبطه بعض الوقوف وقد تبدل السين صاداً لأنه في جوار الطاء وهو أكثر وأشهر ولذلك أوردناه في حرف الصاد[١٣]» ويتوسع في تعريف العلم ص ٦٥-٦٦ حيث يذكر تعريفه والمؤلفات الموضوعة فيه ، ويتناول ص ٣٨٥ طريقة العمل بآلة الاصطرلاب ، إلا أنه من الممكن تجميع هذه المواد في مادة واحدة وافية تتناول كل ما يتعلق بالعلم وفروعه .

— كثرة عدد الموضوعات التي يجعل منها المؤلف علوماً مستقلة وربما لا تمثل هذه الموضوعات علوماً على الإطلاق بالمعنى الحديث ولا بالمعنى التقليدي ، فيذكر الآداب العامة ويجعلها علوماً مثل : علم آداب الأكل ، علم آداب البحث ، علم آداب التوبة ، آداب الحسبة ، آداب الدرس ، آداب كتابة المصحف ، آداب النكاح ، آداب الملوك وآداب الوزراء (ص ٣٤ — ٤٤) . والشيء نفسه حين يتناول آفات النفس في تسع علوم ، وربما تمثل جميعاً علماً أو جزءاً من علم مثل : علم آفات الجاه ، آفات الدنيا ، آفات الرياء ، العجب ، الغرور ، الغضب ، الكبر الغرور ، اللسان ، المال (ص ٨٣-٩٠) . والأمر نفسه في باب الطاء حيث يتناول علم الطبقات في أحد عشر علماً هي : علم الطبقات ، علم طبقات القراء ، المفسرين ، المحدثين ، الشافعية ، الحنفية ، المالكية ، الحنابلة ، النحاة ، الحكماء ، الأطباء . ويتضح هذا بصورة تدعو للدهشة في كثرة عدد العلوم الفرعية بل التي تتعلق بفروع فروع القرآن حيث

يعطينا المؤلف ما يقرب من اسم مائة علم في موضع واحد (ص ٤٨٩-٥١٤)

ـــ يذكر المؤلف بالإضافة للعلوم التقليدية علوماً هي أقرب للفنون أو المهارات أو الحرف وغيرها ، وهي أفعال طريفة يقال لها علم تجاوزاً ، لكن المؤلف يقننها ويقدمها باعتبارها علوماً مثل : علم الإخفاء ص ٣٢ علم الأسارير (من علم الكف) ص ٥٢ ، علم استنزال الأرواح واستحضارها في قوالب الأشباح ص ٥٥ ، علم الأطعمة والمزورات ص ٧٨ علم الحمامات ص ٢٥٧ ، علم الرقص ص ٣٠٣ ، علم الرق ، علم الذكر والأنثى وهو جزء من علم النحو (ص ٢٩٣) .

ـــ يتناول بعض الموضوعات التي اعتبرت مناطق محرمة لا يصح الحديث أو الكتابة فيها ، وهي التي تتعلق بالجنس والنكاح وأفرد له عدة علوم شرعية وطبية ونفسية مثل : علم آداب النكاح ص ٤٢ ويشير إلى أنه ذكر في مدينة العلوم على أنه من أنواع العلوم المتعلقة بالعبادات . وعلم الباه الذي يتحدث عنه في صفحة ونصف يعرفه ويذكر الكتب المصنفة فيه و ((هذا العلم من فروع علم الطب بل هو باب من أبوابه كبير غير أنهم أفردوه بالتأليف اهتماماً بشأنه[١٤])) وعلم الغنج ص ٣٩٢ وهي أقرب إلى وصف السلوك ، وربما ينتمي إلى دراسات علم النفس ، ويجعله المؤلف من فروع علم الموسيقى .

ـــ والملاحظة المهمة التي يجب الانتباه إليها هي تخصيصه علماً خاصاً بتقاسيم العلوم (ص ٢٠٢) ((وهو علم يبحث فيه عن التدرج من أعم الموضوعات إلى أخصها ليحصل بذلك موضوع العلوم المندرجة تحت ذلك الأعم ، ولما كان أعم العلوم موضوعاً العلم الإلهي فقد جعل تقسيم العلوم من فروعه ، ويمكن التدرج فيه من الأخص إلى الأعم على عكس ما ذكر)) . وهو على وعي بهذا العلم وبتاريخه وما كتب فيه ، يذكر رسالة ابن سينا ويتحدث عن عمله الحالي باعتباره داخلاً في هذا العلم ، كما يذكر المؤلفات التي تناولها في الجزء الأول من الكتاب التي عرضت لهذا العلم بالتفصيل .

والمجلد الثالث من هذا الكتاب جاء بعنوان **((الرحيق المختوم من تراجم أئمة العلوم))** . ويؤكد لنا المؤلف في آخر صفحاته بعد الفهرس مباشرة أن الكتاب منقول من ((مدينة العلوم)) يقول : ((ثم لا يخفى أن من مآخذ (مصادر) هذا الكتاب ((كتاب مدينة العلوم)) ولكن لم يتيسر إلا غلطاً صريحاً فإن وقف أحد على سهو أو نسيان فيه فعليه بالمراجعة إلى الأصل فإن الناقل معذور والعذر عند كرام الناس مقبول)) ص ٣١٢ . وهذ الجزء قد أفرده لتراجم رجال ألفوا في العلوم والفنون والتي عرف بها في الجزء الثاني من الكتاب . وقد قسم هؤلاء إلى مجموعات كل مجموعة تضم أعلاماً في علم من العلوم فكانوا عشرين مجموعة متخصصة ، الأولى علماء اللغة يذكر أشهرهم ويعطي لنا أكثر من عشرين عالماً من علماء اللغة ، والمجموعة الثانية علماء الصرف (التصريف) أحد عشر عالماً (ص ٣٢-٣٧) ثم علماء النحو وعلماء المعاني والبيان ، ثم علماء العروض والقوافي وعلماء الإنشاء والأدب وعلماء المحاضرة وعلماء (؟) الشعر ، وعلماء التاريخ ، ثم الفلاسفة وعلماء الحكمة ، وعلماء المنطق ، وعلماء الجدل ، وعلماء الخلاف ، ثم علماء المقالات ، ويذكر منهم فقط الشهرستاني ثم الأطباء أو علماء الطب ، ثم علماء أصول الفقه ، وعلماء الفقه ، وحفاظ الإسلام ، ثم علماء الفرائض ، ثم علماء النجوم . وبعد أن يستوفي ترجمة هؤلاء العلماء ، ويذكر أهم ما وضعوه من الكتب ، ويفرد قسماً في آخر هذا الجزء لتراجم علماء الأقاليم أي أنه يقدم تصنيفاً جغرافياً للعلماء ، وهو يقتصر على المنطقة المحيطة به أو القريبة من بلدته ، فهو يترجم لعلماء الحرمين الشريفين ثم علماء اليمن وعلماء الهند ، ويخصص فقرة رابعة لعلماء قنوج (بلدته) حيث يذكر ترجمته لنفسه ولأبنائه ، وأخيراً تراجم علماء بهوبال المحمية حيث يتناول تاج الهند المكلل نواب شاهجان ملكة بهوبال المحمية دام إقبالها (ص ٢٨٤ - ٢٨٧) وهي زوجته . وهو كونه يعتبر شاهجهان يتفق تماماً مع ما ذكره في نهاية المجلد الثاني حيث أشارت عليه باسم آخر علم في الكتاب وهو ما جاء في حرف الياء علم اليوم والليلة .

والكتاب مهم للغاية لأنه يصور حالة العلوم في نهاية القرن الماضي ، وهو علم الشرح والتلخيص ، فكل عمل المؤلف يعتمد على النقل والتلخيص من أعمال سابقة عليه ، ولا يجد أية غضاضة في ذكر هذه المصادر ، وهو يحفظ لنا بعض الكتب التي فقدت مثل حديثه عن ((مدينة العلوم)) وتأكيده على أهمية علم التصنيف الذي يفرد له مادة خاصة . وهو يردنا ثانية إلى تصنيف ابن خلدون الذي يحتاج إلى دراسة تفصيلية .

الهوامش

١- يطلق الناشر خطأ على المجلدات الثلاثة عنواناً فرعياً هو ((الوشي المرقوم في بيان أحوال العلوم)) وهذا العنوان مقتصر على المجلد الأول .
٢- يمكن الرجوع إلى فهارس الأعلام لمعرفة مدى اعتماده على هذين ، بل إن ما جاء في فهرس الأعلام من الإشارة إليهما في متن الكتاب .
٣- هناك مشكلة متعلقة بكتاب ((مدينة العلوم)) للأرنيقي وهل هو نفسه مفتاح السعادة ومصباح السيادة . وهذه إشارة وجدت على متن الكتاب نفسه وأشار إليها المعد ص ٧٠ من المجلد الأول هامش ٣ .
٤- انظر ص ٨٥-٩٠ من المجلد . وقد أشرنا إليها في حديث عن تصنيف التهانوي . انظر الأسس الفلسفية لتصنيف العلوم عند العرب .
٥- سوف نقوم بدراسة مقارنة لما أخذه القنوجي من ابن خلدون عندما نتناول تصنيف ابن خلدون .
٦- يتناول فيهما المؤلف : فصل في ماهية التطبيق وأهليته ، فصل في موازين التحقيق ، فصل في أسباب الاختلاف ، فصل في ضوابط التطبيق ، فصل في الجرح والتجريح ، فصل في أمثلة التطبيق .
٧- القنوجي : أبجد العلوم المجلد الأول ص ٣١٦ .
٨- المصدر نفسه ص ٤ .
٩- المصدر نفسه ص ٥-٦
١٠- القنوجي : أبجد العلوم ، المجلد الثاني ص ٦-٧ .
١١- المصدر السابق ص ٨ .
١٢- المصدر السابق ص ٦٠ .
١٣- المصدر نفسه ص ٦٠ .
١٤- المصدر نفسه ص ١٢٣ .

الإعلام بمناقب الإسلام

لأبي الحسن العامري

دراسة رائدة في مقارنة الأديان

أحمد عبد الحميد غراب

كلية التربية - قسم الدراسات الإسلامية - جامعة الملك سعود

تمهيد :

من الدراسات الرائدة في مقارنة الأديان تلك الدراسة التي قام بها المفكر المسلم أبو الحسن محمد بن يوسف العامري (المتوفى ٣٨١ هـ/٩٩٢ م) في كتابه : **الإعلام بمناقب الإسلام** .

وقد أُلف هذا الكتاب في فترة مبكرة من تاريخ الفكر الإسلامي وهي القرن الرابع الهجري ، ولكن الكتاب في موضوعه ومنهجه كتاب معاصر ، لأنه يعالج قضية من أهم القضايا المعاصرة ، وهي إثبات أن الإسلام وحده هو الدين الصحيح ، وذلك عن طريق الدراسة المنهجية المقارنة للأديان .

وفي هذا البحث عرضٌ لحياة أبي الحسن العامري ومؤلفاته ؛ في إطار بيئته الحضارية الإسلاميَّة . يلي ذلك دراسة تقويمية مفصلة لكتابه ومنهجه في مقارنة الأديان ، نسأل الله النفع به .

أبو الحسن العامري

معالم حياته :

وُلد بمدينة نيسابور في مطلع القرن الرابع الهجري (على ما يُرجَّح) ، وقضى حياةً حافلةً بالعلم والتدريس والتأليف والترحال العلمي بين الحواضر الثقافية للعالم الإسلامي حينذاك ، ولا سيَّما بغداد والريّ وبخارى .

وينتمي العامري انتماء فكرياً وفلسفياً إلى مدرسة أبي يوسف يعقوب بن إسحاق الكندي (ت ٢٦٠ هـ/٨٧٣ م) ؛ فقد كان العامري تلميذاً للفيلسوف والجغرافي المشهور أبي زيد أحمد بن سهل البلخي (ت ٣٢٢ هـ/٩٣٣ م) . وكان البلخي بدوره تلميذاً للكندي[1] .

ويُعَدُّ الكندي أول من اشتهر بالفلسفة في تاريخ الفكر الإسلامي ، ويُعرف بـ «فيلسوف العرب» . وقد تميز إسهامه الفلسفي والعلمي بالأصالة والموسوعية التي شملت معظم فروع المعرفة في عصره . وقد ذكر له ابن النديم في **الفهرست**[2] نحو مائتين وثلاثين رسالة في الفلسفة والعلوم الرياضية والطبيعية والطبّ

والمنطق وعلم النفس والأخلاق والسياسة ؛ بالإضافة إلى رسائله في الردِّ على المانوية والثنوية (الزرادشتية) والملاحدة والنَّصارى . وقد تُرجمت بعضُ مؤلفاته العلمية إلى اللغة اللاتينية في أوروبا في القرون الوسطى .

ومن أهم ما يتميز به الكندي وتلاميذ مدرسته ــ ولا سيَّما البلخي والعامري ــ أنَّهم جمعوا إلى الثقافة العربية الإسلامية ثقافات أخرى ، ولا سيما الثقافة اليونانية ، وثقافات الأمم ذات الحضارات القديمة كالهند وفارس ، وقوَّموا هذه الثقافات من وجهة نظر إسلامية ؛ فاستفادوا بما فيها من علوم وحكمة ، وفنَّدوا ما بها من أخطاء وجهالات .

وقد نهج البلخي منهج أساتذة الكندي ؛ فكان يجمع بين علوم الفلسفة وعلوم الدين ، وكان من حكماء الإسلام وبلغائه ، وله مؤلفات كثيرة في شتَّى العلوم ، وقد كتب له ياقوت في معجمه ترجمة طويلة ، وذكر قائمة مصنفاته التي تشهد بثقافته الموسوعيَّة . وقد نبغ البلخي في الجغرافيا بوجه خاص ، وكان له مدرسة جغرافية ذات اتجاهات إسلامية واضحة ، تستمد كثيراً من مفاهيمها من القرآن الكريم . ومن تلاميذه المقدسي والاصطخري وابن حوقل ، وهم من أشهر الجغرافيين المسلمين في القرن الرابع الهجري[٣] .

أمَّا أبو الحسن العامري فكان من أعلام عصره في العلم والفكر ، وقد وضعه الشهرستاني في مصاف كبار الفلاسفة ، وتحدث عنه أبو حيان التوحيدي طويلاً في الإمتاع والمؤانسة ، واقتبس كثيراً من «كلماته الشريفة» في المقابسات ؛ وكذلك اقتبس مسكويه (المؤرخ والمفكر الأخلاقي المشهور) في كتابه (الحكمة الخالدة) فصلاً طويلاً للعامري . كما ذكره وترجم له مؤلفون آخرون[٤] .

درس العامري على يد البلخي بخراسان ، ونبغ في العلوم الفلسفية حتَّى صار يُعرف بـ «الفيلسوف النيسابوري» . وكانت نيسابور في عصره من أكبر مراكز الثقافة الإسلامية في العالم الإسلامي ، ويعتبرها بعضُ المؤرخين مهد المدارس في تاريخ التربية الإسلامية . يقول المقريزي : «إنَّ أول مَنْ حُفظ عنه أنه بنى مدرسة في الإسلام أهل نيسابور[٥]» . ويصفها ياقوت بأنها «معدن الفضلاء ومنبع العلماء» ويقول : «وقد خرج منها من أئمة العلم مَنْ لا يُحصى»[٦] .

ولم يقض العامري حياته كلها في نيسابور ؛ لأنه كان ــ كمعظم علماء الإسلام ــ محباً للترحال في طلب العلم ونشره ، ودراسة أحوال المسلمين ، وتقلبات الأيام والدول . ولذلك وصفه بعض معاصريه بأنه «كان من الجَّوالين الذين نقَّبوا في البلاد ، واطلعوا على أسرار الله في العباد[٧]» .

وخلال ترحاله كان يقيم في الحواضر الثقافية الكبرى في العالم الإسلامي ؛ وبخاصة بغداد والريّ وبُخارى . وخلال إقامته بها كان يدرِّس ويؤلف ويناظر .

وفي مدينتي الري وبخارى بوجه خاص عاش العامري أخصب فترات حياته الفكرية : أما الريّ فكانت من مفاخر مدن الإسلام في عصره[٨] ، وكان بها مكتبة كبيرة ، ومستشفى يدرس به الطب ، وإليها ينسب أبو بكر بن زكرياء الرازي الطبيب الفيلسوف المشهور وغيره من العلماء ، وكانت من المراكز المهمة لعلماء الحديث والمتكلمين والقراء والزهاد . وقد أقام العامري بها خمس سنوات : يؤلف الكتب ، ويدرس ، ويملي على طلابه ، ويروي عن شيوخه .

يحدثنا أبو حيان التوحيدي عن مسكويه فيصف تقصيره فترة من حياته في طلب العلم ؛ فيقول : «ولقد قطن العامري الريَّ خمس سنين جمعة (أي متوالية) ، ودرَّس وأملى ، وصنَّف وروى ، فما أخذ مسكويه عنه كلمة واحدة ، ولا وعى مسألة ؛ حتى كأنَّ بينه وبينه سدّاً . ولقد تجرَّع على هذا التواني الصَّاب والعلقم ، ومضغ فمه حنظل الندامة في نفسه ، وسمع بأذنه قوارع الملامة من أصدقائه حين لم ينفعه ذلك[٩]» .

وأما بخارى فكانت عاصمة السامانيين في عصر العامري ، وكان السامانيون من أهل السنة ؛ يشجعون العلم والأدب ، حتى صارت بخارى في عهدهم كعبة العلماء والأدباء . ويصف المؤلفون المسلمون السامانيين بأنهم كانوا من أحسن الملوك سيرةً ، وكان يغلب عليهم العدل ويجمعونهم في مجالس عشيات الجمع من شهر رمضان ، للمناظرة بين يدي السلطان[١٠] .

وكانت مكتبة السامانيين ببخارى تحفل بأمهات المراجع في جميع العلوم المعروفة في ذلك العصر ، وقد وصفها الفيلسوف الطبيب ابن سينا ــ بعد أن أذن له السلطان نوح بن منصور بدخولها ــ فقال : «فدخلتُ داراً ذات بيوت (أقسام) كثيرة ، في كل بيت صناديق كتب منضدة بعضها على بعض ؛ في بيت منها كتب العربية والشعر ، وفي آخر الفقه ، وكذلك في كل بيت علم مُفْرد . فطالعت فِهْرست كتب الأوائل (الفلاسفة) ، وطلبت ما احتجت إليه منها ، ورأيت من الكتب ما لم يقع اسمه إلى كثير من الناس قط ، وما كنت رأيته من قبل ، ولا رأيته أيضاً من بعده»[١١] :

وقد عاش العامري في بخارى (مستظلاً بكنف آل سامان ومستفيداً بمكتبتهم) فترة طويلة ألَّف خلالها جملة من أهم كتبه ،

ومنها (على ما يرجح) : كتاب الإعلام بمناقب الإسلام (موضوع دراستنا) ، وكتاب التقرير لأوجه التقدير (وهو بيان لوجوه الحكمة الإلهية في خلق الكون وتدبيره) ، وكتاب الأمد على الأبد (وهو دراسة مقارنة لعقيدة البعث والحساب) .

وقد فرغ من تصنيف هذا الكتاب الأخير بمدينة بخارى سنة ٣٧٥ هـ/٩٨٥ م[١٢] . ثم عاد إلى مسقط رأسه نيسابور وتوفي بها بعد ذلك بنحو ست سنوات ، في يوم ٢٧ شوال ٣٨١ هـ/٦ يناير ٩٩٢ م . رحمه الله رحمة واسعة .

مؤلفاته :

بالرجوع إلى قائمة مؤلفات العامري التي ذكرها في مقدمة كتابه الأمد على الأبد[١٣] ، وبالرجوع إلى كتاب الإعلام بمناقب الإسلام ، وإلى القليل الذي بقي من مؤلفاته المخطوطة[١٤] — تتضح لنا حقيقتان مهمتان :

الحقيقة الأولى : أن مؤلفات العامري تناولت قضايا إسلامية وعلمية كانت ذات أهمية بالغة في عصره ، وما زالت تحتفظ بهذه الأهمية في عصرنا . وعلى سبيل المثال :

مؤلفات في العقيدة : مثل الفصول في المعالم الإلهية ، والعناية والدراية ، والتقرير لأوجه التقدير ، وإنقاذ البشر من الجبر والقدر (ويتناول عقيدة القضاء والقدر)[١٥] .

مؤلفات في مقارنة الأديان : مثل كتاب الإعلام بمناقب الإسلام ، والأمد على الأبد ، والإبانة عن علل الديانة (وهو دراسة مقارنة لشرائع الإسلام بغيرها من الشرائع)[١٦] .

مؤلفات في تفسير القرآن : مثل الإرشاد لتصحيح الاعتقاد (وقد استقصى فيه وجوه إعجاز القرآن وشروط تفسيره)[١٧] .

مؤلفات في الأخلاق والتربية وعلم النفس : مثل الإتمام لفضائل الأنام (ويتناول موضوع العلاقة بين العلم والعمل) والفصول الربانية في المباحث النفسانية .

مؤلفات في العلوم الطبيعية : مثل تفاسير المصنفات الطبيعية ، والأبشار والأشجار (في علم النبات) ، والإبصار والمبصر (في البصريات)[١٨] .

الحقيقة الثانية : أن ثقافة العامري كانت ثقافة موسوعية شاملة .

وتدل المقارنات الكثيرة — التي تمثل سمة بارزة من سمات تفكيره ومنهجه — على معرفة واسعة وعميقة ليس بالإسلام وحده بل بالأديان والثقافات الأخرى كذلك .

وقد استخدم العامري ثقافته الموسوعية للدفاع عن الإسلام ، واستخدم العقل والعلم لنصرة الدين للذي كرَّم العقل والعلم ، ودعا إلى الله بالحجة والبرهان .

مقارنة الأديان

الموضوع والمنهج :

في كتاب الإعلام بمناقب الإسلام يحدِّد أبو الحسن العامري الأديان التي يقارن بينها ، كما يُحدِّد موضوع المقارنة ومُنهجها[١٩] .

أما الأديان التي يقارن بينها فهي الأديان المذكورة في قوله تعالى : **﴿إنَّ الَّذينَ آمَنُوا والَّذينَ هَادُوا والصَّابِئِينَ والنَّصارَى والمجُوس والَّذِينَ أشْرَكُوا إنَّ الَّله يَفصِلُ بَيْنَهُمْ يوم القِيَامَةِ﴾** (الحج ٢٢ : ١٧) .

أي أنه يقارن بين الأديان الستة التي كان لها دُوَل وممالك ، وهي : الإسلام ، واليهودية ، والنصرانية ، ودين الصابئة ، ودين المجوس (الزرادشتية) ، والشِّرك (عبادة الأصنام) .

أما موضوع المقارنة فيتناول العناصر الرئيسية للدين (ويسميها أركان الدين) ، وهي العناصر التي تكون جوهر الدين ، ومن ثم تشترك فيها — أو يجب أن تشترك فيها - جميع الأديان . وهذه العناصر الرئيسية هي :

١ — **العقيدة** : وتشمل الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر .

٢ — **العبادة** : وتشمل الصلاة والزكاة والصيام والحج والجهاد .

٣ — **الشريعة** : وتشمل المعاملات والحدود (ولم يُقارنها العامري في كتاب الإعلام ، لأنه خصَّص لمقارنتها كتاباً آخر لم يصل إلينا وهو كتاب الإبانة عن علل الديانة)[٢٠] .

وتضاف إلى هذه العناصر الرئيسية وتتكامل معها عناصر أخرى وهي :

١ — **النظام السياسي** : أي نظام الحكم .

٢ — **النظام الاجتماعي** : أي بنية المجتمع وتكوينه ، وطبيعة العلاقات بين طبقاته ، وكيفية معاملة الرعايا والأقليات فيه .

٣ — **الإنجاز الحضاري** : أي ما قدمه الدين خلال التاريخ من إنجازات حضارية تتعلق بتقدم الشعوب التي اعتنقته وتخلصها من أغلال التخلف .

٤ — **الإنجاز الثقافي** : أي ما قدمه الدين من إنجازات في مجالات الثقافة والعلوم .

ومن الواضح أن العامري قد استمد كل العناصر السابقة من

الإسلام ، لأنه الدين الذين تتمثل فيه كل عناصر الدين الكامل : أي أنه دين ودولة ، وعقيدة وشريعة ، وحضارة وثقافة .

منهجه في المقارنة :

يقوم منهجه في المقارنة على الأسس التالية :

أ ــ مقارنة الأديان الستة في موضوعات محددة : وهي العناصر السابقة .

ب ــ التزم أن يقارن العناصر المتشابهة ، أو ما يسميه «الأشكال المتجانسة» في الأديان : أي يقارن الأصل بالأصل ، والمهم بالمهم : فمن الخطأ وعدم الإنصاف مقارنة الأصل بالفرع ، أو مقارنة جانب مهم في دين ما بجانب أقل أهمية في دين آخر . ولذلك فهو يقارن العقائد بالعقائد ، والعبادات بالعبادات ، ويقارن في كل منها الأصول بالأصول ، والفرائض بالفرائض ؛ أي لا يقارن الأصل بالفرع ، ولا الفريضة بالنافلة .

جـ ــ التزم أن يقارن كل دين على أساس مبادئه وأصوله المقبولة لدى جمهور معتنقيه : فيتجنب أن يعتبر آراء فرقة دينية واحدة أو أقلية في أي دين على أنها تمثل أتباع ذلك الدين جميعاً ، وتتحدث باسمه في القضايا التي تطرح للمناقشة : فمن الخطأ أن يقارن الإسلام بالأديان الأخرى على أنه الإسلام كما فهمته فرق الشيعة كالإمامية والباطنية ، أو غيرهما من الفرق كالخوارج والمعتزلة .

وعلى هذا الأساس فالإسلام الذي يقارنه العامري هو إسلام أهل السنة والجماعة . والهدف من المقارنة هو إثبات أن الإسلام أفضل الأديان جميعاً في عقائده وعباداته وتشريعاته ، وفي دستوره الأخلاقي ، وفي نظامه السياسي والاجتماعي ، وفي إنجازاته الثقافية والحضارية . ولذلك يقول العامري إنَّ كتابه «مشتمل على جُمل ما اختصَّ به الإسلام من المناقب العليَّة ؛ ليعلم الناظر فيه أنه بالحريِّ أن يكون ناسِخاً للأديان كلها ، وأن يكون ثباته أبدياً لا يرد النسخ عليه» (ص ٤٤) ، ويقرر أن الهدف من المقارنة هو «الإيضاحُ لفضيلة الملة الحنيفية على سائر الملل» (ص ٧٤) ؛ كما يقرر أن هذه المقارنة تمكن العقل من «التمييز بين الأشرف والمشروف» في كل دين ، ومن ثَمَّ يرتفع بها المسلم عن درجة المقلِّدين ، ويتوصَّل «إلى درجة المستبصرين ، ويوقن أنه قد أصبح بمزيتها (أي مزية اعتناق الملة الحنيفية) من الكرامة الإلهية بالقسط الأوفى ، وخصوصاً إذْ قال الله تعالى لمحمد عليه الصلاة والسلام : **﴿وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين﴾** » (الأنبياء ٢١ : ١٠٧ ــ ص ١٢٥) .

المقارنات

١ ــ في العقيدة :

تشمل المقارنات في العقيدة[٢١] ما يلي :

١ ــ الإيمان بالله (عقيدة التوحيد) .
٢ ــ الإيمان بالرسل (النبوات) .
٣ ــ الإيمان بالملائكة .
٤ ــ الإيمان بالكتب المنزلة .
٥ ــ الإيمان باليوم الآخر (المعاد) .

عقيدة التوحيد :

يبين العامري أن الإسلام يتميز على الأديان الأخرى بعقيدة التوحيد الخالص التي تنزه الله تعالى من :

أ ــ التشبيه : الذي اعتقده اليهود .
ب ــ التثليث : الذي اعتقده النصارى .
جـ ــ الضد : الذي اعتقده المجوس .
د ــ الشرك : الذي اعتقده عبدة الأوثان .

أما **التشبيه** : فيعني به العامري ما ورد في التوراة المحرفة من وصف الله تعالى بصفات بشرية (وهو ما يعرف في الدراسات الحديثة للأديان بمصطلح : Anthro Pomorphism) ولا سيما بصفات اليهود أنفسهم : كوصفه تعالى بأنه حقود محب للانتقام (وبخاصة من أعداء اليهود !) ، متعطش لسفك الدماء ، محب للتخريب والتدمير (وبخاصة للمدن والشعوب غير اليهودية !) ، ووصفه تعالى بالندم على خلق الإنسان ثم بالانتقام منه بالطوفان ثم بالندم على هذا الانتقام ! وأنه تعالى تعب من خلق السموات والأرض في ستة أيام فاستراح في اليوم السابع (يوم السبت)، وأنه تعالى صارع يعقوب عليه السلام ، واجتمع بموسى عليه السلام في خيمته ، وأنه تعالى كان يسير أمام بني إسرائيل في البرية في عمود سحاب ، وأنه كان يسكن وسطهم ، وأنه طلب منهم أن يدلُّوه على بيوتهم في مصر بوضع علامات على أبوابها من دماء الغنم تميزها عن بيوت المصريين حتى لا تتعرض ــ خطأً ــ للانتقام الذي سيحل بالمصريين ! إلى غير ذلك من الصفات التي تعكس التصورات الوثنية لليهود ، كما تعكس صفاتهم وأخلاقهم[٢٢] .

وأما **التثليث** فهو العقيدة المسيحية المحرفة التي تزعم وجود أقانيم ثلاثة للألوهية ، وهي الله الأب ، والله الابن ، والروح القدس . كما تزعم أن الله الأب قد تجسَّد في المسيح (الابن) . وبهذا أصبح المسيح شخصية تجمع بين الألوهية والبشرية في آن واحد !

ومن هنا فعقيدة التثليث عقيدة متناقضة ومستحيلة ولا يقبلها العقل . وقد رفضها أو انتقدها بعض العلماء الغربيين حتى من بين علماء اللاهوت المسيحيين أنفسهم[٢٣] . وبالإضافة إلى تناقضها واستحالتها فهي عقيدة لا تمت إلى المسيحية الأصلية (أي غير المحرفة) بصلة ؛ فلم يدّع المسيح عليه السلام قط أنه إله أو ابن إله ، وإنما أكد دائماً أنه بشر رسول .

وهذه الحقيقة قد أثبتها ـــ كما أشرنا ـــ بعض علماء اللاهوت المسيحي أنفسهم ، واستدلُّوا عليها بما ورد في الإنجيل من قول المسيح نفسه لبني إسرائيل : «الربُّ إلهنا رب واحد»[٢٤] . وبما ورد في العهد الجديد من وصف المسيح عليه السلام بأنه «رجل قد تبرهن مِنْ قِبَل الله» أي أيده الله بمعجزات «وآيات صنعها الله بيده[٢٥]» أمام أعين بني إسرائيل . وهذا الوصف يدل على أنَّ المسيح بشر أرسله الله إلى بني إسرائيل وأيده بالمعجزات . وقد أكد القرآن الكريم بشرية المسيح وأنه عبد الله ورسوله في آيات كثيرة ، منها قوله تعالى حكاية عن المسيح عليه السلام : **﴿ما قلت لهم إلا ما أمرتني به أن اعبدوا الله ربي وربكم﴾** (المائدة ٥ : ١١٧) .

أما الألوهية المزعومة للمسيح فقد أعلنها مجمع نيقيه سنة ٣٢٥ م . وأما الألوهية المزعومة لروح القدس فقد أعلنها مجمع القسطنطينية سنة ٣٨١ م . وبهذا تكون عقيدة التثليث قد ظهرت «رسمياً» بعد ظهور المسيح عليه السلام بنحو أربعة قرون[٢٦] .

وأما الضد : فيعني به العامري الثنائية Dualism الموجودة في الديانة الزرادشتية ، وبخاصة كما كانت تلك الديانة في عصر الدولة الساسانية ، وعند ظهور الإسلام ، حيث اتخذت الثنائية فيها صورة واضحة وحاسمة بين أهورامزدا (أو أهرمزد) وأهريمان ؛ أو بين إلهي الخير والشر ، والنور والظلام[٢٧] .

وأما الشرك : فيعني به تعدد الآلهة وعبادة الأوثان .

النبوات :

لم يسلم أهل الكتاب في شأن الأنبياء من الغلو والتقصير :
أما الغلوُّ فما ادعته النصارى من ألوهية المسيح عليه السلام .

وأما التقصير فوصف اليهود لأنبيائهم بصفات لا تليق بالصالحين ؛ فضلاً عن الأنبياء : كنسبتهم لوطاً إلى الزنى بابنتيه في حال السكر ، وأن إبراهيم حابى ابنه إسحاق وأعطاه كُلَّ ما كان له ، وصرف عنه أبناء السراري ومنهم إسماعيل ، وأن ابن يعقوب الكبير زنى بزوجة أبيه ، وأن داود زنى بزوجة أوريا وأرسل زوجها إلى ميدان القتال ليتخلص منه[٢٨] .

أما العقيدة الإسلامية في الأنبياء فهي العقيدة الصحيحة المتوازنة : إذ يجمعون بين البشرية والرسالة ؛ أي أنهم من صفوة البشر الذين اصطفاهم الله لرسالته ؛ ولذلك وصفهم بصفات كريمة منها : الصدق والأمانة والذكاء والعصمة[٢٩] ؛ لأنهم قدوة البشر ، وأئمة الهدى ، ودعاة الخير ؛ كما قال تعالى : **﴿وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا ، وأوحينا إليهم فعل الخيرات ، وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة وكانوا لنا عابدين﴾** (الأنبياء ٢١ : ٧٣) . **﴿وإنهم عندنا لمن المصطفين الأخيار﴾** (ص ٣٨ : ٤٧) .

الملائكة :

كان بعض العرب في الجاهلية يعبدون الملائكة ويزعمون أنهم بنات الله[٣٠] . كما قال تعالى عنهم : **﴿ ويجعلون لله البنات سبحانه ولهم ما يشتهون﴾** (النحل ١٦ : ٥٧) .

أما في المجوسية فقد تخلَّص زرادشت في ديانته من كل الآلهة الإيرانية القديمة ؛ ما عدا أهورامزدا ، الذي جعله إله الخير والنور . ولكن بعد موت زرادشت عادت الآلهة القديمة إلى ديانته في صورة ملائكة تستحق العبادة ، وتكاد تُوضَع في مصافِّ الآلهة[٣١] .

وأما اليهود فيزعمون أنَّ بعض أفراد الملائكة يجوز أن يكفر ثم يمسخ عقاباً له على كفره . والعقيدة الصحيحة في الملائكة هي العقيدة الإسلامية : فهم عباد الله : **﴿عبادٌ مكرمون لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون﴾** (الأنبياء ٢١ : ٢٦-٢٧) .

الكتب السماوية :

يتميز القرآن الكريم على الكتب «المقدسة» قبله من عدة أوجه ، تعود إلى إعجازه في صورة الخطاب ، وفي نظم الألفاظ ، وفي تأليف المعاني :

١ ـــ أمَّا صورة الخطاب فتدل على أنه مُوحى به من ملك مقتدر ، قاهر فوق عباده . وهذا واضح في الأسلوب القرآني في الأمر والنهي ، والوعظ والزَّجر ، والوعد والوعيد . وليس كذلك حال الكتب الأخرى ؛ فهي كتب ذات أساليب بشرية عادية (وذلك لأنَّها قد تناولتها أيدي البشر بالتأليف والتحريف) .

٢ ـــ وأمَّا نظم الألفاظ في القرآن فلا يشبه نظم البشر للكلام . إنه نظم قرآني متميز تميزاً واضحاً ؛ بحيث يستطيع الناقد البصير أن يكتشف ـــ في سهولة ويسر ـــ ما يضاف إليه وليس منه . وليس كذلك النظم في الكتب الأخرى ؛ فهو نظم عادي ، يستطيعه كل من يستطيع الكتابة .

٣ ـــ وأمَّا تأليف المعاني فقد حدَّده العامري بأنه «يجتمع في الجزء منه الشبيه بما هو موجودٌ في الكل» . أي أنَّ الإنسان لا يقرأ عدة

آيات منه إلا ويجدها تشتمل على العقائد والعبادات والشرائع والأخلاق والآداب وتواريخ الأمم .. مع «بلاغة ميسرة للذكر ، ووجازة مُسَهِّلة للحفظ» ، ومعانٍ مركزة لو بُسِطت لاستغرقت كتباً كثيرة . وليس للكتب الأخرى هذه الخاصية في تأليف المعاني .[٣٢]

الإيمان بالآخرة :

يستعمل العامري مصطلح «إثبات المعاد» ، ويعني به الإيمان بالآخرة (أي بالبعث والجزاء) . ويشير ــ بإيجاز ــ إلى عقائد أهل الأديان الأخرى في المعاد ، ويذكر منها ثلاث عقائد :

١ ــ عقيدة تناسخ الأرواح ، وهي الاعتقاد بأن الروح تنتقل من جسم إلى آخر ، سواء أكان جسم إنسان أو حيوان أو نبات .

وقد قال بالتناسخ بعض فلاسفة اليونان ؛ ومنهم فيثاغورس الذي تسربت منه الفكرة ــ في شكل أسطوري ــ إلى أفلاطون[٣٣] .

وتعتبر عقيدة التناسخ من أهم أصول الديانة الهندية ، بل إحدى خصائصها الرئيسية ، فمن لم يعتقدها لا يُعَدُّ من أتباع تلك الديانة .

يقول البيروني : «كما أنَّ الشهادة بكلمة الإخلاص شعار إيمان للمسلمين ، والتثليث علامة النصرانية ، والإسبات علامة اليهودية ؛ كذلك التناسُخ علم النِّحلة الهندية ؛ فمن لم ينتحله لم يلهُ منها ، ولم يُعدَّ من جملتها»[٣٤] .

وقد انتقلت عقيدة التناسخ من الهند إلى إيران على يد (ماني) الذي أدخلها في المانوية .[٣٥] ويرى الشهرستاني أنه «ما من ملة من الملل (غير الملة الحنيفية) إلا وللتناسخ فيها قدم راسخ ، وإنما تختلف طرقُهم في تقرير ذلك . فأما تناسخية الهند فأشدُّ اعتقاداً في ذلك[٣٦]» .

٢ ــ عقيدة أنَّ تخلص الأرواح من الأجساد وهو الثواب ، وبقاءها فيه هو العقاب .

وهذه العقيدة لها أصول فلسفية عند أفلاطون[٣٧] ، ولها أصول دينية : مسيحية وهنديَّة وفارسية[٣٨] .

وتنظر هذه العقيدة إلى الجسم على أنه شر ؛ لأنه مادة ، وهو كذلك سجن للنفس ، ومتى تخلصت منه فإنها تعود إلى العالم العلوي ، بينما يظل الجسد تابعاً للعالم السفلي .

وعلى أساس هذه العقيدة أنكر بعض الفلاسفة البعث الجسدي ، وأوجبوا الثواب الأبديَّ للروح فقط ؛ ولذلك حكم عليهم الإسلام بالضلال والكفر[٣٩] ؛ لأنَّ البعث في الإسلام هو للجسد وللروح معاً .

أمَّا العقيدة الإسلامية في المعاد ــ وهي العقيدة المقبولة لدى العقل ــ فهي أنَّ العالم منْقضٍ بالساعة التي هي ﴿**آتية لا ريب فيها**﴾ (الحج ٢٢ : ٧) ، وأنَّ الله يعيد الأرواح إلى أجساد الموتى ، وذلك في تركيب تتحد به قوتا الحسِّ والعقل . فلا تعود الأجسام (كما كانت في الدنيا) مركبة من الأخلاط الفاسدة ، والأمشاج المتضادَّة ؛ لأنَّها لو ظلت كذلك لتسلَّط عليها البلى والفساد مرة أخرى .

وتكون الحواسُّ مشاكلة للأجسام في الخلوص والنَّقاء ؛ فتتمتَّع بلذَّاتها (في الجنة) تمتعاً مهذباً بريئاً من الثقل والدَّنس (أي مختلفاً عن تمتعها في الحياة الدنيا) . وذلك قوله تعالى : ﴿**وننشئكم فيما لا تعلمون**﴾ (الواقعة ٥٦ : ٦١) ، وقوله تعالى : ﴿**فلا تعلم نفسٌ ما أخفي لهم من قرة أعين**﴾ (السجدة ٣٢ : ١٧) .

٢ ــ في العبادة :

١ ــ العبادة النفسية : وهي الصلاة .
٢ ــ العبادة البدنية : وهي الصيام .
٣ ــ العبادة المالية : وهي الزكاة .
٤ ــ العبادة السياسية : وهي الجهاد .
٥ ــ العبادة الشاملة (للعبادات السابقة) : وهي الحج .

الإسلام دين الاعتدال والتوازن :

يبدأ العامري الفصل الخاص بمقارنة العبادات بمقدمة مركزة تبين أنَّ الإسلام دين الاعتدال والتوازن ، مما يجعله ملائماً للطبائع المختلفة ، وللظروف المتغيرة ؛ ومن ثم يجعله أحق الأديان بطول البقاء .

يقول العامري : «إنَّ أحقَّ الأديان بطول البقاء ما وُجدت أحواله متوسطة بين الشدة واللين ؛ ليجد كُلٌّ من ذوي الطبائع المختلفة ما يصلح به حاله في معاده ومعاشه ، ويستجمع له منه خير دنياه وآخرته . وكل دين لم يوجد على هذه الصفة ، بل أُسِّسَ على مثال يَعُودُ بهلاك الحرث والنسل ؛ فمن المحال أنْ يُسمَّى هيِّناً فاضلاً .

وذلك مثل ما تمسَّك به رهابين النصارى من هجران المناكح ، والانفراد في الصوامع ، وترك طيبات الرزق .

وما يتعاطاه الصدِّيقون من الثنوية من حمل الأنفس على الوجاء والخِصَاء ، وملازمة الأصول الخمسة التي هي عندهم : الصدق ، والطهر ، والراحة ، والقدسُ ، والمسكنة ، دون غيرها من حركات العمارة[٤١] .

وما انتهجه نُسَّاك الهند من إحراق الأجساد ، وتفريقها في الماء ،

والتردِّي من الجبال ، وإهلاكها بالضم والأزم (أي قبض الأجساد وإمساكها عن الطعام حتى تضمر) .

ولو أنَّ الله أراد بعباده حملهم على إهلاك الأنفس لما علَّمهم صنعة لبوسٍ لهم لتحصنهم من بأسهم ، ولما جعل لهم سرابيل تقيهم الحرَّ ، ولما هداهم لِصنوف العقاقير النباتيَّة ليستشفوا بها من الآلام المعترية» (ص ١٣٩ - ١٤٠) .

ويبين العامري في هذا الفصل الجوانب النفسية والاجتماعية والسياسية للعبادات الإسلامية :

الصـلاة :

يسميها العامري العبادة النفسية ؛ وذلك لأنَّها مشتملة على ذكر الله تعالى ؛ وإخلاص النفس له بالخشوع ، وهي تمثل قمة التعبير النفسي والجسدي عن الخضوع الكامل : خضوع العبد لربه .

والصلاة في الإسلام تفضُل الصلاة في الأديان الأخرى من وجهين :

من حيث الكمية : لأنها وسط بين المغالاة في الكثرة كصلوات الرهبان ، والتقصير بالقلة كصلوات المجوس . ولهذا فهي — بعددها وأوقاتها — تمكن المسلم من التصرف في أسباب المعاش ، مع قضاء حق الله في التعبُّد .

ومن حيث الكيفية : لأنها تتميز بما يلي :

١ — أنها تمثل بهيئاتها — كما سبق — الخضوع الكامل من العبد لربه .

٢ — أنها محددة المعالم ، ومميزة بالدخول فيها بالتكبير ، والخروج منها بالتسليم ؛ أي مميزة بأقوال وأفعال تحدد بدايتها ونهايتها .

٣ — أنها مصونة عن الابتذال بأنواع الكلام البشري ، وصنوف الانشغال الدنيوي . أما صلوات الأديان الأخرى فتنقصها هذه الفضائل :

فبعضها ذات ركوع بلا سجود ، وبعضها ذات سجود بلا ركوع ، وبعضها غير محددة في بدايتها ونهايتها . وصلاة النصارى أشبه بالغناء منها بالتعبُّد .

وللصلاة في الإسلام ميزتان أخريان :

الأذان : وهو بصيغته وطريقته لا مثيل له في الأديان الأخرى .

وصلاة الجمعة : ولها من الهيبة والمعاني التربوية والاجتماعية والسياسية ما لا يوجد في الأديان الأخرى . وإمام المسلمين في صلاة الجمعة (كما كان في العصور الإسلامية الزاهرة) يجمع بين الإمامة الصغرى وهي إمامة الصلاة ، والإمامة الكبرى وهي رئاسة الدولة ؛ ولهذا تعتبر صلاة الجمعة من أهم العبادات التي تمثل الإسلام على أنه دين ودولة .

الصيام :

هو ضبط النفس عن لذات ينجذب إليها الطبع ، وهي لذات الطعام والشراب والنكاح .

والصيام في الإسلام أفضل منه في الأديان الأخرى :

فمن حيث الكمية : لم يطل فيملّ كصوم الرهبان ، ولم يقصر فيقل كصوم المجوس .

ومن حيث الكيفية : ليس كصيام النصارى والثنوية ، الذي يحرم فيه أكل اللحم ، ويؤدي إلى نحول الجسم ، وليس كصيام اليهود الذي ليس له نظام مستقر ، ولا أوقات محددة ، معروفة للجميع ؛ إذ لا يعرف أوقاته إلا خاصة علمائهم .

وهدف الصيام في الإسلام : ضبط النفس في اللذات الثلاثة ، وتطهيرها من الآثام بوجه عام .

وترتبط به عبادات أخرى لها آثار اجتماعية وتربوية بالغة الأهمية : كالإنفاق والتهجد والاعتكاف . وينتهي الصيام بعيد الفطر ، وهو إعلان عن عزة الدولة ، ومناسبة عامة للإيثار والسرور والبهجة . وليس للصيام في الأديان الأخرى مثل هذه المزايا .

الزكاة :

يعرفها العامري تعريفاً يعني أنَّها : عبادة مالية توجب على الإنسان الإنفاق على ذوي الحاجة من دخله من مصادر الثروة الثلاثة : الحيوانية والنباتية والمعدنية . وهي عبادة مشتركة بين الأديان ما عدا النصرانية والمانوية : فالنصرانية تقوم على الزهد المطلق في المال ؛ فلا تدعو إلى الإنفاق منه ، لأنها لا تدعو إلى اقتنائه . وقد سئل المسيح عن الزكاة فقال : «متى أبحثُ لكم اقتناء المال حتى تسألوا عن تفرقته ؟» .

والمانوية تابعت النصرانية في هذا الموقف من المال ؛ لأن المانوية — في حقيقتها — مزيج من النصرانية والزرادشتية .

وفي اليهودية إخراج العُشر من النبات والحيوان .

والمجوس يرون المساواة بثلث المال للأزواج .

أمَّا الإسلام فيفوق الأديان كلها في تعظيم شأن الزكاة : فقد جعلها فريضة يقترن ذكرها في القرآن بذكر الصلاة المكتوبة ، ويتكرر الحث عليها بشتَّى الطرق وألطف التعبيرات ؛ لأنَّها تطهيرٌ للنفس من الشح ، وتحصينٌ للمال من الآفات ، ووقاية للمجتمع من التمزق . ومن ثم أوجب الإسلام على الدولة أخذها من الأغنياء ، وردَّها على الفقراء .

الجهـاد :

يسمي العامري الجهاد «العبادة الملكية» أي العبادة السياسية ،

وهي تسمية تدل على الرؤية الصحيحة للإسلام على أنه دين ودولة ، كما تدل على الرؤية الصحيحة لمفهوم العبادة :

فالعبادة في الإسلام تشمل كل عمل صالح يؤديه المسلم ابتغاء مرضاة الله ؛ أي تشمل ـــ إلى جانب العبادات المعروفة ـــ كل نشاط إنساني نافع للنّاس لم يؤد بدافع من دوافع حب العاجلة ، بل يكون دافعه الأساسي ابتغاء مرضاة الله . ومن ثم تصبح السياسة ـــ المهتدية بالعقيدة والشريعة ـــ عبادة . بل تصبح كل النشاطات الإنسانية عبادات .

ويبين العامري ضرورة الجهاد للعمران على وجه الأرض ، وأن «أساس العالم لا يحتمل تركه» ؛ وذلك لأن التغالب والعدوان هما من الظواهر المتكررة في المجتمعات الإنسانية . والعدوان لا يرد بالخضوع والتسليم ، وإنما يرد بمقاومته ؛ أي بالجهاد . ومن ثم فالجهاد ضرورة لحماية الحياة الإنسانية بوجه عام ، والحفاظ على الإسلام والأمة الإسلامية بوجه خاص .

كما يبين أن التسامح في النصرانية إنما هو تسامح نظري فقط ؛ فمن الناحية الواقعية لا يسكت النصارى على العدوان على دينهم ومعابدهم . وما روي عن المسيح عليه السلام من قوله : «مَنْ لطمك على خدك الأيمن فأدر له الأيسر» (إنجيل متي ٥ : ٣٨) لا يفهم حرفياً ، بل يحمل على المجاز ، أي الحث على الإغضاء والاحتمال ، وهما من سمات الدعوة في رسالات الأنبياء جميعاً ؛ ولا سيما في المراحل الأولى من الرسالة قبل أن يشرع الجهاد لمقاومة العدوان على المؤمنين والمستضعفين في الأرض .

ولم يؤكد الجهاد في دين كما أكده في الإسلام : فهو في الإسلام فريضة ماضية إلى يوم القيامة . وقد وصف المجاهدون في القرآن بأنهم ﴿**رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر ومابدلوا تبديلا**﴾ (الأحزاب ٣٣ : ٢٣) .

ولكن طبيعة الجهاد وأهدافه في الإسلام تختلف عن طبيعة الحروب الأخرى وأهدافها . فالجهاد في الإسلام جزء لا يتجزأ من نظام الحكم الإسلامي ، وهذا الحكم يقوم على تعاليم النبوة ، فهو حكم هداية للبشرية ، ورحمة للناس . ولذلك تعتبر القوة الحربية والسلطة السياسية فيه وسيلتين لهداية الناس وإسعادهم ، لا لاستعبادهم وإشقائهم .

ولذلك نرى العامري في حديثه عن أفضلية نظام الحكم الإسلامي على غيره من النظم يقسم الحروب بوجه عام إلى ثلاثة أنواع :

أ ـــ **الفتنة** : وهي الحروب التي يثيرها التعصب القومي أو العنصري .

ب ـــ **التصعلك** : وهو الحرب العدوانية التي تهدف إلى استلاب أموال الناس . والتصعلك بهذا المعنى يشبه قطع الطريق على الناس لسلب أموالهم ، كما يشبه الحروب التي تشنُّها الدول الاستعمارية على الأمم الضعيفة لنهب ثرواتها .

جـ ـــ **الجهاد** : وهو الحرب الوحيدة المشروعة ؛ لأنها الحرب العادلة التي يُلْجأ إليها عند الضرورة ، لرد العدوان والدفاع عن النفس والدين والعرض والمال ، وعن المستضعفين في الأرض ؛ أي للحفاظ على العمران الإنساني كما يفهمه الإسلام : وهو العمران الروحي والمادي معاً .

الحـج :

يسميه العامري «العبادة المشتركة» ، أي العبادة التي تشتمل على العبادات الأخرى : فهو عبادة نفسية وبدنية ومالية وسياسية .

ويبرز العامري المعاني الروحية والاجتماعية والسياسية للحج ، وما فيه من تطهر روحي وإعداد للقاء الله ، وأنه رمز لوحدة الأمة الإسلامية . وبسبب هذه المعاني يتميز هذا المنسك الإسلامي على مناسك الأديان والأمم الأخرى ؛ فلا تجد فيها «نُسُكاً أجمع لوجوه البِرّ ومكاسب الأجر من نُسُك المسلمين» (ص ١٤٩) .

٣ ـــ النظام السياسي :

في الفصل الخاص بأفضلية الإسلام على غيره في نظام الحكم[٤٢] يبين العامري عدة حقائق بالغة الأهمية ، ومنها :

١ ـــ أنَّ الإسلام دين ودولة معاً ، وأنَّ محمداً ﷺ قد آتاه الله النبوة والملك معاً ، وأنَّ اجتماعهما من أجلّ نعم الله عليه ، كما قال تعالى عن آل إبراهيم :

﴿**أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله فقد آتينا آل إبراهيم الكتاب والحكمة وآتيناهم ملكاً عظيماً**﴾ (النساء ٤ : ٥٤) .

٢ ـــ أنَّ اقتران الدين والدولة من أهم العوامل التي تهيىء لنظام الحكم ثباتاً واستقراراً لا يتهيئان بفصل أحدهما عن الآخر (كما هو الحال في نظم الحكم العلمانية مثلاً) .

ولتأييد هذه الحقيقة يشير العامري بإجمال إلى ما اتفق عليه أهل السنة من أنَّ «الدين والملك توأمان» وأنَّ «الدين أسٌّ والملك حارس ، وكل ما لا أُسَّ له فمهدوم ، وكل ما لا حارس له فضائع» ، وأنَّ «السلطان إن لم يكن على دين تجتمع به القلوب حتى يرى أهلُه الطاعة فيه فرضاً ، والتناصر عليه حَتْماً ـــ لم يكن

للسلطان لبث ، ولا لأيَّامه صفو»[٤٣] .

٣ ــ أنَّ الاسلام يجعل مكارم الأخلاق من الصفات الضرورية التي يجب أن يتحلى بها الإنسان المسلم بوجه عام ، والحاكم المسلم بوجه خاص .

ومن ثمَّ فمن أهم خصائص المجتمع المسلم أنَّه مجتمع أخلاقي ، أي أنه مجتمع تتحقق في أفراده بوجه عام ، وفي حُكَّامه بوجه خاص ، مكارمُ الأخلاق ؛ وبهذا يتميز المجتمع بأنه ــ كما نقول بلغة العصر ــ «مجتمع التكافل والقوة» .

ومن أهم الوسائل التي تؤدِّي إلى قيام هذا المجتمع :

أ ــ **الوسائل الاقتصادية** : وبخاصة المال (واكتسابه بوسائل مشروعة) . فبالمال يتحقق كثير من أسباب التكافل الاجتماعي ؛ ولا سيما مواساة الضعفاء والمحتاجين .

ب ــ **الوسائل الاجتماعية** : وبخاصة تماسك المجتمع في روابط اجتماعية وثيقة . فهذا التماسك الاجتماعي من أهم الأسباب التي تحقق وحدة المجتمع وقوته .

والأديان التي تحرم اكتساب المال ، وتدعو إلى اعتزال الناس (كالرهبانية المسيحية) إنَّما تسلب أتباعها في الواقع وسائل التكافل والقوة ، ومن ثم تسلبهم مكارم الأخلاق .

٤ ــ أنَّ السلطة السياسية للدولة ليست غاية في ذاتها ، وليست خيراً أو شراً بنفسها ، وإنما هي وسيلة يتحدد وصفها بالخير أو بالشر بحسب استعمالها ، أي بحسب الغاية التي تستعمل لتحقيقها .

وعلى أساس هذا المفهوم للسلطة السياسية يقسم العامري نظم الحكم إلى نوعين :

أ ــ **الإمامة** : وفيها تُستخدم السلطة السياسية لهداية الناس وإسعادهم ، وهذه هي السياسة الرشيدة الحكيمة ، التي يقوم عليها نظام الحكم في الإسلام .

ب ــ **التغلب** : وفيه تُستخدم السلطة السياسية لاستعباد الناس وإشقائهم ، وهذه هي السياسة المستبدة الغاشمة ، وهي التي تقوم عليها نظم الحكم غير الإسلامية .

٥ ــ بينما تغلو اليهودية في الانتقام وفي الماديَّة ، وتغلو المسيحية في التسامح وفي الروحانية ــ يقف الإسلام موقفاً وسطاً ؛ فيدعو إلى السِّلم مع الاستعداد لردِّ العدوان ، ويجمع في توازن حكيم بين الجوانب المادية والروحية ، وبذلك يحقق خير الإنسان في الدنيا والآخرة .

٦ ــ يحرر الإسلامُ الإنسان من كل العوائق التي تحول دون إفادته وإفادة الناس من مواهبه وطاقاته ؛ ويحرره بوجه خاص من العائق الطبقي الذي يُقوِّم الإنسان باعتبار الطبقة الاجتماعية التي ينتمي إليها ، لا على أساس مواهبه وطاقاته ، ومدى ما يمكن أن يقدمه للناس من خير .

وفي هذا يتميز الإسلام عن الأديان الأخرى ؛ وبخاصة المجوسية (الزرادشتية) . فقد كان ملوك الفرس ــ بتأثير ديانتهم ــ يقسمون الناس إلى طبقات ، ويقومونهم بالأنساب لا بالأعمال ، ويُحرِّمون عليهم الترقي من طبقة إلى طبقة ؛ وبهذا حجروا على كثير من المواهب والطاقات ، وعوقوها من أن تعمل وتُبدع ؛ لأنَّهم جرَّدوها من حوافز العمل والإبداع ؛ حتى جاء الإسلام فخلَّص الفُرسَ من هذه الطبقية ، وأحلَّ محلَّها المساواة بين الناس في الإنسانية ، وجعل تقويمهم بالأعمال لا بالأنساب[٤٤] ؛ وقال لهم : ﴿**إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ**﴾ (الحجرات ٤٩ : ١٣) .

٤ ــ النظام الاجتماعي :

في الفصل الخاص بأفضلية الإسلام في النظام الاجتماعي يتحدث العامري عن «الرعايا» في المجتمع الإسلامي[٤٥] ، وينظر إليهم من زوايا ثلاث :

أ ــ زاوية القوة والضعف :

ويقسمهم من هذه الزاوية إلى أقوياء وضعفاء .

أما الأقوياء فيبدو أنه يقصد بهم مَن تميزوا بصفات عقلية وخلقية فائقة ، ولم يلحقهم سبب من أسباب الضعف (التي ستُذكر بعد قليل) . هؤلاء الأقوياء قد أطلق لهم الإسلام استعمال قواهم ومواهبهم ــ دون عائق ــ في اكتساب ما يعود عليهم وعلى مجتمعهم بالخير .

وأما الضعفاء فقد صنَّفهم بحسب أسباب ضعفهم في خمسة أصناف :

١ ــ **النساء** : وضعفهن بسبب تركيب البِنْية .
٢ ــ **اليتامى** : وضعفهم بسبب صغر السنِّ .
٣ ــ **الفقراء** : وضعفهم بسبب ضيق المعاش .
٤ ــ **العبيد** : وضعفهم بسبب ملك الرقبة ؛ أي بسبب الرق .
٥ ــ **الغرباء** (أبناء السبيل) : وضعفهم بسبب فقد الوطن .

وقد أوجب الإسلام الرفق بالنساء ، وحفظ أموال اليتامى وإكرامهم ، وأداء حقوق الفقراء ، وفك الرقاب أي تحرير العبيد ، ورعاية أبناء السبيل ــ كما هو واضح في العديد من آيات القرآن وأحاديث الرسول ﷺ .

ب ــ زاوية الشرف والضَّعة :

يبين العامري أن الشرف والضعة أمران نسبيان ، وأن كل فرد في المجتمع المسلم يستحق الاحترام بقدر ما يتحمل من المسئولية ، وبقدر ما يتحلى بصفاتٍ يتفاوت فيها الأفراد : كالعقل ، والعلم ، والخُلق ، والسنّ ، والمكانة بين الناس .

جـ ــ زاوية الولاء والعداء :

يدعو الإسلام إلى بناء مجتمع متماسك ، تسود بين أفراده المحبة والولاء ، وتُحرَّم فيه أسباب القطيعة والعداء . ولذلك يوجب الإسلام الحفاظ على الولاء بأنواعه الثلاثة : ولاء النسب ، وولاء العقد ، وولاء الدِّين .

أمَّا العداوة فقد قطع الإسلامُ جميع أسبابها ، إلَّا عداوة المعادين له ، وهم الملحدون والمشركون وأهل الكتاب .

وقد نظم الإسلام علاقة المسلمين بهؤلاء جميعاً :

فلا يسمح للملحد والمشرك بالإقامة في دار الإسلام إلا بعقد الأمان ؛ حمايةً للعوامِّ من عقائد الزيغ والوثنية .

وأمَّا أهل الكتاب فيعاملهم الإسلام في داره معاملة كريمة : فيوجب حمايتهم ، ويكفل لهم حرية العقيدة والعبادة ، ولا يكرههم على اعتناقه ، ويقتصر منهم على الجزية التي هي من التنظيمات الإدارية ، وليست من العبادات (كالزكاة) ؛ فهذه لا يطالب بها إلا المسلمون .

وأمَّا المجوس والوثنية فلأنهم يشبهون أهل الكتاب من وجه ، والوثنيين من وجه ــ فقد أُلحقوا بهؤلاء في أحكام ، وبأولئك في أحكام .

وبالإجمال فإن معاملة الإسلام لأهل الأديان الأخرى بوجه عام ، ولأهل الكتاب بوجه خاص ، هي أفضل من معاملتهم في أي دين آخر[٤٦] .

٥ ــ الإنجاز الحضاري :

في فصل عن أفضلية الإسلام على غيره في مجال الإنجازات الحضارية التي حققتها الشعوب بسبب اعتناقها له[٤٧] يتحدث العامري عن شعبين أفادا من الإسلام الكثير في المجال الحضاري ، وهما : العرب والفُرس .

أمَّا فضل الإسلام على العرب فيتضح بمقارنة ما كانوا عليه في الجاهلية بما أصبحوا عليه في الإسلام : فقد كانوا في جهل وضلال ، يعيشون في فرقة وعداوة ، يسفكون الدماء ، ويقطعون الطريق ، وينتهبون الأموال ، ويرتكبون كبائر الإثم والفواحش . ليس لهم حكومة تنظم شملهم ، ولا دين يوحّد بينهم .

«فرزقوا رسولاً من الله تعالى ، مبعوثاً بالحق والهدى ؛ ليعلمهم الكتاب والحكمة ، ويأمرهم بالعدل والإحسان ، وينهاهم عن الفحشاء والمنكر ، ويدعوهم إلى ترك العصبية وحميّة الجاهلية . فآواهم الله وأيدهم بنصره ، ومكّنهم من الممالك ، بعد أن كانوا قنعوا من أربابها بالسلامة من سطوتهم ؛ فضلاً عن الاستيلاء على خططهم ؛ كما قال تعالى : ﴿**واذكروا إذ أنتم قليل مستضعفون في الأرض تخافون أن يتخطفكم الناسُ فآواكم وأيدكم بنصره ورزقكم من الطيبات لعلكم تشكرون**﴾ (الأنفال ٨ : ٢٦) . ومن ثم أصبحوا بسبب الإسلام أصنافاً ثلاثة :

١ ــ أصبح بعضهم ملوكاً وحكاماً على دولة قوية : تقوم قوتها على الدين ، والعلم به ، والتفقه في أحكامه ، وتطبيق شرائعه .

٢ ــ أصبح بعضهم أغنياء بعد أن كانوا في جاهليتهم فقراء .

٣ ــ أما الأغلبية ــ وهم جمهور العرب ــ فيكفيهم شرفاً أنَّ صاحب الدعوة كان واحداً منهم ، وأن دعوة الإسلام ــ في أول أمرها ــ قد انتشرت بجهادهم ، وأنَّ دولة الإسلام قد أذن الله أن تُشاد بحسن بلائهم .

وأمَّا الفرس فكانوا قد أُصيبوا قبل الإسلام بمحنتين عظيمتين :

الأولى : أنَّ رجال الدين الزرادشتي حجروا على أفكار الناس وعقولهم ، وحرَّموا عليهم دراسة الحكمة الإلهية ، كما حرَّموا عليهم النظر والاجتهاد ، وشجعوهم على التقليد .

الثانية : أنَّ ملوك الفرس قسموا الناس إلى طبقات ، ووضعوا أنفسهم في القمة ، وأضفوا على أنفسهم ألقاب السيادة والعظمة ، بينما كانت الطبقات الأخرى مضطهدة بهم ، ومستعبدة لهم ، ومسخرة لخدمتهم .

وقد بلغ هذا النظام الطبقي درجة من الصرامة جعلت ترقي الفرد ــ عن طريق مواهبه واجتهاده ــ إلى طبقة اجتماعية أعلى ، أمراً محرَّماً . ومن الواضح أنَّ هذا النظام قد عوق الأفرادَ عن القيام بأعمال عظيمة لترقية مجتمعهم ؛ مما أصاب هذا المجتمع بالجمود والتخلُّف .

وجاء الإسلام فخلَّص الفرس من المحنتين :

خَلَّصهم من سلطان رجال الدين ، وأطلق لعقولهم حرية الفكر . كما خَلَّصهم من استعباد الملوك ، بل ومن النظام الطبقي كله ، وأطلق لهم حرية الترقِّي في السُّلَّم الاجتماعي ، كما قال تعالى : ﴿**إنَّ أكرمكم عند الله أتقاكم**﴾ (الحجرات ٤٩ : ١٣) .

يضاف إلى ذلك أنهم شاركوا العرب في الجهاد والفتوحات وبناء الحضارة الإسلامية .

٦ ــ الإنجاز الثقافي :

في فصل عن «المعارف» يبين العامري أنَّ الإسلام يتميز على غيره من الأديان في مجالات الثقافة والعلوم[٤٨]

فالثقافة اليهودية تكاد تكون محصورة في التوراة (وشروحها) .

والثقافة المسيحية تكاد تكون محصورة في الإنجيل (العهد الجديد) وقرارات المجامع الكنسية .

والثقافة المجوسية (الزرادشتية) في الأفستا وشروحه .

أمَّا الثقافة اليونانية فقد اشتهرت بالفلسفة والعلوم (التي يبين العامري أهميتها ، ويدعو إلى الاستفادة منها بالمعايير الإسلامية كما سنرى) ، ولكن دخلها النقص من ناحيتين :

١ ــ استبعادها للوحي الإلهي ، واعتمادها على العقل البشري وحده . وقد بيَّن العامري أنَّ الإسلام يكرم العقل ويدعو إلى التفكير ، ولكن العقل البشري يخطىء ويضل ، أما الوحي الإلهيُّ فلا يجوز عليه الخطأ ، ولا يعتريه الشك ، ولا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه .

٢ ــ أنه يغلب عليها الاتجاه إلى فصل العلم عن العمل ؛ ولذلك نرى العامري يرفض مذهب الفلاسفة الذين يقولون بطلب العلم لذاته ، ويؤكد «أنَّ العلم مبدأ للعمل ، والعمل تمام العلم ، ولا يُرغب في العلوم الفاضلة إلا لأجل الأعمال الصالحة» ، ويُفنِّد مبدأ الفصل بين العلم والعمل ؛ فيقرر أنه لو كان صحيحاً لوجب أن تُوكَلَ الأعمالُ الصَّالحة إلى الجهلاء والأغبياء ، ولما كان هناك حاجة إلى العلم والعلماء في مجالات السياسة والعمران[٤٩] .

أمَّا الثقافة الإسلامية فقد تميزَّت باستمدادها من الوحي والعقل ، وربطها بين العلم والعمل ؛ كما تميزَّت بثرائها وشمولها لعلوم كثيرة ، يصنِّفها العامري في مجموعتين :

أ ــ العلوم المِلِّيَّة (أي الإسلامية) : وهي علوم التوحيد والحديث والفقه ، بالإضافة إلى علوم اللغة ، التي تعتبر آلة (وسيلة) معينة على دراسة هذه العلوم .

ب ــ العلوم الحكمية (أي الفلسفية) : وتشمل الإلهيات والعلوم الرياضية والطبيعية . بالإضافة إلى علم المنطق الذي يعتبر آلة معينة على دراسة هذه العلوم . وقد بيَّن أنَّ كلا النوعين من العلوم قد ازدهر في ظل الإسلام .

وفي حديثه عن العلوم الإسلامية بين أنها تفضُل العلوم الفلسفية ؛ لأن هذه تقوم على العقل البشري الذي يخطىء ويضل ، أما العلوم الإسلامية فتقوم على أساسٍ يقيني ؛ لأنها تقتبس من مشكاة «الوحي الإلهي الذي لا يعرض الشك عليه ، ولا يجوز السهوُ والغلط فيه» .

كما بيَّن أهمية هذه العلوم ، وأشاد بإنجازات علمائها جميعاً :

أمَّا علماء الحديث فقال عنهم : إنه «ليس يشك أنَّ أصحاب الحديث هم المعنيون بمعرفة التواريخ العائدة بالمنافع والمضار ، وهم العارفون لرجال السلف بأنسابهم ، وأماكنهم ، ومقادير أعمارهم ، ومَن اختلف إليهم ، وأخذ العلم عنهم . بل هم المتحققون لما يصح من الأحاديث الدينية وما يسقم ، وما يقوى منها ويضعف . بل هم المتجشمون للحل والترحال في أقاصي البلدان وأدانيها ؛ ليأخذوا عن الثقات سنن رسول الله ﷺ ، بل هم المجتهدون أن يصيروا نُقَّاد الآثار ، وجهابذة الأخبار ؛ فيعرفوا الموقوف منها والمرفوع ، والمسند والمرسل ، والمتصل والمنقطع ، والنَّسيب والملصق ، والمشهور منها والمدلَّس ، وأن يصونوا صناعتهم صيانةً لو رام أحد أن يفتعل حديثاً مزوَّراً ، أو يغير إسناداً ، أو يحرف متْناً ، أو يروج فيها في الأخبار الأدبية كالفتوح والسِّيَر ، والأسمار والوقائع ــ للحقه من جملتهم أعنف النكير»[٥٠] .

وأما المتكلمون فهم الذين يقومون بتوضيح الأصول الاعتقادية ، وإثباتها بالأدلَّة العقلية ؛ فَهُم يقومون بمهمة توطيد الدين ، والدعوة إليه بالحكمة ، والموعظة الحسنة ، والجدال بالتي هي أحسن ؛ أي يدعون إلى الله على بصيرة . وهذه الدعوة لا تقل أهمية عن الدفاع عن الإسلام بقوة السِّلاح ؛ بل يؤكد العامري أنَّ حاجة الإسلام إلى تأييد الفكرة وتأييد الكلمة أمسُّ من حاجته إلى القوة الحربية .

ولذلك لا يُستعان بهذه القوة الأخيرة إلا بعد المبالغة في إقامة الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة[٥١] .

وأمَّا الفقهاء فأشاد باستقصائهم للأحكام ، واستنباطهم للتفريعات ، ودقتهم في الفتاوى ، كما أشاد بدورهم في الاجتهاد ، وبين ضرورة الاجتهاد لمواجهة واقع الحياة المتغيِّرة ، كما بيَّن أهمية الفقه والفقهاء للقيام بعملية الاجتهاد في المجتمع الإسلامي[٥٢] .

وفي حديث عن العلوم الفلسفية بيَّن كذلك أهميتها ، وأنه لا تعارض بينها وبين الإسلام ؛ ومن ثم دافع عنها ، ودعا إلى دراستها بوجه عام ، ودراسة العلوم الرياضية والطبيعية بوجه خاص ؛ وذلك للأسباب التالية :[٥٣]

أولاً : **أنَّها** تقوم على العقل . والوحي يوافق العقل ولا يتعارض معه .

ثانياً : **أنَّها** تشتمل على علوم نافعة ، والإسلام يدعو إلى العلم النافع بكل أنواعه . فالقرآن ــ في آيات كثيرة ــ يحث المؤمنين على دراسة

ايات الله في خلق الكون والإنسان ، أي دراسة الظواهر الكونية والإنسانية .

ثالثاً : أنّ دراسة العلوم الرياضية والطبيعية بوجه خاص تبين أن خلق الكون لا يقوم على الصدفة أو الفوضى ، وإنما يقوم على النظام والحكمة .

رابعاً : أنّ دراسة هذه العلوم لا تحقق مجرد المعرفة النظرية بالظواهر الكونية والطبيعية ، بل تحقق كذلك إمكانية السيطرة عليها ، والاستفادة منها .

خامساً : أنه يترتب على دراسة هذه العلوم منافع عملية واضحة للمسلمين : فمثلاً يقول العامري عن الهندسة إنه «لولاها لما قدر الحُسّاب على استخراج الجذور الصم ، ولما قدر المُسّاحُ على معرفة أشكال العقارات ، ولما وصلت العقول إلى التحقيق لمبلغ الأبحر في أطوالها وعروضها ، ومبلغ الجبالَ في أعمدتها وارتفاعها . هذا — أيّدك الله — مع ما ينتفع به الحذاق من البنائين والنجارين والنقّاشين والصوّاغين ، وما يُتوصَّل بها إلى اتخاذ الآلات الرصدية» .

ويقول عن الحيل (الميكانيكا) : إنَّ «بها يُتوصَّلُ إلى استنباط المياه المستكنة في بطون الأرض ، وإساحتها على وجهها : وهي إما بالدواليب (السّواقي) وإما بالفوّارات . وبها يُتَقَوَّى على حمل الأشياء الثقيلة بمعونة القُوى (الآلات) الضعيفة . وبها يُستعان على اتخاذ القناطر على الأودية القَعِرة ، وعقد الجسور العجيبة في الأنهار العميقة ، وغيرها مما يطول شرحه» .

أمّا دراسة الإلهيات فلأنها تُعينُ على إثبات عقيدة التوحيد بالأدلة العقلية .

ويشير العامري إلى مبدأ الأخذ من الثقافات الأخرى ويُقِرُّه ؛ بشرط أن يتفق هذا الأخذ مع الإسلام ، ويخضع للمقياس الإسلامي في اختيار «الأحسن» (أي الأنفع والأفضل) للمسلمين ؛ كما قال تعالى : ﴿**فبشر عباد الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه**﴾ (الزمر ٣٩ : ١٧) .

شبهات حول الإسلام

يختم العامري مقارناته بتفنيد بعض الشبهات التي أثيرت في عصره ، وما تزال تثارُ في عصرنا ، حول الإسلام . ويشير إلى أنَّ هذه الشبهات كثيرة ، ولكن أربعاً منها يمكن أن يكون لها رواج وتأثير على العوامّ ، ومِن ثَمَّ يخصُّ هذه الأربعة بالتفنيد[٥٤] ، وهي :

١ — انتشار الإسلام بالسيف :

لتفنيد هذه الشبهة يقسم العامري الحروب إلى ثلاثة أنواع : الفتنة ، والتصعلك ، والجهاد . (وقد سبق الحديث عنها) . ويبين أن حروب الرسول ﷺ هي جهاد ؛ أي حروب عادلة مشروعة ؛ لأنها كانت لرد العدوان ، والدفاع عن الدين والمستضعفين . وقد لجأ إليها لا من أجل مالٍ ، أو رغبة في سفك الدماء ؛ فقد كان ﷺ أزهد الناس في ذلك كله ؛ وقد رفض عروض الكفار عليه بالمال والملك ، وظل سنين طويلة يدعوهم إلى الإسلام بالحكمة والموعظة الحسنة ؛ حتى اضطر إلى قتالهم اضطراراً ، وذلك عندما «أيِسَ من ارعوائهم ، وأيقن أنَّ الوعظ لا ينجح فيهم» ؛ فذهب في علاجهم مذهب الطبيب الذي خشي إتيان الداء العُضَال على نفس العليل ، وعلم ألاّ سبيلَ إلى شفائه إلاّ باستئصال الداء «فأوقع في مغازيه بعدد من القتلى ، تدرُّجاً إلى استنقاذ الجمهور من الهلك والرَّدى»[٥٥] . أي بالتضحية ببعض الأفراد لإنقاذ المجموع . وقد بيَّن العامري — كما سبق — الوظيفة السياسية والعمرانية للجهاد .

٢ — فُرقة المسلمين :

للردِّ على من اتخذ من تفرُّق المسلمين شيعاً وأحزاباً وسيلة للطعن على الإسلام ، يبين العامري أن الاختلافات موجودة في جميع الأديان ، وليست مقصورة على الإسلام والمسلمين . ويستقرىء أسباب هذه الاختلافات في الأديان بوجه عام .

وفيما يختص بالإسلام يقرر أنه لمَّا كان ناسِخاً للأديان كلها ، وهادماً لنفوذ رجال الدين (وبخاصة في اليهودية والنصرانية) ، ومسقطاً لعروش الطغاة والظالمين — فقد امتلأت القلوب غيظاً عليه ، وكثر أعداؤه . ويشير إلى أنَّ بعض هؤلاء الأعداء قد تظاهروا باعتناقه ، وهدفهم الحقيقي هو هدمه من الداخل ؛ وذلك عن طريق اختراع الآراء التي تسبب الخِلاف ، والنفوذ من الثغرات التي تثير الفُرقة .

٣ — البيان القرآني :

للردِّ على من اتهم القرآن بضعف البيان يبين العامري أن القرآن يحتوي على ثلاثة أساليب :

أ — أسلوب الرمز والإلغاز ، دون التصريح والإفصاح : وذلك كما في الآيات المتضمنة لأنباء الغيب من علامات القيامة ؛ كفتح يأجوج ومأجوج في قوله تعالى : ﴿**حتى إذا فتحت يأجوج ومأجوج[٥٦] وهم من كل حدب ينسلون واقترب الوعد الحق فإذا هي شاخصة أبصارُ الذين كفروا يا ويلنا قد كنا في غفلة من هذا بل كنا ظالمين**﴾ (الأنبياء ٢١ : ٩٦–٩٧) . وخروج دابة الأرض كقوله تعالى : ﴿**وإذا وقع القول عليهم أخرجنا لهم دابة من الأرض[٥٧] تكلمهم أنَّ الناسَ كانوا بآياتنا لا يوقنون**﴾ (النمل ٢٧ : ٨٢) .

ب — أسلوب الإجمال والإيجاز : أي «أن يُودع الكثير من المعاني

في القليل من الألفاظ» ؛ وذلك كما في آيات التشريع والأحكام التي بيَّنتها السنة .

جـ ـ أسلوب التفصيل والإطناب : وذلك في الاستدلال العقلي ؛ كما في الآيات المتضمنة للبرهنة على العقائد (كإثبات الوحدانية والوحي والمعاد) .

ولأنَّ القرآن الكريم يشتمل على الوجوه الثلاثة «التي بها تصير الألفاظ معرضة للظنون المختلفة» ـ فلا عجب أن تختلف الآراء في معانيه . ولا يعيب القرآن الكريم أن تعجز بعض العقول عن فهم بعض معانيه ؛ لأنه «ليس على ناظم الكلام تقريبه من جياد الأفهام وعليلها ، بل عليه أن يُخلص على المعاني قصدَها بأسهل وجوه اللفظ . ثم مَنْ فَهِمه كان ذلك فضيلة له ، ومن قصر عنه كان ذلك نقيصة فيه»[58] .

أما دعوى قصور القرآن عن البيان فدعوى زائفة : «فإن الذين خوطبوا في زمن النبي عليه الصلاة والسلام كانوا هم الأئمة في الفصاحة ، وقدوة جزيرة العرب في البلاغة ، ولم ينسبه أحد منهم إلى عدم فضيلة البيان ، ولا تجاسر على إضافته إلى الهجنة في النظم . بل شهد له أهل المعرفة بالألفاظ أنه يفضل الكتب كلها من جهة تبيانه ، وشهد له أهل المعرفة بالمعاني أنه يفضُل الكتب كلها من جهة معانيه ، ومن أغفل البابين ، وغَبِيَ عنهما ، فليس عقله بعيَّار ، ولا فهمه بمعيِّر»[59] .

وعند مقارنة العامري للقرآن الكريم بالكتب «المقدسة» الأخرى يبين أنه يتميز عليها جميعاً بإعجازه في صورة الخطاب ، وفي نظم الألفاظ ، وفي تأليف المعاني .

٤ ـ البشارة بالرسول ﷺ في التوراة والإنجيل :

يرد العامري على من أنكر هذه البشارة بأن يورد «الآيات» المتضمنة لها ، والدالة عليها ، في التوراة والإنجيل ، ويشرحها مبيناً وجه البشارة فيها ، وهي :

في التوراة :

سفر التثنية ١٨ : ١٨-١٩ : قول الله لموسى عليه السلام : «إني أقيم لكم نبياً من أنفسكم ومن إخوتكم ، وأيُّما رجل لم يسمع لما يؤديه انتقمت منه» .

سفر التثنية ٢٣ : ٢ : «إن الربَّ جاء من طور سينين ، وطلع لنا من ساعير ، وظهر من جبال فاران ، وعن يمينه ربوات القديسين ؛ فمنحهم القوة ، ودعا بجميع قديسيه بالبركة[60]» .

في الإنجيل :

إنجيل يوحنا ١٤ : ٢٦ : «إن فارقليط روح الحق الذي يرسله أبي باسمي هو يعلمكم كل شيء» .

ويبين العامري أن ألفاظ التوراة فيها نُعُوتٌ تنطبق على الرسول ﷺ وهي :

١ ـ أنَّ المُبشَّر به من إخوة بني إسرائيل (أي من ذرية إسماعيل) .

٢ ـ أنَّه نبي مثل موسى عليهما السلام .

٣ ـ أنَّ من لم يؤمن به انتقم منه . وقد انتقم الله من يهود المدينة إذْ لم يؤمنوا به .

٤ ـ أنَّه يبعث من جبل فاران (أي من مكة) .

أمَّا «فارقليط» في إنجيل يوحنا فمعناه باليونانية : الشهير أو ذائع الصيت ؛ أي المثنيُّ عليه ، وهو «أحمد» ﷺ في قوله تعالى (في سورة الصف ٦١ : ٦) : **﴿وَإِذْ قَالَ عيسَى بن مَرْيَم يا بني إسرائيل إنِّي رسُولُ الله إليكُمْ مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ من التَّوراة ومُبَشِّراً بِرَسولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدي اسْمُه أحْمَد﴾** . صلى الله عليه وسلم ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

الهوامش

(١) عن الكندي ومدرسته راجع : **رسائل الكندي الفلسفية** (جزآن) تحقيق محمد عبد الهادي أبو ريدة (دار الفكر العربي) القاهرة (١٩٥٠-١٩٥٣) وابن أبي أصيبعة : **عيون الأنباء في طبقات الأطباء** (ط . القاهرة ١٢٩٩ هـ/١٨٨٢ م) ١/٢٠٧ وجمال الدين القفطي : **تاريخ الحكماء** (نشرة ليبرت ليبزج ١٩٠٣) ص ٣٦٦ ، وابن النديم : **كتاب الفهرست** (نشرة فلوجل ليبزك ١٨٧١) ص ٢٥٥ وأحمد عبد الحميد غراب : التصور الفلسفي للإسلام عند مدرسة الكندي: **مجلة الفكر الإسلامي** (دار الفتوى ـ بيروت) ثلاثة أعداد : شعبان ورمضان وشوال ١٣٩٤ هـ وأحمد فؤاد الأهواني : **الكندي فيلسوف العرب** (المؤسسة المصرية العامة للنشر . القاهرة ١٩٦٤) .

(٢) ابن النديم : **الفهرست** ص ٢٥٥ .

(٣) راجع ياقوت : **معجم الأدباء** (نشرة مرجليوث ليدن ــ لندن ١٩٠٧ - ١٩٢٧) ١/١٢٥ ، وظهير الدين البيهقي : **تتمة وصيوان الحكمة** (لاهور ١٣٥١ هـ/١٩٣٢ ــ ١٩٣٣ م) ص ٢٦ ، وأبو حيان التوحيدي : **الإمتاع والمؤانسة** (تحقيق أحمد أمين وأحمد الزين القاهرة ١٩٣٩-١٩٤٤) ٢/٣٨ .
ومقال : Ahmed: Diughrafia **Enc. Of Islam** (New Edition)

(٤) راجع الشهرستاني : **الملل والنحل** (نشرة أحمد فهمي القاهرة ١٩٤٨-١٩٤٩) ٣/٣٨ .
والتوحيدي : **الإمتاع والمؤانسة** ١/٣٥ ، ٤٤ ، ١٣٠ ، ٢٢٢ ، ٢/٨٤-٨٨ ، ١١٥ ، ٣/٦٣ ، ٩٤ . **والمقابسات** (تحقيق حسن السندوبي القاهرة ١٣٤٧ هـ/١٩٢٩ م) ص ١٦٥ ، ٢٠٢ ، ٢٠٧ ، ٣٠١-٣٠٩ ومسكويه : **الحكمة الخالدة** (تحقيق عبد الرحمن بدوي القاهرة ١٩٥٢) ص ٣٤٧ .

(٥) المقريزي : **المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار** (القاهرة ١٩٠٦-١٩٠٨) ٤/١٩٢ .

(٦) ياقوت : **معجم البلدان** (القاهرة ١٩٠٦) ٨/٣٥٦ ، ٣٥٨ .

(٧) التوحيدي : **الإمتاع والمؤانسة** ٣/٩٤ .

(٨) عن مدينة الريّ راجع المقدسي : **أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم** (ط ثانية ليدن ١٩٠٦) ص ٣٩٠ ، وياقوت : **معجم البلدان** ٤/٣٦٠ وإسماعيل ولمياء الفاروقي (بالانجليزية) : I. 2 L. Al-Faruqi: **The Cultural Atlas Of Islam** (Macmillan, N.Y.-London 1986) PP. 278, 326, 348, 450.

(٩) التوحيدي : **الإمتاع والمؤانسة** ١/٣٥-٣٦ .

(١٠) عن بخارى والسامانيين راجع المقدسي : **السابق** ص ٣٣٨ ، وابن خلكان : **وفيات الأعيان** (القاهرة ١٩٤٨-١٩٥٠) ٤/٢٤٥ ، والثعالبي : **يتيمة الدهر** (القاهرة ١٩٥٦) ٤/١٠١ ، وياقوت : **معجم البلدان** ٢/٨١ والفاروقي : **السابق** ص ٢٧٨ .

(١١) ابن أبي أصيبعة : **عيون الأنباء في طبقات الأطباء** ٢/٤ .

(١٢) **الأمد على الأبد** (مخطوط المكتبة السليمانية اسطنبول ٢/١٧٩) ورقة ١١٠ أ .

(١٣) **السابق** : ورقة ٧٥ ب .

(١٤) **الإعلام بمناقب الإسلام** ص ١٩-٢١ ، ٦٢ .

(١٥) لكتابي التقرير وإنقاذ البشر نسختان مخطوطتان بمكتبة جامعة برنستون فهرس حتّي ٢١٦٣ .

(١٦) **الإعلام** ص ١٥٠

(١٧) **السابق** ص ١٩٩

(١٨) مخطوط بدار الكتب المصرية (المكتبة التيمورية حكمة ٩٨) .

(١٩) راجع الفصل الرابع : «القول في معرفة أركان الدين» ص ٨٩ .

(٢٠) راجع **مؤلفاته فيما سبق** .

(٢١) راجع الفصل الخامس : «القول في فضيلة الإسلام بحسب الأركان الاعتقادية» ص ٩٤ .

(٢٢) عن هذه الصفات راجع : **الخروج** ١٢ : ١٢-١٤ ، ٢٠ : ٣ ، ٣٣ : ٧ ، ٣٤ : ٣ ، ١١ ، **العدد** ٣١ : ٣١ ، **التثنية** ٥ : ٦ ، ٧ : ١-٢ ، ٢٠ : ١٥-١٧ **التكوين** ٢ : ١-٣ ، ٦ : ٦ ، ٨ : ٢٠ ، ٣٢ : ٢٤-٢٩ . وراجع الشهرستاني : **الملل والنحل** ١/١٥٣ ، ٢/١٢ ، ٢٦-٢٨ ، ٣٢ .

(٢٣) راجع أحمد عبد الحميد غراب : أسطورة الإله المتجسد **مجلة الأزهر** جمادى الأولى ١٤٠٦ ص ٦٩٤ .

(٢٤) **مرقص** ١٢ : ٢٨-٣٢ ، وراجع أيضاً **متى** ٢١ : ١١ ، ٢٣ : ٨ ، **لوقا** ١٣ : ٣٣-٣٤ . وحتى إنجيل **يوحنا** ١٧ : ٣-٤ .

(٢٥) **أعمال الرسل** ٢ : ٢٢ .

(٢٦) J.G. DAVIES: 'Christianity: The Easly Chuach' in **Concise Enc. of Living Fariths** (Ed. Zaehner London 1959) PP. 69 ff., G. Passinder : **Jesues in the Quran** (London 1965) PP. 132 ff. والشهرستاني : **الملل والنحل** ٢/٣٤ ، ٤٠ ، ٤٧ .

(٢٧) راجع Zaehner : 'Zoroastrianism' in **C.E.L.F.** PP. 210 ff.

(٢٨) راجع **التكوين** ١٩ : ٣٠-٣٨ ، ٢٥ : ٥-٦ ، ٣١ : ١٩ ، ٣٥ : ٢٢ ، ٣٤ . وسفر **صموئيل الثاني** الإصحاح ١١ .

(٢٩) راجع محمد علي الصابوني : **النبوة والأنبياء** (مؤسسة مناهل العرفان ط ثالثة بيروت ١٤٠٥ هـ/١٩٨٥ م ص ٤٠-٦٤ .

(٣٠) راجع المسعودي : **مروج الذهب** (نشرة محمد محيي الدين عبد الحميد ــ القاهرة ١٣٨٦ ــ ١٣٨٧ هـ/١٩٦٦-١٩٦٧ م) ١/٣٠٩ والشهرستاني : **الملل والنحل** ٢/١٢٦ ، ٣/٢٧٢ ، ٢٧٣ وأبو المعالي : **بيان الأديان** (الترجمة العربية من الفارسية يحيى الخشاب مطبعة جامعة القاهرة ١٩٥٩) ص ٢١ .

(٣١) راجع Zaehner : Zaroastrianism in C.E.L.F. PP. 209-210, 220, **The Teachings of the Magi** (London 1956) P.12.

(٣٢) ألف العامري كتاباً استقصى فيه شرائط تفسير القرآن وهو كتاب : **الإرشاد لتصحيح الاعتقاد** ، كما ألّف أستاذ أبو زيد أحمد بن سهل البلخي كتاباً سماه : **نظم القرآن** أثنى عليه ياقوت كثيراً في معجم الأدباء ١٢٥/١ . وكان البلخي يتنزه عن التأويل البعيد في القرآن ، وكان الحسين بن علي المروروزي يجري عليه صلات ، فلمّا أملى كتابه في التأويلات قطعها عنه ، وكان الحسين قرمطياً . راجع ياقوت : السابق ص ١٤١ .

(٣٣) راجع أفلاطون : محاورات : **فيدروس** ٢٤٩ ، **والجمهورية** ١٠ : ٦١٤ .

(٣٤) البيروني : **تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة** (حيدر آباد ١٣٧٧ هـ/١٩٥٨ م) ص ٣٨ .

(٣٥) البيروني : **السابق** ص ٤١ وكريستنسن : **إيران في عهد الساسانيين** (ترجمة يحيى الخشاب القاهرة ١٩٥٧) ص ١٨١-١٨٢ .

(٣٦) الشهرستاني : **الملل والنحل** ٣٥٨/٣ .

(٣٧) الفكرة القائلة بأن الجسد شر وسجن للروح رددها أفلاطون في عدة مواضع في **الجمهورية و القوانين و طيماوس وفيدو** .

(٣٨) راجع كريستنسن : **إيران في عهد الساسانيين** ص ١٧٩ ، ١٨١ وأيضاً : **Zaehner: The Teachings of the Magic, PP. 18,54-55.**

(٣٩) الغزالي : **تهافت الفلاسفة** (تحقيق سليمان دنيا ط . ثانية دار المعارف القاهرة ١٩٥٥) ص ٢٩٣-٢٩٤ .

(٤٠) راجع الفصل السادس : «القول في فضيلة الإسلام بحسب الأركان العبادية» ص ١٣٩ .

(٤١) لعله يقصد طبقة الصديقين ، إحدى طبقات المانوية ، وكان يحرم عليهم مباشرة المهن ، وكسب المال ، وأكل لحم الحيوان ، وطبخ الخضر ، وشرب الخمر ، والزواج ، وألا يملكوا إلا غذاء يوم واحد ، وكساء سنة واحدة . راجع كريستنسن : **إيران في عهد الساسانيين** ص ١٨٢-١٨٣ .

(٤٢) راجع الفصل السابع : «القول في فضيلة الإسلام بحسب الإضافة إلى الملك» ص ١١٥ والملك هنا معناها : السياسة والحكم .

(٤٣) راجع الغزالي : **الاقتصاد في الاعتقاد** (القاهرة بلا تاريخ) ص ١٣٥ .

(٤٤) راجع كريستنسن : **إيران في عهد الساسانيين** ص ٨٥ وما بعدها ؛ حيث يتحدث عن نظام الطبقات في المجتمع الفارسي في عهد الساسانيين ، ويقرر في خاتمة الكتاب (ص ٤٩٣-٤٩٤) أن «ديمقراطية» الإسلام قضت على طبقات الأشراف .

(٤٥) راجع الفصل الثامن : القول في فضيلة الإسلام بحسب الإضافة إلى الرعاية ص ١٢٦ .

(٤٦) راجع كريستنسن : **إيران في عهد الساسانيين** (الفصل السادس : النصارى في إيران ص ٢٤٥-٣٠١ وخاصة ص ٢٥٤ وما بعدها . وعن اضطهادهم راجع ص ٢٩٤ وما بعدها .

(٤٧) راجع الفصل التاسع : «القول في فضيلة الإسلام بحسب إضافته إلى الأجيال» ص ١٧١ .

(٤٨) راجع الفصل العاشر : «القول في فضيلة الإسلام بإضافته إلى المعارف» ص ١٧٩ .

الأقوال الكافية والفصول الشافية في الخيل

لعلي بن داود الرسولي
بتحقيق يحي الجبوري

احمد زكريا الشلق

استاذ مساعد في جامعتي عين شمس وقطر

الرسولي ، علي بن داود يوسف/الأقوال الكافية والفصول الشافية «في الخيل» ؛ تحقيق يحيى الجبوري .ـــ بيروت : دار الغرب الإسلامي ، ١٩٨٧ م ، ٤٩٨ ص .

هذا الكتاب من منشورات دار الغرب الإسلامي ببيروت ، في طبعته الأولى ١٩٨٧ م ، ويقع كله في نحو خمسمائة صفحة ، تضم دراسة للأستاذ المحقق تقع في ثلاث مقدمات أو دراسات (نحو ٨٠ صفحة) أولها ــ بعد التقديم ــ عن الخيل العربية والتأليف في الفروسية ، والثانية عن المؤلف وتاريخ أسرته الرسولية ، والثالثة عن الكتاب والنسخ المخطوطة المعتمدة ومنهج التحقيق . ثم يأتي بعد ذلك نص الكتاب المحقق الذي يضم ــ بعد تقديم المؤلف ــ أبواباً ستة أسماها الكاتب ((أقوالاً)) ، ضمَّن كل قول أو باب عدة فصول . وقد أعقب المحقق ذلك النص بفهرس يضم قائمة بمصادره ومراجعه في الدراسة والتحقيق ثم بعضا من صور الخيل العربية ، إلى جانب عدد من الفهارس عن أسماء الخيل العربية ، سواء صفاته أو أسماؤها في اللغة العربية ، أو مسميات الخيول العربية الشهيرة التي عرفت بها (نحو ٥٤٣ اسماً) إلى جانب فهارس الأعلام والفرسان ومصطلحات الخيل وفهارس القبائل والبلدان ، والأسعار والأمثال .

والأستاذ المحقق صاحب باع وتاريخ في الدراسات الأدبية ، وله دربة وتمرس في التحقيق العلمي عرف بهما في الأوساط الأكاديمية ، ودراساته وتحقيقاته في مجال الشعر العربي ، سواء في عصره الجاهلي ، أو الشعراء المخضرمين ، أو العصر الإسلامي ، متعددة ومعروفة بما فيه الكفاية ، حيث قضى ما يقرب من ربع قرن تقريبا (منذ أصدر كتابه الأول عام ١٩٦٤ عن الإسلام والشعر) جامعاً ودارساً ومحققاً ومقدماً ومحرراً لكثير من تراثنا الشعري والأدبي ، فأصدر العديد من المؤلفات عن شعر العباس بن مرداس والنعمان الأنصاري ، وعروة ابن أذينة ، ولبيد العامري ، والمتوكل الليثي ، والحارث المخزومي ، وهدبة العذري .. الخ . إلى جانب دراساته عن الإسلام والشعر ، والجاهلية ، وخصائص وفنون الشعر الجاهلي ، وأصول الشعر العربي ، والزينة في الشعر الجاهلي ، وتحقيق كتاب المحن للتميمي .

أما مؤلف كتاب الأقوال الشافية ، الذي نعرض له ، فقد ولد في زبيد باليمن ، وعاش بين عامي (٧٠٦-٧٦٤ هـ) وتولى حكم اليمن عام ٦٢١ وعمره خمسة عشر عاما ، وكان جده الملك المنصور عمر ابن علي بن رسول مؤسساً للأسرة الرسولية في اليمن ، وكانت من عرب غسان ، الذين لحق بهم اللقب التركماني (لدخول أجدادهم في بلاد التركمان وسكنهم فيها) ، وهي أسرة تنسب إلى رسول واسمه محمد بن هارون ، الذي يمتد نسبه إلى عامر ماء السماء ، وقد تولت حكم اليمن منذ الملك المنصور عمر بن علي (٦٣٠-٦٤٧ هـ) حتى وصل الحكم إلى الملك المجاهد علي بن داود بن يوسف بن عمر الرسولي مؤلف كتابنا ، الذي حكم بين (٧٢١-٧٦٤ هـ) .

وقد نبهنا الجبوري إلى أن الخزرجي في كتابه «العقود اللؤلؤية» يعد أهم مصدر فصل في سيرة الملك المجاهد وحكمه وعصره ، حيث كان يسجل ما يشبه اليوميات عن الملك وأحداث عصره وأعماله وحروبه وأسفاره . وقد قدم لنا المحقق دراسة مركزة لأهم أحداث ذلك العصر ، وخاصة ماله منها من دلالة على شخصية الملك المؤلف وثقافته وتكوينه وطبيعة حكمه (ص ٣٠ - ٣٦) وكانت حياته في مجملها حافلة بالأحداث والفتن والقتال ، إلا أنها لم تخل من فترات هدوء قصيرة أتاحت له أن يبني المساجد والمدارس ، ويعمِّر الأسوار والحصون ، كما كان ذكيا فطناً مشاركا في عدد من الفنون ، ويقال إنه أعلم بني رسول ، كما كان شاعراً فصيحاً محبا للخيل والفروسية ، وذلك ألف فيها هذا الكتاب المهم ، بالإضافة إلى كتابين آخرين عن الخيل هما : الخيل وصفاتها وأنواعها وبيطرتها ، وكتاب بعنوان ((الصريح)) وهو على اسم فرس له . كما أن له أيضا ديواناً من الشعر .

وتكمن أهمية الموضوع من دراسة ممتعة قدمها المحقق عن الخيل العربية والتأليف فيها هي والفروسية ، (ص ٥ - ٢٥) ذكر فيها أنه لم تعن أمة بالخيل عناية العرب بها ، حيث أحبوها واعتنوا بها وبتربيتها وترويضها ، وبيطرتها ، وحافظوا على أنسابها وأنسالها ، وذكر أن موطن هذه الخيل هو الجزيرة العربية ، في نجد وعسير واليمن ، حيث كانت هذه الجزيرة قديما تحفل بالمياه والزرع والخصب ، وكانت صحراواتها الحالية مأهولة بالناس والحيوان منذ أقدم العصور .

وعلى ذلك رأى المحقق دَحْض الفكرة القائلة بأن الخيل جاءت من خارج الجزيرة ، نشأت خارجها ثم أدخلت إليها من فلسطين وسوريا ومصر ، بعد أن دخلت إليها من الشمال الغربي للعراق ، إبّان غزو الميديانيين في القرن الحادي عشر قبل الميلاد ، وبذلك دخلت عن طريق الهكسوس إلى سوريا ومصر ومنها إلى الجزيرة العربية . وهذه الفكرة التي طرحها الأستاذ على جانب كبير من الأهمية لو صحت أسانيدها التاريخية والأركيولوجية ، ومن ثم تحتاج إلى مزيد من التحقيق والأسانيد العلمية غير التي قدمها وساقها .

وفي زمن الجاهلية كان الفرس رفيق العربي في البادية والحاضرة ، فهو عدته في الحرب ، ووسيلته في الصيد ، وفخره في الحياة ، ولذلك اشتق لفظ الفروسية من الفرس . وكان الفرسان يفخرون بأن أفراسهم من نسل أعوج أو زاد الركب ، أو لاحق ، أو الوجيه .. الخ . وكان الرجل من العرب يبيت طاويا ويشبع فرسه ، ويؤثره على نفسه وأهله وولده .. كما كان يمتدحها كما تمدح الرجال ، ويرثيها كما يرثى الصاحب والأهل والولد .

وفي الإسلام يأمرنا القرآن الكريم ﴿**وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ...**﴾ وفي الحديث الشريف «رأيت رسول الله ﷺ يلوي ناصية فرسه بإصبعه وهو يقول : الخيل معقود بنواصيها الخير إلى يوم القيامة ، الأجر والغنيمة» وقد روي عنه ﷺ «ليس على المسلم في عبده ولا فرسه صدقة» وبذلك حبّذ الإسلام اقتناءها ويسره ، بل ومنح أجر شهيد لمن يرتبط فرساً في سبيل الله ، فقد روي عن الرسول ﷺ «من ارتبط فرساً في سبيل الله بنية صادقة أعطي أجر شهيد» .

وكان الرسول — عليه الصلاة والسلام — يوجه المسلمين بقوله : «علموا أولادكم العوم والفراسة» ، وغني عن الذكر أن الخيل قد لعبت دورها في إعلاء شأن الدين والحفاظ على حوزة المسلمين ، وحمل راية الإسلام في أرجاء الأرض ، حتى وصلت إلى أقاصيها ، ووطئت سنابك خيل المسلمين أراضي العالم ، من الصين شرقاً إلى الأندلس غرباً .

وقد قدم لنا الجبوري قائمة بالكتب والمخطوطات التي تناولت الخيل في تراث العربية منذ أقدم العصور وحتى العصر الحديث ، فضمت قائمة الكتب الكاملة عن الخيل نحو ثمانين عنوانا من أشهرها مؤلفات خلف الأحمر والأصمعي والجاحظ وابن سلام الجُمحي والسيوطي وابن الكلبي والشيباني ، وأبو عكرمة الضبي ، وابن قتيبة ، واللخمي والبيطار وغيرهم .. كذلك فقد ضمت قائمة المخطوطات التي مازالت في خزائن الكتب ، المنسوبة إلى مؤلف أو حتى المجهولة النسبة ، ضمت أربعة عشر عنواناً ، وأشار لأمانته — إلى أن هذه المجموعة هي التي حصل على معرفتها . وأن هناك المزيد في خزائن الكتب العالمية مما لم يظفر به بعد . ولعل ذلك يغري المهتمين باستمرار البحث والتقصي واستكمال هذا الجانب من تراث المكتبة العربية .

ولم ينس المحقق أن يورد لنا قائمة ثالثة تضم عناوين الكتب التي ضمت فصولاً عن الخيل ، وهي عموماً تلك الكتب التي تناولت حياة الحيوان . وإن كانت هذه القائمة قد وردت على سبيل الاختيار وليس على سبيل الحصر والاستقصاء ، وتضم أربعة وعشرين عنوانا ، ومن أشهرها كتاب الجاحظ (الحيوان — البيان والتبيين) وابن عبد ربه (العقد الفريد) والقالي (في النوادر والأمالي) وابن سيده (في المخصص) والمعري (في الصاهل والشاحج) والدميري في (حياة الحيوان) .. الخ .

أما عن المادة التي احتواها الكتاب المحقق فهي على جانب كبير من الشمولية والأهمية في موضوعها ، وهي بحق — كما يصفها الجبوري — تجعل من الكتاب أوسع وأهم الكتب التي ألفت في الخيل ، وأنه لا يضاهيه كتاب قبله ولا بعده ، فقد شمل كل ما يتصل بأمور الخيل والفروسية والبيطرة ، وذلك بفضل مؤلف علمه بالخيل علم خبرة وتجربة ومعاناة .

أما عن الدوافع التي دفعته لتأليف هذا الكتاب فهي ما رآه من جهل الناس بمعرفة الخيل معرفة علم وخبرة ، وأنه لذلك رأى الخيل تهان بجهل المدعين بمعرفتها ، كما أنه لم ير كتاباً جامعاً شاملاً في الخيل ، لذلك حرص على تأليف هذا الكتاب ، ليستقصي في كل صغيرة وكبيرة ، مما يخص الخيل وأحوالها وصفاتها ، ورياضتها وتأديبها ، وأخبارها وأنسابها ، وعلاجها وأدواءها ، بل أكثر من هذا جاوز الخيل العربية إلى خيل الأعاجم والهجن ، والبراذين والحمير ، ثم ألحق بها ذكر الجمال وأنسابها ، لأنها أيضاً مما تختص بها العرب وتختارها الملوك .

ويكتسب الكتاب أهمية أخرى من كونه حفظ لنا ما فُقد من كتب الخيل التي سبقته ، والتي فُقدت ، فهناك — مثلاً — نصوصٌ منسوبة إلى أبي عبيدة ليست في كتابه ، وهناك أيضا نصوص منسوبة إلى الأصمعي ليست في كتابه ، وبذلك يكون المؤلف قد ضمَّن كتابه هذا بعضا من كتابات من سبقوه من المصنفين والمحققين في هذا الموضوع ، بل إن المؤلف استخدم لفظ « التحقيق » بالمعنى الحديث الذي يصرف إلى التثبت والتمحيص والتدقيق .

والكتاب يبدأ بالاستشهاد على فضائل الخيل بما ورد في التنزيل الحكيم وأحاديث الرسول الكريم ، وما جرى من أخبارها في الجاهلية والإسلام ، وما اشتهر منها بأسمائها وصفاتها ، وألوانها وشياتها ، وأمراضها ومداواتها وبرئها ، وحملها ونتاجها ، وتربيتها وركوبها ، وحتى ترتيب أسنانها ، ومدة الانتفاع بها ... الخ .

وفي باب آخر ينتقل المؤلف إلى ذكر أسماء الخيل المشهورة في الجاهلية والإسلام وما جاء فيها من أخبار ، وذكر ما اشتهر منها في مملكة اليمن ومملكة حُكمه (الرسولية) وخيول آبائه وأجداده .

فبالنسبة لخيل الرسول ﷺ ذكر الرسولي أن الرواة قد اختلفوا في عددها وأسمائها وألوانها ، لكن المشهور منها والمتفق عليه كثير ، منها «السكب» وهو أول فرس للرسول ، وقد أغار عليه يوم أُحد ، ومنها «لزاز» الذي أهداه إليه المقوقس عظيم القبط بمصر يوم أهدى إليه مارية القبطية . ومن خيل الرسول الكريم التي اشتراها ، اشتهر «المرتجز ، والبحر» ومنها ما أهدي إليه «كاللحيف والظرب» ومنها أيضا «ذو العقال — السجل — الشماء (بعيد الخطوة) — وذو اللحمة — السرحان — السكب — المرتجل — الأدهم — الورد — اليعسوب» .

ومن الخيل المشهورة لصحابة النبي ﷺ : سابق لعلي بن أبي طالب ، سبحة فرس جعفر بن أبي طالب ، واليعسوب فرس الزبير ابن العوام الذي شهد عليه يوم بدر ، ولاحق فرس معاوية بن أبي سفيان ، وكذلك لاحق واليحموم — وهما للحسين بن علي ، والورد فرس حمزة بن عبد المطلب ، والأجدل فرس أبي ذر الغفاري ، والبلقاء فرس سعد بن أبي وقاص .

وقد أفرد فصلاً بعد ذلك للخيول المشهورة في الجاهلية والإسلام مثل زاد الركب ، والعصا (فرس جذيمة الأبرش) والشموس للمثنى بن حارثة ، واللطيم لعبيد الله بن عمر بن الخطاب ، والفيض لعتبة بن أبي سفيان ، وجروة فرس شداد العبسي والد عنترة ، وابن النعامة فرس عنترة العبسي ، والسلس فرس مهلل بن ربيعة ، والأدهم والأبجر وهما لعنترة بن شداد العبسي أيضا . وهناك أيضا داحس الشهيرة وهي فرس قيس بن زهير العبسي وشهرتها معروفة في حرب داحس والغبراء (وهي فرس حمل بن بدر) وقد ذكر المؤلف قصة الحرب المعروفة باسمها ص ٢١٠-٢١١ . بل لقد وصل المؤلف حتى فرسان عبد الله بن مروان الشهيرة (البارز بن البارز ، الطل) وملوك الطوائف (كالعجاج) وسيدان كسرى .. الخ .

والأهم من ذلك أنه تحدث عن «حيزوم» فرس جبريل عليه السلام التي تقدم بها الملائكة يوم بدر ، وقد وصف خيول الملائكة بأنها بلق ، كما كان جبريل يأتي إلى الرسول الكريم ممتطياً فرسه كما تروي السيدة عائشة رضي الله عنها (انظر ص ٣٣٦-٣٣٨) .

وقد أحاط المؤلف بكل شيء يخص الخيول العربية الأصيلة وأضاف إليها خبراته عن خيل العجم ، وخبرة أهل الهند ، وفرق ما بين العربي وغير العربي ، وما يحصل للخيل العربية حين تكون في بلاد العجم ، وتحدث عن البراذين (وهي غير العربي من الخيول والبغال) والأكاديش ، والحُمر الأهلية والوحشية ، والجمال وأصنافها وأنسابها ، وطباعها ، وألوانها ، وأمراضها وعلاجها ، وما يصلح كل صنف ، سواء لأمور الحرب أو لحمل الأثقال أو الأسفار ، وقد أفرد بعد ذلك فصلاً للفيل ، ذكر فيه صفاته وخلقه ورياضته وطباعه وأحواله في الحرب والسلم ، وتحدث عن الأفيال التي كانت في مملكة اليمن ... الخ .

ويلاحظ أن المؤلف لم يتبع سنة سابقيه بالاكتفاء بالحديث عن أعضاء الخيل البارزة ، كالوجه والأذن والعينين ، وإنما راح يستقصي كل الأعضاء واصفاً مدققاً في كل موضع وجزء ، واصفا كل حالة ، ذاكراً المحاسن والعيوب واصفاً العلاج .

وقد أفرد المؤلف بابا — أو قولاً كما يسميه — كبيراً يتناول فيه علاج الخيل وبيطرتها (القول الرابع ص ٢٣١ وما بعدها) ضمَّنه أساليب العلاج المعروفة عن السابقين ، وأضاف إليها ما اكتسبه من خبرة ودراية ، وقبل هذا وذاك وصف عِلَل الخيل وأمراضها علة علة وصفاً دقيقاً ، وفي كل أجزاء جسمها ، وما يستعمل لصحة الدواب في سائر الأوقات ويحفظها ، وطريقة الخصي ، والفَصْد ... الخ . وقد أعقب ذلك كله بالحديث عن العلة التي أصابت خيل اليمن (٧٢٧ — ٧٢٨ هـ) . ومن الطريف أن المؤلف قدم في كتابه معالجات ووصفات طبية على جانب من الأهمية ، كما وصف طرق إجراء العمليات الجراحية والأدوات المستعملة فيها ، وبين أساليب التمريض ، وغذاء الخيل أثناء النقاهة ، وقدم الكثير من أنواع الأدوية ، مما ينم عن خبرة واسعة ودراية عميقة بالموضوع .

وقد اعتمد المحقق في تحقيقه للكتاب على نسخ أربع أولاها النسخة الخاصة بالمتحف البريطاني ، ثم نسختان من المكتبة الوطنية بباريس ، والنسخة الرابعة هي نسخة دار الكتب المصرية . وقد اتبع منهجاً علمياً راسخاً في التحقيق ليخرج لنا هذه النسخة المدروسة ، التي هي أقرب إلى الأصل الذي وضعه الملك المجاهد علي بن داود الرسولي ، وإن كان قد اعتمد بشكل أساسي على نسخة المتحف البريطاني ، مفيدا من النسخ الأخرى في المضاهاة والمطابقة والمراجعة ، حتى لقد كان يعتمد قراءاتها أحيانا ، إذا كان ثمة نقصٌ

أو تحريف في النسخة الأولى (التي أعطاها رمز ((م))) وقد أشار إلى ذلك في هوامشه (انظر مثلا صفحات ٢٨٥ ، ٣٠٩ ، ٣١٤ ، ٣٥٤ .... الخ) .

كما بذل المحقق جهدا كبيرا في ضبط ما يحتاج إلى ضبط من الكلمات ، وضبط الشعر وأسماء الحيوان ، والأماكن والبلدان ، والأدوات ، والأمراض والصفات ، وبعض الأعلام ، بالإضافة إلى تخريجه المواد العلمية التي تحتاج إلى توثيق ، كالأحاديث النبوية والشعر وأسماء الخيل ، متتبعاً ذلك كله في كتب اللغة والأدب والحيوان والخيل على وجه الخصوص . يضاف إلى ذلك ترجمته لبعض الأعلام ممن قد يكون ثمة التباس في قراءة أسمائهم ، أو ما قد يكون بها من تحريف وتصحيف .

ولم يأل الجبورى جهدا في تقويم عثرات النص ، سواء في النحو أو الإملاء ، وتصويب أغلاط اللغة ، وإن لم يُشر إلى ذلك صراحة في الهوامش ، حيث اعتبرها من سقطات النُسَّاخ أو جهلهم ، وبطبيعة الحال استبدل الرسم الإملائي الحديث ، بالرسم القديم الذي كتبت به الأصول .

ونلاحظ أن المحقق قد أضاف عنواناً فرعياً صغيراً لعنوان الكتاب الأصلي وهو ((في الخيل)) أعقبه به ، لأن العنوان الأصلي ((الأقوال الكافية والفصول الشافية)) لا يفهم منه موضوع الكتاب ، وقد برر ذلك بقوله إن إغفال هذه التكملة في العنوان جعلت الكثيرين من المهتمين بالخيل والباحثين والمحققين ، لا يفطنون إلى موضوع الكتاب .

وفي قائمة المصادر والمراجع التي ذيل بها الدراسة والكتاب المحقق استخدم المحقق منهجاً في ترتيبها اعتمد فيه على ذكر العنوان قبل ذكر المؤلف ، كما تجري العادة ، وبشكل عام فقد بذل المحقق جهداً عظيماً في الضبط والتمحيص والتحقيق والشرح والتقويم والتفسير ، كما يبدو جلياً في الدراسة والهوامش ، ليخرج هذا الكتاب في ثوب علمي قشيب ، يستحق عنه كل ثناء وتقدير ، مع حفاظه على محتويات الكتاب الأصلي وأسلوبه ، لتعامله بأمانة مع النص ، بغير حذف أو إضافة أو اختصار .

المكتبات الخاصة في مكة المكرمة

لعبد اللطيف بن دهيش

عبد العزيز أحمد الرفاعي

ابن دهيش ، عبد اللطيف عبد الله/المكتبات الخاصة في مكة المكرمة .ـــ مكة : مكتبة ومطبعة النهضة الحديثة ، ١٤٠٨ هـ ، ٥٦ ص .

أُتيح لي أن أطلع على هذه الرسالة فأثارت اهتمامي .. خاصة وأن كاتبها هو الدكتور (عبد اللطيف عبد الله بن دهيش) ، لما أعرف من ولعه بالكتب والمكتبات ، وخبرته فيهما ..

قرأت الرسالة ، وهي تقع في ٥٦ صفحة من الحجم الوسط ، وقد طبعت سنة ١٤٠٨ هـ ـــ ١٩٨٨ م ، ولا أعرف الدار الناشرة ، ولكن كتب في مستهلها أنها تطلب من مكتبة ومطبعة النهضة الحديثة لصاحبها عبد الشكور فدا في مكة المكرمة ..

وقد أحسن المؤلف لتاريخ المكتبات ، بوضع رسالته هذه ، مستهدفاً أن يؤرخ للمكتبات الخاصة في مكة المكرمة ، وأن يُعرِّف أصحابها ، وذكر في مقدمته أنه قدم دراسة لثمان وثلاثين مكتبة خاصة وجدت في مكة المكرمة بالعصر الحديث ، وقال إن هذه المكتبات هي (فقط) تلك التي انتقل معظمها إلى المكتبات العامة ، أثناء حياة أصحابها أو بعد وفاتهم ..

وأحسبني فهمت من هذه العبارة الأخيرة .. أن المؤلف لم يقتصر (فقط) على أولئك الذين انتقلت مكتباتهم إلى المكتبات العامة ، بل توسع بعض الشيء .. فأصبح الانتقال (لمعظمها) وليست لها كلها .. وهنا كنت أتمنى لهذه العبارة شيئاً من التفصيل ..

تكلم المؤلف عن ٣٨ مكتبة ، جميع أصحابها قد توفوا عدا أستاذنا الشيخ إبراهيم فطاني ، أسأل الله أن يبقيه وينفع به ..

وفيما يلي أهم **تعليقاتي** على هذه الرسالة ، لعل فيها ما يفيد البحث :

١ ــ في ص ١٢ تكلم المؤلف على **مكتبة العالم المؤلف (تقي الدين الفاسي)** وذكر أنه «كان بها عدد كبير من نفائس الكتب ، وبعد وفاته سنة ٨٣٢ هـ ــ ١٤٢٨ م تولى أخوه لأمه الخطيب أبو اليُمن النوبري الوصاية على المكتبة ، وكان جاهلاً بالكتب ، فصار يعيرها للأفاقين في شكل أجزاء ناقصة حتى ضاع أكثرها ، وبعد مدة قصيرة أصبحت هذه المكتبة نسياً منسياً » اهـ .

وكان مصدره في هذه المعلومة الطبعة الأوربية من كتاب (شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام) للشيخ الفاسي ، الطبعة الأوربية ص ١٠٨-١١٦ ، وبحث للأستاذ عبد الله عبد الجبار عن (المكتبات في قلب الجزيرة العربية» نشرته مجلة (المنهل) في المجلد ١٩ عام ١٣٧٨ هـ ص ٤١١-٤١٢ .

ولعل من المفيد أن أذكر شيئاً عن ذكرياتي عن هذه المكتبة ، فإن من بين أحفاد الشيخ الفاسي ، مؤلف (شفاء الغرام) و (العقد الثمين) زملاء دراسة لي وأصدقاء ، وكنت أتردد على دورهم بأجياد .. وهي دور فارهة كانت معروفة عند أهل مكة المكرمة ، في حي (بئر بليلة) وكنت أعرف أن (زاوية) الفاسي تقع على الشارع العام ، في طرف هذه الدور ... وكنت خلال ترددي على أصدقائي مثل الأستاذ (أحمد الفاسي) الشاعر ، والسيد (عبد الوهاب الفاسي) ، وكانا زملائي في الدراسة الابتدائية ، تعرفت على الشاب (محمد علي) وهو ابن الشيخ عبد الله الفاسي ، وأخو (أحمد الفاسي) ، وكان شاباً نابهاً ، معنياً بالكتب ، وقد علمت منه أنه يرعى مكتبة جدهم الفاسي الكبير (تقي الدين) المحفوظة في (الزاوية) .. وكان يبدي استعداده ليطلعني عليها متى أردت .. وكان لي شوق فعلاً لكي أطلع على مخطوطات المؤرخ الكبير .. ولكني كنت أؤجل الأمر من يوم لآخر ، حتى اخترم الموت فجأة الشاب (محمد علي) وهو في عز شبابه .. ولم يُتح لي أن أقف على المكتبة ولا مخطوطاتها ، ولم أعد أعلم عن مصيرها بالضبط ..

هذه تعليقة كتبتها من أجل التاريخ . ولعل بعض أحفاد الشيخ يحتفظون بأشياء منها ، ففيهم علماء وأدباء ومثقفون ..

٢ ــ في ص ١٣ ، ذكر المؤلف **(مكتبة أسرة آل فهد)** ، وهي كما قال : من أشهر الأسر المكية التي اشتهرت بالعلماء .. ثم سرد جانباً من مؤلفات (عمر بن فهد) .. وتدل عناوينها على أنه كان معنياً بكتابة تاريخ الأسر المكية المشهورة ، فله كتاب (التبين في تراجم الطبريين) وكتاب (تذكرة الناسي بأولاد أبي عبد الله الفاسي) ــ يلاحظ أنه ورد بهذا العنوان تطبيع فجاءت تذكرة الفاسي بالفاء ــ وكتاب (الدر الكمين في الذيل على العقد الثمين) وكتاب (السر الظهير بأولاد أحمد النويري) ، وكتاب (غاية الأماني في تراجم أولاد القسطلاني) وكتاب (المشارق المنيرة في ذكر بني ظهيرة) ــ وقد جاء هنا أيضاً تطبيع فصارت المنيرة (المنبرية) .

وجدير بالذكر ، أن الشيخ عمر بن فهد رحمه الله كان من أوائل من عُني بالفهرسة ، فقد أفادنا الدكتور ابن دهيش جزاه الله خيراً ، «أنه رتب أسماء تراجم الحلية ، والمدارك ، وتاريخ الأطباء ، وطبقات الحنابلة . وتذكرة الحفاظ ، والذيل عليه ، كل ذلك على حروف المعجم ، بحيث يعيّن محل ذاك الاسم من الأجزاء والطبعة ليسهل كشفه ومراجعته» اهـ .

أقول : إنه كان بين أسرتي آل الفاسي ، وآل الطبري مصاهرة ورحم . والأسرتان من السادة ، وكان لآل الطبري إلى عهد قريب زقاق بمكة المكرمة يعرف بزقاق الطبري ، وهو بالمدّعى على يمين قاصد المسجد الحرام ، وقد سمي فيما بعد بزقاق (ملائكة) بعد أن سكنت به هذه الأسرة الأخيرة ..

أما عناية الشيخ عمر بن فهد ، فلعلها من أوائل المحاولات التي بذلت في الفهرسة المعجمية ..

وإذا كانت أسرة آل الفاسي ، لا تزال معروفة ، فإنا لم نعد نعرف شيئاً عن الأسر المكية الأخرى ، كأسرة آل فهد ، والطبري .. وليت القادرين من أحفاد هذه الأسرة ، يعنون بتراث أجدادهم وآثارهم ، ويخرجونها إلى الناس ، ويحضرني هنا ما قاله المعري :

وقبيحٌ بنا وإن قدم العهد هوان الآباء بالأجداد .

٣ ــ في ص ١٤ ، ذكر حادثة احتراق بيت الشيخ **قطب الدين النهروالي** (٩١٧ - ٩٩٠ هـ) وأن أهله وأولاده لم يتمكنوا من النزول بالدرج ، فتسلقوا الأسطحة ، وتوجهوا إلى الباسطية ..

أقول : كان إلى عهدنا بالحرم المكي القديم باب يسمى (باب الباسطية) ، نسبة إلى المدرسة الباسطية التي بناها الشيخ عبد الباسط .. وقد أنسيت الآن بقية اسمه .. وأنا أكتب هذا المقال بعيداً عن مراجعي .. كما كان بمكة أيضاً باب صغير من طاق واحد يسمى باب (القطبي) منسوباً إلى الشيخ (قطب الدين النهروالي) الفقيه المؤرخ .. كان به منزله ، ولم يكن هذا الباب موجوداً عند استحداث الزيادة التي سمي أيضاً (باب الزيادة) باسمها .. ولكن السلطان العثماني أمر بفتحه ليسهل على الشيخ الدخول منه إلى الحرم ، حيث كانت المدارس الأربع التي بنيت للمذاهب الأربعة ، وكان أولها مما يلي باب الزيادة ، المدرسة الحنفية التي كان الشيخ القطبي مسئولاً عنها .. وكانت (مكتبة الحرم) على عهد الملك عبد العزيز يرحمه الله في الرابعة الأخيرة التي تلي باب السلام ، فوق باب

الدربية . وكانت المحكمة الشرعية ، في إحدى هذه المدارس ..

وإذا كان الشيخ القطبي أيام احتراق داره ساكناً في باب القطبي ، فإن المسافة التي قطعها أولاده وأهله على الأسطحة ليست قصيرة على أي حال ..

٤ ــ يسرد المؤلف أحياناً **أسماء بعض المخطوطات** ، وفيها ما هو مهم ، يتطلع القارىء إلى معرفة ما نشر منها ليقف عليه ، فقد سرد ــ مثلاً ــ بعض مؤلفات الشيخ القطبي ، وفيها ما قد نشر ، فليته أشار إليه إتماماً للفائدة .. كلما وجد إلى ذلك سبيلاً .

٥ ــ ولعلي أتمنى على المؤلف شيئاً آخر .. فقد أفادنا في ص ١٨ ، أن المكتبات الخاصة بها «ثروة علمية ممتازة ، وخاصة الكتب الخطية ، حيث إنها تحتوي على مجموعة كبيرة من **المخطوطات النادرة** لم يرد ذكر بعضها في فهارس المخطوطات المعروفة ، وهي نسخ أصلية فريدة ..» . هذه المعلومة مهمة جداً ــ والذي أتمناه ، ويتمناه معي المعنيون بالكتب والمخطوطات ، أن يتصدى أحد الخبراء ، لهذه المخطوطات التي لم تضمها الفهارس ، فينظم لها فهرسة يخدم بها علم المخطوطات والباحثين .. والأستاذ المؤلف مهيأً لهذه المهمة الجليلة ، فلعله يفعل إن شاء الله .

٦ ــ في ص ١٩ و ٢٠ حدثنا عن (**مكتبة الشرواني**) ، وقال إنها تقع بدار قرب باب (أم هاني) ، .. ثم ذكر أنها أصبحت من المكتبات الحكومية العامة .. وكنت أود أن يزود القارىء ببعض التفاصيل عن هذه المكتبة ، التي يبدو أنها (كانت) تقع في باب أم هانىء في الحرم القديم ، وكان يعرف بباب الحميدية ، كما كان يهم القارىء أن يعرف في أي المكتبات الحكومية هي اليوم ؟

٧ ــ في ص ١٢ تكلم المؤلف عن **مكتبة (الفاسي)** وفي ص ٢٠ تكلم عن (**المكتبة الفضيلية**) ومن خلال كلامه عنها استطرد إلى ذكر أهم مؤلفات الشيخ الفاسي ، وأفاض وأفاد .. وكان بودي من ناحية تنسيقية محض .. أنه لو جاء هذا الاستطراد عند ذكر مكتبة (الفاسي) فترجم له هناك ، وذكر مؤلفاته ، كما كان بودي أن لو وضح اسم العالم الهندي الذي أسس المكتبة الفضيلية ، وذكر ترجمته .

٨ ــ في ص ٢٤ و ٢٥ ذكر **مكتبة الشيخ عبد الله محمد غازي** ، ولم يترجم له ترجمة وافية ، واكتفى بأن قال في الهامش ، إنه ولد في أواخر عام ١٣١٦ هـ ، ولم يذكر تاريخ وفاته .

أقول ، إن لهذا المؤرخ ترجمة في كتاب (الأعلام للزركلي الطبعة السادسة ، حيث ذكر أن ولادته كانت ١٢٩٠ هـ ووفاته سنة ١٣٦٥ هـ ، وهناك فرق كبير بين تاريخ ولادته كما ذكرها المؤلف في الهامش ، وبين ما أورده الزركلي . كما ذكر صاحب (الأعلام) بعض مؤلفاته معتمداً في كل ذلك على مجلة (المنهل ٦/٤٥٩) ومذكرات المؤلف .

وهنا ملاحظة أخرى ، فقد أورد خبر انتقال مكتبته إلى **مكتبة الشيخ (محمد سرور الصبان)** يرحمهما الله بصيغة التضعيف فقال :

«يقال إنها ضُمّت بعد وفاته إلى مكتبة الشيخ محمد سرور الصبان التي ضمت فيم بعد للمكتبة المركزية بجامعة أم القرى بمكة المكرمة» .

وكان يسع أستاذنا الباحث أن يحقق الأمر ، وهو فيه مختص ، خاصة وأنه أشار إلى الموضوع مرة أخرى في ص ٢٧ عند كلامه على مكتبة الشيخ محمد سرور .

٩ ــ في الصفحات ٢٥ - ٢٧ تحدث عن (**المكتبة الماجدية**) حديثاً جيداً ، قال في نهايته ، إنه «في عام ١٣٧٠ هـ أمر جلالة الملك عبد العزيز رحمه الله ، ببناء مكتبة عامة بمكة المكرمة في مقر المولد النبوي ، بمحلة (شعب علي) حتى تكون مقصداً للعلماء وطلاب العلم ، وقد كانت مكتبة الشيخ (محمد ماجد كردي) أول مكتبة تشترى وتكون نواة لهذه المكتبة العامة التي أصبحت تعرف الآن بمكتبة مكة المكرمة وتشرف عليها وزارة الحج والأوقاف» وقد اعتمد في ذلك على كتاب (أعلام الحجاز في القرن الرابع عشر) للأستاذ (محمد علي مغربي) ..

أقول : إن المعلومات التي أعرفها تختلف عن هذه .. وكتاب الأستاذ المغربي ليس تحت يدي وأنا أكتب هذه المقالة .. حتى أرجع إليه . ومهما يكن الأمر فإن الذي أعلمه ، أن الشيخ (عباس بن يوسف قطان) وكان رئيساً لبلدية مكة المكرمة ، كما كان أبوه كذلك من قبل ، وكان صديقاً حميماً للشيخ (محمد ماجد كردي) يرحمهما الله ، فلما توفى الله الأخير ، واشترى الشيخ عباس مكتبته ، واستأذن من الملك عبد العزيز يرحمه الله في أن يبني مكتبة عامة على أرض المولد النبوي ، فسمح له في ذلك ، ولكن الشيخ عباس توفاه الله قبل أن يحقق حلمه هذا ، فاضطلع به أولاده ، بعد إلحاح ومتابعة من الشيخ عبد الله بلخير ، مدير عام الإذاعة والمكتبات آنذاك ، وهكذا انتقلت المكتبة الماجدية إلى المبنى بعد إنجازه . ولعل هناك من الكتاب الواقفين على هذا الأمر ، من يدلي بما لديه خدمة للتاريخ . وقد يكون لدى الأستاذ (المغربي) ما يجلو به الموضوع ، ومن المؤكد أن هناك تفاصيل مهمة لدى الأستاذ الرائد الشيخ عبد الله بلخير ، فليته يذكرها للتاريخ .

١٠ ــ في ص ٢٨ جاء ذكر **مكتبة الشيخ (رشدى الصالح ملحس)** عَرَضاً ، أثناء كلامه عن مكتبة الشيخ (محمد سرور الصبان) ولم يفرد لها فصلاً خاصاً بها كما فعل مع غيره من أصحاب المكتبات الخاصة التي ضمت إلى المكتبات العامة .

أقول : وقد ترجم الزركلي في الأعلام للشيخ رشدي بن صالح ملحس (١٣١٧ هـ ــ ١٣٧٨ هـ) معتمداً على مجلة (المنهل ٦/١٧٣-١٧٦) ومذكرات المؤلف . ولكنه لم يذكر شيئاً عن مكتبته .

١١ ــ في ص ٣١ تكلم على **مكتبة السيد علوي شطا** ، وذكر عنه أنه ولد ونشأ في مكة المكرمة ، كما ذكر طرفاً من المعلومات عنه ، ولكنه لم يحدد سنة مولده ولا وفاته . فليته يفعل ذلك في الطبعة القادمة لهذه الرسالة القيمة . وقد عرفت السيد علوي شطا عندما كان مديراً للمدرسة العزيزية الابتدائية بحي الشامية بمكة المكرمة ، ولمست عن كثب ولعه بالكتب ، وعنايته بتجليدها ومتابعته للإصدارات القيمة ، وبذل الجهد في اقتنائها رحمه الله .

١٢ ــ في ص ٣٢ تحدث عن **مكتبة (الشيخ عبد الوهاب آشي)** يرحمه الله ، وكنت أتمنى أن يترجم لهذا الرجل الفذ فهو أحد أعلام النهضة في المملكة العربية السعودية ، وأحد كبار الأدباء الرواد ، وكما كان موظفاً مرموق المكانة ، وإدارياً ناجحاً ، وله دواوين مطبوعة ..

١٣ ــ كذلك لم يترجم للسيد **الحسن بن علي الإدريسي** ، عندما تكلم عن مكتبته في ص ٣٢ .

١٤ ــ وفي ص ٣٢ ذكر **مكتبة الشيخ (عبد الله زمزمي)** ، ولم يترجم له أيضاً . وكان الشيخ الزمزمي ، يعمل بالتدريس ، وهو أحد أساتذتي في الدراسة الابتدائية ، رحمه الله ، وكان مدرساً ناجحاً ، رضي الخلق ، وهو شقيق زميلي الدكتور الطبيب سلطان زمزمي ، حفظه الله ، ويستطيع أن يمدّ المؤلف بترجمة شقيقه إتماماً للفائدة .

١٥ ــ في ص ٣٣ ، ذكر **مكتبة الشيخ (عبد الرحمن يحيى المعلمي)** ، وهذا الرجل جدير بأن يعرف تعريفاً أوفى مما ورد في كلمة المؤلف عنه لخدماته في مجال الكتب والمخطوطات والتحقيق .. وهو المجال الذي يهتم به المؤلف .. وللزركلي في (الأعلام) ترجمة له ، جاء فيها أنه ولد عام ١٣١٣ هـ .

١٦ ــ في ص ٣٣ أيضاً ، ذكر **مكتبة (الكيلاني)** ولم يعرف به .

١٧ ــ في ص ٣٤ تكلم عن الشيخ **عبد الله بن عمر بن دهيش** ومكتبته ، يرحمه الله ، وجدير بالذكر هنا ، أنه والد المؤلف .

١٨ ــ في ص ٣٦ ، ذكر **مكتبة السيد (علوي مالكي)** يرحمه الله ولم يترجم لصاحبها ، وقد ترجم له الزركلي في (الأعلام) (١٣٢٥ ــ ١٣٩١ هـ) . أقول : وقد حضرت طرفاً من دروسه في التفسير في المسجد الحرام .

١٩ ــ وفي ص ٣٦ نفسها ذكر **مكتبة الشيخ (يحيى أمان)** يرحمه الله ، ولم يذكر مولده ولا تاريخ وفاته .

٢٠ ــ كذلك في ص ٤١ لم يترجم للشيخ **(صالح باخطمة)** .
أقول : وقد عرفته يرحمه الله حينما كان ضابطاً بالشرطة في (الحميدية) وكان فاضلاً أديباً دمث الأخلاق ، له ابن يعمل في وزارة الخارجية بدرجة سفير هو الشاعر (محمد صالح باخطمة) .

٢١ ــ في ص ٤٢ ذكر **مكتبة الدكتور (أحمد الشرباصي)** ، ولم يترجم له .

٢٢ ــ وفي ص ٤٢ ــ نفسها تكلم على **مكتبة الأستاذ (أحمد السباعي)** الأديب المشهور ، وترجم له ، ولكنه لم يذكر تاريخ وفاته . أقول : وللأستاذ السباعي ابنان نابهان أديبان هما الطبيب الدكتور زهير السباعي والأديب الصحفي الدكتور (أسامة السباعي) . وكان الأستاذ السباعي مدرساً في الدراسة الابتدائية ، وكنت من عداد تلامذته ، ثم انعقدت بيننا صداقة حميمة ..

وجدير بالذكر ، أن مؤلفاته الأحد عشر ، التي ذكرها المؤلف كلها مطبوعة ، ومنها ما طبع أكثر من مرة .

٢٣ ــ في ص ٤٦ حدثنا المؤلف عن **مكتبة الأستاذ (عبد الله يماني)** ، ولم يعرف به ، كما لم يذكر إحصاء عن الكتب التي أهداها لجامعة أم القرى .

٢٤ ــ في الصفحة ٤٦ ذاتها أشار الى **(مكتبة الشيخ) إبراهيم بخيت) التي أهديت أيضاً إلى (جامعة أم القرى) ولكنه لم يترجم له** فلم نعرف شيئاً عن هذا الشيخ .

٢٥ ــ في الصفحة ٤٦ نفسها تكلم عن **مكتبة الشيخ (حسين عبد الغني)** وكان معروفاً من قبل باسم (حسين عبد النبي) ، وقد عرف به ، ولكن لم يذكر شيئاً عن تاريخ كل من مولده ووفاته .

وقد كنت أراه يحضر مجلس الشيخ محمد بن مانع رحمه الله في سهراته الرمضانية .

٢٦ ــ في ص ٤٨ ، ذكر **مكتبة الأمير عبد المحسن بن عبد العزيز آل سعود** ، يرحمه الله ، وكان مما تتم به الفائدة أن يذكر تاريخ مولد

الأمير ، وتاريخ وفاته ، وعدد كتبه التي أهديت إلى مكتبة الحرم المكي الشريف .

٢٧ — في ص ٤٩ من حق القارىء أن يتساءل من هو الدكتور (**محمد رزيق**) الذي أهديت كتبه إلى مكتبة الحرم المكي الشريف ؟

٢٨ — وكذلك الشأن في ص ٥٠ فمن هو الأستاذ **محمد أحمد فقي** ؟

وبعد ، أعود فأقول في ختام كلمتي ، إن هذه الرسالة مهمة ومفيدة في تاريخ المكتبات . وما ذكرته من ملاحظاتي ، هو في معظمه هامشي ، تعبيراً عن أملي أن تكون الطبعة القادمة منها أكثر شمولاً وفائدة .. وقد جددت الرسالة عهدي بنفر من هؤلاء الرجال الذين ذكرهم ، فقد عرفت بعضهم ، وانعقدت بيني وبين البعض صداقة ، ومنهم من كنت أعرفه عن كتب ، ومنهم من كان في عداد أساتذتي ، وقد أشرت إلى شيء من ذلك في عرض كلامي . وبالله التوفيق .

من الأخطاء الشائعة في النحو والصّرف واللغة

لمحمد أبي الفتوح شريف

عبد الفتّاح السّيّد سليم

أستاذ مشارك بكلية اللغة العربية - جامعة الأزهر

شريف ، محمد أبو الفتوح/من الأخطاء الشائعة في النحو والصرف واللغة .—ط ٢ .— القاهرة : مكتبة الشباب ، ١٩٧٩ م .

لقد تفضلت مجلة (عالم الكتب) فنشرت لي بحثين لهما الصلة الوثقى بالتخطئة والتصويب في الاستعمال اللغوي ، أما أحدهما فكان نقداً لكتاب (الكتابة الصحيحة) للأستاذ زهدي جار الله ، وقد نشر في العدد الثالث من المجلد السابع — محرم ١٤٠٧ هـ ، وأما الثاني فكان نقداً لكتاب (لغة الإعلام اليوم بين الالتزام والتفريط) للدكتور إبراهيم درديري ، وقد نشر في العدد الثاني من المجلد الثامن — شوال ١٤٠٧ هـ .

وقد وضّحتُ في هذين البحثين الأُسُسَ العامةَ التي يجب أن يراعيها نَقَدَةُ الاستعمال اللغوي قبل إعلان الحكم بصواب الاستعمال أو بخطئه ، وأُلَخِّصُ الآن هذه الأسسَ في النقاط الآتية :

★ أن مقياس الخطأ والصواب يدور في مجمله حول الاعتداد بأمور معينة أو عدم الاعتداد بها ، وهذه الأمور هي :

— اللهجات العربية لغير القبائل الذين أُخِذَتْ عنهم اللغة .

— القراءات القرآنية بدرجاتها المختلفة : المتواترة والمشهورة والآحاد والشاذة .

— الأحاديث الشريفة على اختلاف رواتها ودرجاتها .

— أشعار المولدين ممن كانوا عقب زمن الاحتجاج أو بعد ذلك .

— الاستعمال اللغوي للعلماء ، ولا سيَّما علماءُ اللغة من بينهم .

★ وأن الناقد اللغوي ينبغي أن يكون من ذوي الدُّرْبَةِ على استخدام معاجم اللغة والبَصَرِ بطرائقها في عرض المادة اللغوية ، إذ من هذه المعاجم ما يعرض الرأيَ وضدَّه وَفْقاً لآراء العلماء الذين ينقل عنهم ، ومنها ما يتغاضى عن المسائل القياسية في التصريف ويكتفى بالسماع .

★ وأن الكلام ليس كلّه على درجة واحدة من الفصاحة ؛ فمنه الأفصح والفصيح والقليل والنادر والشاذ ، ولا يقال فيما ورد على شيء من ذلك : إنه خطأ ، لكونه مما جرى استعماله في زمن الاحتجاج ، وإنما الخطأ فيما جاء بعد ذلك وخالف الوارد والقواعد .

★ وأن على الناقد اللغوي أن يدرك معظم آراء علماء اللغة في المسألة التي يعرض لنقدها بمعيار الصواب والخطأ ، وأن يقف على أدلّة كلٍّ منهم ثم يرجح المختار إن بدا له الترجيح .

وفي ضوء هذه الأسس أعرض الآن دراسة لكتاب من كتب النقد اللغوي ، وهو بعنوان (من الأخطاء الشائعة في النحو والصرف واللغة) ، لمؤلفه الدكتور ((محمد أبي الفتوح شريف)) —

في طبعته الثانية سنة ١٩٧٩ م ومن نشر مكتبة الشباب بالقاهرة .

وفي الملاحظة العامة نجد أن هذا الكتاب يحتوي على مجموعة من الاستعمال اللغوي نحواً وصرفاً ولغةً ـــ كما يتضح من العنوان ـــ وأن المؤلف قد قَسَمَ كتابه إلى قسمين (أوّلاً وثانياً) ، وفي (أوّلاً) جعل العنوان (من الأخطاء الشائعة في النحو والصرف) فعرض بعضَ الأخطاء الشائعة وتصويب كلّ خطأ في الفعل (من ص ١٥ إلى ص ٢٣) ثم في التعدّي واللزوم (من ص ٢٤ إلى ص ٣٧) ثم في الصياغة والأساليب (من ص ٣٨ إلى ص ٦١) ثم في العدد والجموع (من ص ٦٢ إلى ص ٦٩) ثم في النسب (من ص ٧٠ إلى ص ٧٢) .

وفي (ثانياً) جعل العنوان (من الأخطاء الشائعة في اللغة) وقسمه قسمةً داخلية إلى :

أ ـــ أخطاء وصوابها المعلّل (من ص ٧٥ إلى ص ٩٦) .

ب ـــ صواب لبعض أخطاء متنوعة (من ص ٩٧ إلى ص ١٠٧) .

ج - مواجهة بعض الكلمات الدخيلة (من ص ١٠٨ إلى ص ١١١) .

د ـــ مما يتوهم عاميّته وهو فصيح ، وقد رتبه على حسب حروف الهجاء ، (من ص ١١٢ ، إلى ص ١٥٩) .

هـ ـــ بعض أخطاء الهجاء ، وهي أخطاءٌ في رسم بعض الكلمات ، وقد قسمها المؤلف إلى قسمين : مسائل خاصة ، وصواب متنوع ـــ من غير حاجة إلى ذلك ـــ وتقع في الصفحات (من ص ١٦٤ إلى ص ١٧٢) .

وهذا تقسيم جيد ومحمود ، مع ما في بعضه من الخلط ، ففي القسم الأول تلاحظ أن الصفحات من (٣٨ إلى ٦١) التي عَنْوَنَ لها بالعنوان (في الصياغة الصحيحة والأساليب المختلفة) قَلِقَةٌ في موطنها ، إذ هي موزّعةٌ بين أخطاءٍ وقعت في استعمال المصادر الثلاثية غالباً ، وأخطاءٍ في الاشتقاق الصَّرْفيّ لبعض الكلمات ، وكان من الأفضل أن يكون العنوان على هذا : (أخطاءٌ في المصادر) ثم (أخطاءٌ في الاشتقاق) .

وفي القسم الثاني ـــ وهو الأخطاء الشائعة في اللغة ـــ تلاحظ أنه جعل في أقسامه الداخلية قسماً بعنوان : (صواب لبعض أخطاء متنوعة) من ص ٩٧ إلى ص ١٠٧ ، وهذا القسم من الممكن رَدُّ كثير من موادّه إلى القسم الأول الذي أفرده للأخطاء النحوية والصرفية ، ومن موادّه أيضاً ما يمكن رَجْعُهُ إلى الأقسام الأخرى من الأخطاء اللغوية .

وكذلك كان من المستحسن أن لا يُدْخِلَ أخطاءَ الرسم الإملائي في القسم الثاني ، بل يجعله قسماً ثالثاً مستقلاً ، بعنوان : (أخطاءٌ في الرسم الإملائي) ومن الواضح أنه لا علاقة بين رسم الكلمة وصحتها أو خطئها لغةً واستعمالاً ، لأن هذا الرسم اصطلاحٌ متفق على أكثره بين العلماء ولم تعرفه العرب ، وإنما كان من اهتمام جُماع اللغة كالخليل وغيره .

وكذلك تلاحظ أن موادَّ كثيرةً مما خطّأ وصحّح قد وردت بلا تحليل أو تعليل أو تعليق ، ويظهر ذلك جَلِيّاً في القسم الذي عنوانه (صواب لبعض أخطاء متنوعة) من ص ٩٧ إلى ص ١٠٧ ، كما أن من موادّه ما جاء معه تعليلٌ غير مقنع أو غير لغوي أو غير صحيح ، وسيتضح ذلك فيما بعد .

وكذلك تجد في ملاحظتك العامة على هذا الكتاب أن مؤلفه يَسْتَنُّ سُنَّةَ كثير من النَّقَدَةِ اللغويين في العصر الحديث ؛ فكتابه خالٍ من الشواهد المحتجّ بها جملةً وتفصيلاً ، بل هو خالٍ من الأمثلة المأثورة التي تُسَاقُ للائتناس بها في تصحيح المغلوط ، وهو خالٍ كذلك من آراء علماء اللغة والنحو والصرف ، حتى لَيُخَيَّلُ إليك أنهم جميعاً متفقون على ما يراه ، مُسَلِّمُونَ بما يذهب إليه ، وعمدته في التأليف مَدَارُها العبارةُ المشهورةُ : (ويقولون خطأً : كذا ، والصواب أن تقول : كذا) .

أما مراجعه فلم يشأ أن يُبَيِّنَها في أثناء الكتاب عند كلّ مادة ينقلها أو يصحهها ـــ كما هو المعتاد في البحوث العلمية لغويةً وغَيْرَ لغوية ـــ وإنما اكتفى بسردها في آخر الكتاب سَرْداً خلا من اسم المطبعة ورقم الطبعة وسنتها وناشرها ، وهو أمرٌ مُجْهِدٌ لقارئه في تتبع موادّه اللغوية من خلال مراجعه .

أما الملاحظات الخاصة فكثيرةٌ وذاتُ شُعَبٍ ، نُجْمِلُها أولاً فيما يلي :

ـــ أخطاء في غير موضعها .
ـــ أخطاء مكررة في غير موضع .
ـــ استعمالٌ خطّأه وهو صحيح .
ـــ استعمال أخطأ في تصحيحه .
ـــ قواعدُ مبتورةٌ أو مُسَاءٌ فهمها .
ـــ تجاوزٌ في استعماله اللغوي .

وفيما يلي تفصيل ذلك :

((أوّلاً)) أخطاء في غير موضعها

(أ) **أخطاءٌ لغوية وضعها في قسم النحو والصرف** ، وأهم ذلك :

* ذكر من أخطائهم في الفعل قولهم : القضاة أَعْفَوْا عنه ،

والصواب : عَفَوْا عنه ـــ بلا همزة في أول الفعل ـــ (ص ١٥) .

وليس لهذا الخطأ صلةٌ بمسائل النحو والصرف القياسية ، فلا علاقة له بالإعراب الذي هو وظيفة النحو ، ولا بالتصريف الذي هو وظيفة علم الصرف ، لأن الهمزة فيه ليست للتعدية على سبيل الخطأ ، وإنما هو من باب فَعَلَ الذين يستعملون فيه أَفْعَلَ مع بقاء المعنى الأصل ، والكتب التي عرضت لهذا الباب (فَعَلَ و أَفْعَلَ) معدودةٌ من كتب اللغة لا من كتب الصرف .

★ وذكر من أخطائهم في الفعلِ فتح وسط المضارع في الأفعال : نحت ينحت وكسب يكسب ونكح ينكح (ص ١٨) .

وهذا خطأ لغوي ؛ لأن ضبط عين الثلاثي في الماضي والمضارع سماعٌ عن العرب ولا صلة له بالتصريف القياسيّ .

★ وذكر من أخطائهم في الفعل قولهم : سحب فلان الشكوى ، والصواب : استردَّ فلان الشكوي (ص ٢١) .

وهو خطأ لغوي مرجعه إلى استعمال فِعْلٍ في موضع آخر ، ولا علاقة له بتصريف الفعل .

★ وذكر من أخطائهم في الفعل استعمال : أخطأ فلان فهو مخطىء ـــ لمن يأتي الذنب متعمداً ، والصواب : خَطِئَ فلان فهو خاطىء ـــ بلا همزة في أول الفعل (ص ٢١) .

وواضح أن ذلك من وضع الواضع لا من تصريف المتصرف ، فَمَرَدُّه إلى اللغة .

★ وذكر من أخطائهم في الفعل مَدّ الهمزة في قولهم : ما آلَيْتُ جُهْداً ـــ بمعنى ما قَصَّرْتُ ـــ والصواب : ما أَلَوْتُ (ص ٢٢) .

وهذا من باب وضع فعل في موضع فعل آخر ، وضعوا الفعل (آلى) بمعنى حلف ـــ خطأً ـــ في موضع الفعل (ألا يألو) بمعنى قصّر يُقصّر ، وهو وضع لغوي .

★ وذكر من أخطائهم في هذا القسم قولهم : النقاهة من المرض (ص ٣٩) وفَدَاحَة الغلاء ـــ بمعنى شدّته ـــ ص (٣٩) والكَلَلَ ـــ بمعنى التعب ـــ ص (٣٩) واللّياقة ـــ بمعنى الموافقة ـــ (ص ٣٩) والصواب في ذلك كله : النَّقَهُ أو النُّقُوه من المرض ، وفَدْحُ الغلاء ، والكَلاَل ، واللّيْق واللَّيَاقُ واللَّيَقَان .

وهذه الأخطاء واقعةٌ في مصدر الفعل الثلاثي ، وهذا النوع من المصادر بابه السماع عن العرب ، والسماع مما اختصت به كتب اللغة لا كتب النحو والصرف .

★ وذكر من أخطائهم : فلان كُفْءٌ لهذا العمل ، والصواب : كَافٍ وكَفِيٌّ (ص ٤٣) ومرجع هذا إلى كتب اللغة والمعاجم لا إلى كتب التصريف .

★ وذكر من أخطائهم إضافة (آل) إلى الضمير في قولهم : اللهم صَلِّ على محمد وآله ، والصواب : وعلى آل محمد (ص ٥٨) .

وهذه المسألة سماعٌ عن العرب ، وليس من مباحث علم النحو ولا الصرف .

★ وذكر من أخطائهم استعمال (كَيْتَ و كَيْتَ) في الكناية عن الأقوال ، يضعونهما في موضع (ذَيْتَ وذَيْتَ) والصواب أن تستعمل كَيْتَ وكَيْتَ في الكناية عن الأفعال لا الأقوال (ص ٥٩) .

وهذا أيضاً من وضع العرب وتخصيصهم ، لا من مسائل الإعراب والتصريف .

★ وذكر من أخطائهم استعمال (المِقْراض والمِقَصّ) بصيغة المفرد ـــ للأداتين المعروفتين ـــ والصواب استعمالهما بصيغة المثنى ، فيقال : المقراضان والمقصّان (ص ٦٠) .

وهذا أيضاً وَضْعٌ عربيّ لا علاقة له باشتقاق أو إعراب ، فموطنه كتب اللغة والمعاجم .

(ب) **أخطاء نحوية أو صرفية وضعها في قسم اللغة ، وأهمها :**

★ ذكر من أخطائهم جمع كفء على أَكِفَّاء ـــ بكسر الكاف وتضعيف الفاء ، والصواب : بسكون الكاف وتخفيف فتحة الفاء (ص ٧٨) .

وهذا خطأ يتصل بجمع التكسير وأوزانه ، التي يرى كثير من العلماء أنها مقيسة ، وموطن هذا الجمع كتب الصرف .

★ وذكر من أخطائهم إلحاق التاء في : بقرة حَلُوبَةٌ وامرأة ودودة وتوبة نصوحة وامرأة حبيبة وأسيرة وعقيمة ، والصواب حذف التاء من كل ذلك (ص ٨٠) .

وهذه أخطاء في تأنيث فَعُول بمعنى فاعل وفَعِيل بمعنى مفعول ، مما يستوي فيه المذكر والمؤنث ، وذلك في باب التأنيث من كتب الصرف .

★ وذكر من أخطائهم قولهم : فلان يَتَحَنَّثُ و يَتَنَجَّسُ ـــ أي يقع في الحِنْث والنجاسة ، والصواب : يَحْنَثُ ويَنْجُسُ (ص ٨٠) .

وهو خطأ يتصل بصيغ الزيادة في الأفعال ودلالة كلّ منها ، وهو من مباحث علم الصرف .

★ وذكر من أخطائهم وضع (بينا) الظرفية في وسط الكلام في

قولهم : ارتكب السائق مخالفة بينما رجل المرور موجود (ص ٨٢) .
وهو خطأ في تركيب الجمل ، وذلك من مباحث علم النحو .

★ وذكر من أخطائهم الإتيان باسم المكان من الفعل (صاف) على وزن مَفْعَل ــ بفتح العين ــ فيقولون : ذهبت إلى المَصْيَف ، والصواب كسر الصاد ممدودةً ، لأنه مكسور العين في المضارع (ص ٨٣) .

وهذا خطأ متصل بالاشتقاق القياسيّ الذي هو من مباحث علم الصرف .

★ وذكر من أخطائهم جمع جديد على جُدَدٍ ــ بضم الأول وفتح الثاني ــ والصواب ضمهما (ص ٨٣) .

وهذا خطأ يتصل بالجمع الذي هو من مباحث علم الصرف .

★ وذكر من أخطائهم جمع غريب على أغراب ــ بمعنى أجانب ــ والصواب : غُرَبَاءُ (ص ٨٧) .

وهو كذلك من أخطاء الجمع الذي اختص به علم الصرف .

★ وذكر من أخطائهم إدخال الألف واللام على (غير) في قولهم : الكلام الغير مفهوم ، والصواب : غير المفهوم (ص ٨٩) .

وهو خطأ في التعريف والتنكير ، وذلك من مباحث علم النحو .

★ وذكر من أخطائهم استعمال (أثناء) ــ وهي جمع ثِنْي ــ ظرفاً ، فيقولون : سألته أثناءَ الحديث ، والصواب : في أثناء (ص ٩٠) .

والخطأ هنا في استعمال ما ليس ظرفاً في الأصل منصوباً على الظرفية ، وذلك إنما يكون بفي المفيدة للظرفية ، ومرجع هذا إلى علم النحو .

★ وذكر من أخطائهم استعمال (مع) المفيدة للمصاحبة مع الأفعال : تحادث وتصادم وتقاتل وتقابل ــ وهي صيغ تدلّ على المشاركة في حدوث الفعل (ص ٩١) .

وقد نَصَّتْ كتب الصرف على أن هذه الصيغ تستعمل معها الواو أو يثنى مرفوعها أو يجمع ، وواضحٌ أن ذلك من مباحث علم الصرف .

★ وذكر من أخطائهم قولهم : فلان على أُهْبَة الاستعداد للسفر ، والصواب : على أُهْبَة السفر (ص ٩٣) .

والخطأ هنا في إضافة الشيء إلى مرادفه ، والإضافة من مباحث علم النحو .

★ وذكر من أخطائهم استعمال العدد مكرراً في نحو : قَدِمَ الطلاب واحداً واحداً واثنين اثنين وثلاثةً ثلاثةً ، والصواب صَوْغُ الأعداد المكررة على وَزْنَيْ فُعَال ومَفْعَل (ص ٩٥) .

ومعروف أن العدد من أبواب علم النحو .

★ وذكر من أخطائهم تذكير صفة المؤنث بغير علامة التأنيث على توهّم أنه مذكر ، فيقولون : أدّى الوزيرُ اليمين القانوني ، والصواب اليمين القانونية (ص ٩٧) أو عكس ذلك كتوهمهم التأنيث في (ميناء) لكونه مختوماً في الظاهر بالهمزة الممدودة ، فيقولون : ميناء واسعة ، والصواب : ميناءٌ واسعٌ (ص ١٠٣) .

ومعروف أن التذكير والتأنيث وجريان الصفة موافقةً للموصوف من مباحث علمي النحو والصرف .

★ وذكر من أخطائهم تعدية الفعل (أخطأ) بـ (عن) ، فيقولون : أخطأ عن الصواب ، والصواب أن يعدّى بنفسه (ص ٩٨) .

وتعدية الفعل ولزومه من مباحث علم النحو .

★ وذكر من أخطائهم في الجمع : جمع أَلَدّ ــ بمعنى شديد الخصومة على (ألدّاء) والصواب : لُدٌّ مثل حُضْرٍ (ص ٩٩) ، وجمع مدير على (مُدَرَاءَ) مثل أُدَباء ، والصواب : مديرون (ص ٩٩) .

والجموع بابها علم الصرف .

★ وذكر من أخطائهم قولهم : اتخذت فلاناً كصديق ، والصواب حذفُ الكاف (ص ٩٩) .

وزيادة الحروف من مباحث علم النحو .

★ وذكر من أخطائهم قولهم : يوجد بين المواطنين مجموعةٌ تقصّر في واجبها ، والصواب حذف الفعل (يوجد) ص ١٠١ .

والخطأ هنا في ذكر الكون العام الذي هو متعلّق الظرف الدالّ عليه ، وقد التزمت العرب حذف الفعل حينئذ ، وهذه المسألة مما عرض له العلماء في علم النحو .

★ وذكر من أخطائهم عدم الإتيان بالفاء بعد (أمّا) التفصيلية في نحو قولهم : أمّا بعد .. يسعدني .. ، والصواب : أما بعد فيسعدني (ص ١٠٢) .

وهذا من مباحث علم النحو .

★ وذكر من أخطائهم استعمال (دون) بالباء ، فيقولون : بدون دليل ، والصواب نصبها على الظرفية أو جرّها بِمِنْ ، لأنها من الظروف غير المتصرفة مثل عند (ص ١٠٥) .

وذلك من مباحث علم النحو .

★ وذكر من أخطائهم قولهم : مدير عامّ الشركة ، والصواب : المدير العامّ للشركة ، أو مدير الشركة العامّ (ص ١٠٦) .

والخطأ هنا في الفصل بين المضاف والمضاف إليه بوصف المضاف ، وذلك من مباحث علم النحو .

★ وذكر من أخطائهم استعمال (مَصُون) وصفاً بلا تاء مع الموصوف المؤنث ، فيقولون : امرأةٌ مصون — على توهم أنه وزن فَعُول بمعنى فاعل الذي يستوي فيه المذكر والمؤنث (ص ١٠٧) .

وموافقةُ الصفةِ موصوفَها تذكيراً وتأنيثاً بابُها علم النحو على ما تقدم .

((ثانياً)) أخطاء مكرّرة

ومن أهمها :

★ تخطئتهم في استعمال الفعل (عَيَّر) مُعدّىً بالباء في نحو : عَيَّرتني بكذا ، ورد في الصفحة ٢٩ وفي الصفحة ٣٥ ، وقد كُرّر في الصفحة الأخيرة مرتين .

★ تخطئتهم في قولهم : رميت بالبندقية ، ورد في الصفحة ٣٣ ، وفي الصفحة ٣٥ .

★ تخطئتهم في تعدية الفعل (كَلَّف) إلى المفعول الثاني بالباء في قولهم كلّفته بالقيام بهذا العمل ، ورد في الصفحة ٢٧ وفي الصفحة ٣٦ .

★ تخطئتهم في قولهم : فلان مُعَافٌ من التكليف ، ورد في الصفحة ٣٨ وفي الصفحة ٤٢ .

★ تخطئتهم في إدخال الألف واللام على (غير) ، ورد في الصفحة ٥٦ وفي الصفحة ٨٩ وفي الصفحة ٩٨ .

★ تخطئتهم في قولهم : رجل تعيس ، ورد في الصفحة ٦٦ والصفحة ١٠٣ .

★ تخطئتهم في عدم تصدير (بينا) في الكلام ، ورد في الصفحة ٥٥ وفي الصفحة ٨٢ .

★ تخطئتهم في استعمال (أثناء) ظرفاً منصوباً ، ورد في الصفحة ٥١ وفي الصفحة ٩٠ .

★ تخطئتهم في استعمال العدد المكرر من غير صوغ له على فُعَال أو مَفْعَل ورد في الصفحة ٦٣ والصفحة ٩٥ .

★ تخطئتهم في قولهم : يُصَرّح لك بالخروج ، ورد في الصفحة ٨٢ وفي الصفحة ١٠٠ .

★ تخطئتهم في قولهم : سرّتني رؤياك ، ورد في الصفحة ٩٦ ، وفي الصفحة ١٠٢ .

★ تخطئتهم في قولهم : خرج كافّةُ الناس ، ورد في الصفحة ٩٨ وفي الصفحة ١٠٦ .

★ تخطئتهم في قولهم : ما فعلت هذا أبداً ، ورد في الصفحة ٥٧ وفي الصفحة ٨٤ .

((ثالثاً)) استعمال خطّأه وهو صحيحٌ

★ فقد عَدَّ من الخطأ قولهم : فلان حَسَّ هذا الشيءَ ، ورأى صوابه : أَحَسَّ — بالهمزة في أوّله — وقال : لأنه لا ثلاثي من هذا الفعل بمعنى شعر (ص ١٧) .

وجاء في لسان العرب : ((حَسَّ بالشيء ويَحُسُّ حَسًّا وحِسًّا وحَسِيساً وأَحَسَّ به وأَحَسّه : شعر به)) ، وجاء فيه أيضاً عن سيبويه : ((ويقال : حَسْتُ بالشيء ، إذا علمته وعرفته ، قال : ويقال : أَحْسَسْتُ الخَبَرَ وأَحَسْتُه وحَسَيْتُ وحَسْتُ : إذا عرفت منه طَرَفاً)) اهـ .

فأنت ترى الفعل قد استعمل مزيداً بالهمزة في أوّله كما استعمل مجرداً منها ، وأن المزيد قد جاء متعدياً إلى المفعول بنفسه وبالباء ، وكذلك المجرد من الهمزة جاء متعدياً على هذا النحو ، وكلٌّ من المجرد والمزيد ورد فيه التخفيف إما بحذف السين الثانية وإما بإبدال الياء منها ، على نحو ما جاء من قول أبي زبيد :

خلا أن العِتَاقَ من المطايا حَسَيْنَ به فَهُنَّ إليه شُوسُ

ورواية أبي عبيدة لهذا البيت :

أحسَنَ به فَهُنَّ إليه شُوسُ

(لسان العرب : حسس)

★ وَعَدَّ من الخطأ قولهم : قد لا يعرف فلان كذا ، ورأى صوابه رُبّما لا يعرف ، أو قد يجهل ، وقال : لأنه لا يحسن الفصل بين (قد) والفعل ، لأن (قد) الحرفية مختصة بالفعل المتصرف الخبري المثلث المجرد من ناصب وجازم وحرف تنفيس فهي معه كالجزء فلا تنفصل منه بشيء (ص ٢٠) .

والنصّ على الإثبات في مدخول (قد) مما انفرد به ابن هشام في مغني اللبيب (ص ٢٢٧ من طبعة بيروت الخامسة ١٩٧٩ بتحقيق د . مازن المبارك) ، ثم السيوطي في همع الهوامع (٣٧٧/٤ من طبعة الكويت ١٩٧٩ م) أما غيرهما فلم ينصّ على ذلك ، ففي التسهيل لابن مالك (ص ٢٤٢) : ((وتكون (قد) حرفاً فتدخل على فعل

ماض متوقّع لا يشبه الحرف لتقريبه من الحال ، أو على مضارع مجردٍ من جازم وناصب وحرف تنفيس لتقليل معناه ، وعليهما للتحقيق)) اهـ .

وفي الجنى الداني للمرادي (ص ٢٧٠) : ((وأما (قد) الحرفية فحرفٌ مختصٌ بالفعل ويدخل على الماضي بشرط أن يكون متصرفاً ، وعلى المضارع بشرط تجرده من جازم وناصب وحرف تنفيس)) اهـ .

والتعبير الذي خطّأه المؤلف واردٌ في بعض شعر القدماء وأمثالهم وفي استعمال كثير من أئمة اللغة والنحو ، وفي عدّه من الخطأ أو الصحيح كلامٌ كثير جمعه اللغوي الباحث الأستاذ ((صلاح الدين الزعبلاوي)) في كتابه (مسالك القول في النقد اللغوي من ص ٣٣٧ إلى ص ٣٦٦) وعلق عليه وانتهى إلى عدّه صحيحاً موافقاً في ذلك رأي مجمع اللغة العربية بالقاهرة .

★ وَعَدَّ من الخطأ أن يقال : رأيت الوحش فاختفيت ، ورأى صوابه استخفيت ، لأن الاختفاء هو الاستخراج ، وهو غير مراد هنا (ص ٢٣) .

وتحرير القول في هذه المسألة أن الفعل (خفي) ورد عن العرب لازماً ومتعدياً ، فاللازم نحو : خَفِيَ عليه الأمرُ خَفاءً ــ أي لم يظهر له الوجه فيه ــ والمتعدي نحو : خَفَيْتُ الشيء ، وهو من الأضداد ؛ إذ جاء بمعنى سترته وكتمته ، كما جاء بمعنى أظهرته ، ومن الأخير جاء قول امرىء القيس بن عابس الكندي :

فإن تكتموا السِّرَّ لا نَخْفِهِ وإن تبعثوا الحرب لا نَقْعُدِ

أراد : لا نظهره كما تفعلون ، وهو بفتح نون المضارعة من خفي الشيء خَفْواً وخَفْياً وخُفِيّاً .

أما الفعل المزيد بالهمزة في أوله (أخفى) فقد جاء متعدياً بمعنى ستره وكتمه ، يقال : أخفيت الشيء ، أي سترته وكتمته ، وجاء المطاوع منه على استفعل كثيراً ، كما جاء على افتعل في بعض اللهجات ، جاء في لسان العرب عن الليث : ((أخفيت الصوت وأنا أُخْفيه إخْفاءً ، وفعله اللازم اختفى ، قال الأزهري : الأكثر استخفى لا اختفى ، واختفى لغةٌ ليست بالعالية)) ، وقال في موضع آخر : ((أما اختفى بمعنى خَفِيَ فلغةٌ وليست بالعالية ولا بالمنكرة)) ، وجاء في اللسان أيضاً : ((وقال ابن بَرّي : الفرّاء حكى أنه قد جاء اختفيت بمعنى استخفيت وأنشد :

أصبح الثعلبُ يسمو للعُلا واختفى من شِدّةِ الخوفِ الأسَدْ

فهو على هذا مطاوع أخفيته فاختفى)) اهـ .

وكذلك جاء الفعل (اختفى) . متعدياً بمعنى استخرج ، يقال : اختفيتُ الشيْ بمعنى استخرجته ، والاختفاء مصدره بمعنى الاستخراج ، ومنه قيل للنَّبّاش : المُخْتَفِي ؛ لأنه يستخرج الموتى بعد الدفن بعد نبش قبورهم . (انظر : لسان العرب : خفي) .

ومن ذلك تدرك أن استعمال الاختفاء وتصاريفه لازماً بمعنى الاستتار مستعملٌ غير منكر .

★ وَعَدّ من الخطأ أن يُعدَّى الفعل (عَيَّر) إلى مفعوله الثاني بالباء ، فلا يقال عنده : عَيَّرتني بكذا ، وإنما يُعَدّى إليه بنفسه فيقال : عَيَّرتني كذا (ص ٢٩) .

والاستعمالان صحيحان ، وقد ذَكَرْتُ أمثلةً وشواهدَ لذلك في مقال سابق في العدد الثاني من المجلد الثامن ، من هذه المجلة ــ شوال ١٤٠٧ هـ ــ (ص ٢٢٧) .

★ وَعَدَّ من الخطأ أن يقال : بَنَى فلان بأهله ــ بمعنى دخل بها ــ ورأى الصواب : بنى على أهله ، لأن هذا هو المأثور عن العرب ؛ فإن المُعَرِّسَ كان يبني على أهله خِباءً (ص٣٣) .

والاستعمالان صحيحان ، وردت بهما أشعارٌ وأحاديثُ شريفةٌ ، وقد أشرتُ إلى ذلك في مقال سابق في العدد الثالث من المجلد السابع من هذه المجلة ص ٣٦٨ ، كما ذكرت من هذه الشواهد والاستعمال المأثور في مجلة كلية اللغة العربية بالقاهرة ــ العدد الأول من ص ١٤٧ إلى ص ١٥٠ .

★ وعَدّ من الخطأ أن يقال : لا أكترثُ بهذا الأمر ؛ لأن هذا الفعل مما تستعمل معه اللام ، فالصحيح أن يقال : لا أكترث لهذا الأمر (ص ٣٣) .

والاستعمالان صحيحان ، وفي لسان العرب (كرث) : ((ما أكترث له ، أي ما أبالي به)) وجاء فيه أيضاً : ((ما أكترث به ، أي ما أبالي ، ولا يستعمل إلا في النفي)) .

★ وعَدَّ من الخطأ أن يستعمل حرف الجر (على) مع الفعل صَمَّمَ ، فلا يقال : صَمّم على الأمر ، ورأى الصواب أن يستعمل معه الحرف (في) فيقال : صَمّم في الأمر (ص ٣٤) .

والاستعمالان صحيحان ، جاء في لسان العرب (صمم) : ((والتصميم المُضِيُّ في الأمر ، أبو بكر : صَمَّم فلان على كذا ، أي مضى على رأيه بعد إرادته ، وصمّم في السير وغيره : مضى)) .

★ ومن الخطأ عنده أن يعدّى الفعل (أسِفَ) باللام في قولهم : مما يُؤسف له ، ورأى الصواب أن تستعمل معَه (على) فيقال : مما يؤسف عليه (ص ٣٦) .

وقد سبقه إلى ذلك الأستاذ ((أسعد داغر)) في (تذكرة الكاتب) ، ولكن الاستعمالين واردان صحيحان ، ومن الاستعمال باللام قول الشاعر :

أسِفتُ لِحِلْم كان لي يَوْمَ بارقٍ فأخرجه جَهْلُ الصَّبابةِ من يدي

وقول الآخر :

إذا أبصروا حالي ولم يَأسَفُوا لها ولم يَأنَفُوا منها أنِفْتُ لهم مِنيّ

وفَهْمُ الغرض من الاستعمال هو الذي يحدّد نوع الحَرفِ الذي يستعمل مع هذا الفعل ، فإن كان الغرض بيان الأمر الذي كان الأسف بسببٍ فقده أو فَوْته فالتعدية باللام مستساغة ، لإفادتها التعليل ، وبه فُسِّر البيتان السابقان ، وإن كان الغرض ذكر الأمر الذي وقع عليه الأسف والحزن ، فالتعدية بعلى نحو قوله تعالى : **﴿وَتَوَلَّى عنهم وقال يا أَسَفَى عَلَى يُوسُفَ﴾** (يوسف ٨٤) ، وكلّ ذلك قياس مطّرِدٌ لا يُخَطّأ قائله .

★ والفعل (نَقَمَ) يعدى في رأيه بالحرف (مِنْ) فيقال : فلان يَنْقِمُ من فلان ، كما قال تعالى : **﴿هَلْ تَنْقِمُونَ منّا إلاّ أنْ آمنّا بالله﴾** (المائدة ٥٩) ومن الخطأ تعديته بالحرف (على) فلا يقال : ينقم عليه (ص ٣٧) .

وفي اللسان (نقم) : ((عن الجوهري : نَقَمْتُ على الرجل أنْقِمُ ـــ بالكسر ـــ فأنا ناقِمٌ ، إذا عَتَبْتَ عليه ، يقال : ما نَقَمْتُ منه إلا الإحسان)) وفيه أيضاً : ((قال أبو إسحاق : يقال : نَقَمْتُ على الرجل أنْقِمُ ، ونَقِمْتُ عليه أنْقَمُ ، قال : والأجود : نَقَمْتُ أنْقِمُ ، وهو الأكثر في القراءة)) اهـ .

ومنه ترى أن الاستعمالين جائزان ، فضلاً عن أن ابن السكيت في (إصلاح المنطق) قد اقتصر على تعدية هذا الفعل بالحرف (على) .

★ وعَدّ من الخطأ أن تكرر (بين) ، فلا يقال : ما دار بيني وبين محمود من حديث ، ولا يقال : بين فلان وبين منافسه ، ورأى الصواب أن يقال : ما دار بيننا من حديث ، وبين فلان ومنافسه ، وقال : لأنه لا داعي لتكرار الظروف في الجملتين إلا إذا كانت (بين) واقعة بين ضميرين فيمكنك تكرارها مثل : بيني وبينه (ص ٤٨) .

ولي هنا ملاحظتان :

الأولى : أن مثاله الأول صحيح ويجب فيه تكرار بين ، لأن العطف على الضمير المجرور إنما يكون بإعادة الجارّ له عند جمهور النحاة ، خلافاً لابن مالك والكوفيين ، ولهذا خطّأ بعضهم قراءة الآية (١) من سورة النساء : **﴿واتّقُوا الله الذي تساءَلُون به والأرحامِ﴾** ـــ بجرّ الأرحام عطفاً على الضمير في (به) ، قالوا : لأن الضمير المتصل متصلٌ كَاسْمِهِ ، والجارّ والمجرور كشيءٍ واحدٍ فكانا في قولك : مررت به وزيدٍ وهذا غلامه وزيدٍ ، شَدِيدَيْ الاتصال ، فلما اشتدّ الاتصال لتكرره اشتبه بالعطف على بعض الكلمة فلم يَجُزْ ووجب تكرار العامل ، قال ابن مالك موضحاً رأي الجمهور ومذهبه هو :

وَعَوْدُ خافضٍ لدى عَطْفٍ على ضمير خفضٍ لازماً قد جُعِلا
وليس عندي لازماً إذ قد أتى في النثر والنظم الصحيح مُثبتا

(انظر : شرح ابن عقيل على الألفية ٢٣٩/٢ بتحقيق الشيخ محيي الدين ، والبحر المحيط لأبي حيان ١٥٧/٣ ، ١٥٨) .

وعلى هذا فالمثال (ما دار بيني وبين محمود من حديث) مما يلزم فيه إعادة (بين) الجارّة لمحمودٍ بالإضافة ، إلا عند ابن مالك والكوفيين على ما عرفت .

والملاحظة **الثانية** أن تخطئة نحو (بين فلان وبين منافسه) .. مما ذكره العلماء من قبله كالإمام الحريري في درّة الغوّاص ، وهو محجوج بورود ذلك في الشعر والنثر ، وقد أشرت إلى ذلك في مقال سابق في العدد الثالث من المجلد السابع من هذه المجلة ـــ محرم ١٤٠٧ هـ (ص ٣٦٨) .

★ وعَدّ من الخطأ قولهم : خَرَجَتْ دُفْعة كبيرة وستخرج دُفْعات ـــ بضم الدال وسكون الفاء في المفرد والجمع ، ورأى الصواب : دَفْعَة ـــ بفتح فسكون ـــ ودَفَعَات ـــ بثلاث فتحات ـــ (ص ٤٩) .

والذي خطأه صحيح وأَوْلى بالاستعمال مما صَوّب به ، ذلك لأن الدُّفعة ـــ بضم الدال ـــ اسمٌ للشيء المدفوع كالدُّفْقَة من المطر ، جاء في اللسان (دفع) : ((والدُّفْعة : مادفع من سقاء أو إناء فانصَبَّ بمَرَّة)) اهـ ـــ وهي أَوْلى بإسناد الفعل ـــ وهو هنا الخروج ـــ إليها ، كما تقول : خرج محمد ، أما الدَّفعة ـــ بفتح الدال ـــ فهي اسم للمرة ، واسم المرة يدل على الحدث المجرد ، والأحداث لا تُسْنَدُ إلى الأحداث إلا على ضرب من المبالغة ، فكما لا تقول : خرج الخروجُ ، لا تقول : خَرَجَت الخرجةُ ، إلا على سبيل الادّعاء وتنزيل غير المُحَسّ منزلةَ المُحَسّ المُعَايَن ، ولا يجري ذلك في كلام كلّ الناس .

وإذا صح ما خطأه من ضم الدال في الدفعة صَحَّ جمعه جمع مؤنث سالماً على دُفْعَاتٍ ـــ بسكون الفاء جرياً على مفرده ، وفتحها على التخفيف ، وضمّها على الإتباع لفتحة الدال ـــ على ما هو مقرر في جمع المؤنث السالم .

وكذلك يصح جمعه جمع تكسير على (دُفَع) ـــ بضم ففتح ـــ وقد جاء في قول الشاعر :

كقطران الشآم سالَتْ دُفَعُهْ

وجاء في قول الأعشى :

وسافَتْ من دم دُفَعَا

★ وعَدّ من الخطأ أن يقال : هذا سوقٌ كبير ، ورأى الصواب : هذه سوقٌ كبيرة ، لأن (السوق) مؤنثة (ص ٥١) .

والمعروف في كتب اللغة وكتب المذكر والمؤنث أن السوق مما ورد بالوجهين ، ففي اللسان (سوق) : ((والسوق : موضع البياعات ، ابن سيده : السوق التي يتعامل فيها تذكر وتؤنث ، قال الشاعر في التذكير :

ألم يَعظِ الفِتْيانَ ما صار لمَّتي بسوقٍ كثيرٍ ريحُه وأعاصِرُهْ

وجاء في (البلغة في الفَرْق بين المذكر والمؤنث) لأبي البركات بن الأنباري (ص ٨٣) : ((والسوق تذكر وتؤنث)) ا هـ ، وجاء في المزهر للسيوطي نقلاً عن الأخفش ٢/٢٢٥ : ((أهل الحجاز يؤنثون الطريق والصراط والسبيل والسوق والزقاق والكلا — وهو سوق البصرة — وبنو تميم يذكرون هذا كلّه)) ا هـ .

كما جاء في (المذكر والمؤنث) للفرّاء (ص ٩٦) : ((والسوق أنثى وربما ذُكِّرَتْ ، والتأنيث أغلب عند الفصحاء ، لأنهم يصغرونها : سويقة)) اهـ .

ومن هذه النقول يتضح أن في (السوق) ثلاثة آراء :

أحدها : أنها يستوي فيها التذكير والتأنيث ، وهو رأي ابن سيده وابن الأنباري .

والثاني : أن الغالب فيها التأنيث ، والتذكيرُ قليلٌ ، وهو رأي الفراء .

والثالث : أن مرجع ذلك إلى اللهجات ، فالتأنيث لهجة أهل الحجاز والتذكير لهجة بني تميم ، وهو ما نقله السيوطي عن الأخفش .

وعلى ذلك لا وجه لتخطئة التذكير في السوق .

★ وعَدّ من الخطأ أن يقال : أَقْرِىءْ فلاناً السلامَ ، ورأى الصواب اقرأ عليه السلام ؛ لأن معنى أقرئه السلام هو اجعله يقرأ السلام (ص ٥٧) .

والفعل قرأ وتصاريفه يُعَدَّى إلى مفعول واحد ، فيقال : قرأ الرسولُ السلامَ على الأمير ، واقرأ مني السلامَ على الأمير ، فإذا زيدت في أوله الهمزة تعدى إلى المفعولين بنفسه ، فيقال : أقرأته السلام ، أي أبلغته إياه أو جعلته يقرؤه ، وهذا صحيح على ضرب من التأويل يوضحه ابن منظور في اللسان (قرأ) بقوله : ((وقرأ عليه السلامَ يقرؤه ، وأقرأه إيّاه : أبلغه ، وفي الحديث : إن الرَّبَّ عزَّ وجل يُقرِئكَ السلامَ ، يقال : أقرىء فلاناً السلامَ واقْرَأْ عليه السلامَ ، كأنه حين يُبْلِغُه سلامه يحمله على أن يقرأ السلام ويردّه)) هـ .

ومن ذلك ترى أن الاستعمال الذي ردّه المؤلف من تعدية (أَقْرَأَ) وتصاريفه بنفسه إلى المفعولين صحيح على تأويل ابن منظور السابق ولا شيء فيه .

إنما الذي ينبغي أن يُخطّأَ هو تعدية الثلاثي (قرأ) ومتصرفاته بنفسه إلى المفعولين ، فلا يقال : قَرَأَهُ السلامَ ، ولا : اقْرَأْهُ السلام ، ولعل هذا هو موطن التخطئة في كتب القدماء ، وما جاء من قطع الهمزة في الأمر في كتبهم فعلى توهم أنه من الرباعي أَقْرَأَ ، وهو من تحريف الناسخ ثم الطَّبّاع .

★ وعَدّ من الخطأ أن يقال : رُبَّ مالٍ كثير أنفقته ؛ لأن (رُبَّ) تفيد التقليل فكيف يخبر بها عن المال الكثير ؟ ورأى الصواب : رُبَّ مالٍ أنفقته ، أو أعتقد أنني قد أنفقت مالاً كثيراً (ص ٥٨) .

وحَصْرُ معنى (رُبَّ) في إفادة التقليل مسألة غير مجمع عليها ؛ إذ اختلف النحاة في معنى رُبَّ على أقوالٍ ذكرها المرادي في الجنى الداني (ص ٤١٧ وما بعدها) وهي كما يأتي :

الأول : أنها للتقليل ، وهو مذهب أكثر النحويين ونُسِبَ إلى سيبويه .

والثاني : أنها للتكثير ، ونُسِبَ إلى الخليل . وابن درستويه وجماعة .

والثالث : أنها تكون للتقليل والتكثير ، فهي من الأضداد ، وإلى هذا ذهب الفارسيّ .

والرابع : أنها أكثر ما تكون للتقليل .

والخامس : أنها أكثر ما تكون للتكثير ، والتقليلُ بها نادر ، وهو اختيار ابن مالك .

والسادس : أنها حرف إثبات ، لم توضع لتقليل ولا تكثير ، بل ذلك مفهوم من السياق .

والسابع : أنها للتكثير في موضع المباهاة والافتخار .

وانظر تفصيلاً لهذا في : همع الهوامع ٤/١٧٤ وما بعدها ، وفي مغني اللبيب لابن هشام ص ١٨٠ وما بعدها) .

قالوا : ومن إفادتها التكثير قوله تعالى : ﴿**رُبَمَا يَوَدُّ الذين كفروا لو كانوا مسلمين**﴾ (الحجر ٢) وقول امرىء القيس :

فيا رُبَّ يومٍ قد لهوْتُ وليلةٍ بآنسةٍ كأنها خطُّ تمْثالِ

وقول جذيمة الأبرش :

رُبَما أَوْفَيْتُ في علمٍ ترْفعَنْ ثوبي شِمالاتُ

لأن الآية مَسُوقَةٌ للتخويف ، والبيتين مَسُوقان للافتخار ، ولا يناسب واحداً منهما التقليل .

وعلى ذلك يصح قول من قال على سبيل الافتخار : رُبَّ مالٍ كثير أنفقته .

★ وعَدّ من الخطأ قولهم : أسامة أصغر إخوته ، ورأى الصواب : أسامة أصغر الإخوة ، لأن أفعل التفضيل لا يضاف إلا إلى ما هو داخلٌ فيه ، وأسامة غير داخل في جملة إخوته ؛ لأن إخوته هم مَنْ سواه (ص ٥٨) .

وهذه المسألة جرى حديث عنها منذ القدم ، ففي شرح الدُّرَّة للشهاب الخفاجي (ص ١٩) أن أوّل من منعها الزّجّاج ، وفي البغداديات للفارسي (ص ٥٨٧) أن أبا بكر بْنَ السَّرّاج منعها

كذلك ، وكذلك لحّنها الحريريّ في درة الغواص .

ولكن ذكر الخفاجي أن ابن خالويه أجازها روايةً ودراية ، فالرواية ما حكاه ابن دُرَيْدٍ عن حاتم عن الأصمعي أن الفرزدق سئل عن نصيب فقال : هو أشعر أهل جِلْدَته ، ومنه قولهم على أفضل أهل بيته .

وأما الدراية فإن أفضل إخوته بمعنى أفضل الإخوة ، كقوله تعالى ﴿يَتْلُونَه حَقَّ تِلاوَتِهِ﴾ (البقرة ١٢١) أي حقّ التلاوة ، ويقوّيه قول الشاعر :

قتلتُ بعبد الله خيْرَ لِداتِهِ ذُؤاباً فلم أفخرْ بذاك وأجْزَعا

... الخ ، وقد فصّل الشهاب الخفاجي القول في ذلك في (ص ١٩) من شرحه على دُرّة الغَوّاص .

★ وعَدّ من الخطأ أن يقال : ما رأيته من أمْس ، ورأى الصواب : ما رأيته منذ أمس ، وقال : لأن (مِنْ) تختص بالمكان و (مُذ ومُنْذ) يختصان بالزمان (ص ٥٨) .

أما اختصاص (مذ ومنذ) بجر الزمان فلا خلاف فيه ، وهما يجرّان الزمان الماضي ، وأما اختصاص (مِنْ) بجرّ المكان فغير متفق عليه ، جاء في همع الهوامع ٢١٢/٤ أن (مِنْ) لابتداء الغاية مطلقاً مكاناً وزماناً وغيرهما ، وأن من جرّها الزمان قوله تعالى : ﴿لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ على التقوى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ﴾ (التوبة ١٠٨) وقد خصّها البصريون بالمكان إلا الأخفش والمبرّد ، قال ابن مالك : وغير مذهبهم — يعني البصريين — هو الصحيح ، لصحة السماع بذلك ، وكذا قال أبو حيان ، لكثرة ذلك في كلام العرب نظماً ونثراً ، وتأويل ما كثُرَ وجوده ليس بجيّد ، ا هـ . وانظر مثل هذا في الجنى الداني (ص ٣١٤) ومغني اللبيب (ص ٤١٩) .

وعلى هذا فما خطأه صحيح ولا وجه لردّه .

★ وعَدّ من الخطأ أن يقال : لعلّه ندم على تقصيره ، ورأى الصواب : لعله يندم على تقصيره لأن معنى لعلّ التوقُّع ، والتوقع يكون لما يتجدد ، لا لما انقضى وتَمّ حدوثه ؛ لذا امتنع دخولها على الماضي (ص ٥٩) .

وقد خطّأ هذا من قبله الحريريُّ وبعضُ علماء النحو ، قال الشهاب الخفاجي (ص ٥٣) : ((وهو مردود ، فإن لعلّ وإن كان معناها ما ذكر لكن المترقب لما كان وقوعه غير محقق ، بل مشكوكٌ فيه ومظنون ، وهذا مما يلزمها ، فتجوز بها عن لازمها وهو الشك والظن ، وذلك يكون في الماضي والمستقبل على حدّ سواء)) ا هـ . ثم ساق الخفاجي شواهدَ لصحته شعراً ونثراً ، فمن الشعر قول الفرزدق :

لعلك في حدر أحلّتَ على الذي تخيرت المِعْزى على كلّ حالبِ

وقول امرىء القيس :

وبُدِّلْتُ قَرْحاً دامياً بعد صحةٍ لعَلّ أمانينا تَحَوَّلْنَ أبْؤُسَا

ومن النثر قوله صلى الله عليه وسلم : ((لعلَّ الله اطَّلَعَ على أهل بدر فقال : اعملوا ما شئتم فقد غفرتُ لكم)) ا هـ (انظر شرح الخفاجي على درة الغواص ص ٥٣) .

★ وعَدّ من الخطأ أن يقال : قال فلان كَيْتَ وكَيْتَ ، ورأى الصواب : قال فلان ذَيْتَ و ذَيْتَ ، لأن العرب جعلوا كَيْتَ وكَيْتَ كناية عن الأفعال ، كما جعلوا ذَيْتَ وذَيْتَ كناية عن الأقوال (ص ٥٩) .

وهذا مما استدركه الإمام الحريري على خاصة أهل زمانه ، قال الخفاجي (ص ١٤٣) : ((قال ابن بري : هذا الفرق مذهبُ ثعلب ومن تبعه ، وأما الخليل وسيبويه ومن تابعهم فلا يفرقون بينهما)) ا هـ .

وجاء في لسان العرب (ذيت) : ((يقولون : كان من الأمر ذَيْتَ وذَيْتَ ، معناه : كَيْتَ وكَيْتَ ، وفي حديث عمران والمرأة والمزادتين : كان من أمره ذَيْتَ وذَيْتَ ، وهي من ألفاظ الكنايات)) ا هـ .

★ وعَدّ من الخطأ أن يقال : صلّيت الصبح أوّلاً ثم خرجتُ ، ورأى الصواب : صلّيتُ الصبح أوَّلُ ، لأن (أوّل) ظرف مثل قبل وبعد ، فلما قُطِعَتْ عن الإضافة بنيت على الضم مثلهما (ص ٥٩) على حدّ قول مَعْن بن أوْس :

لعَمْرُكَ ما أدري وإني لأَوْجَلُ على أيّنا تَعْدو المَنِيَّةُ أوّلُ

وقياس (أوّل) على قبل وبعد يقتضي صحة المثال المذكور ، فإن من أحوال قبل وبعد قطعهما عن الإضافة لفظاً ومعنىً قصداً للتنكير ، فمن قطع بعد عن الإضافة قول الشاعر — وهو من بني عقيل — :

ونحن قَتَلْنا الأُسْدَ أُسْدَ خفيّةٍ فما شربوا بَعْداً على لَذّةٍ خَمْرَا

ومن قطع قبل عن الإضافة قول الشاعر — وهو عبد الله بن يَعْرُبَ :

فساغ لي الشرابُ وكنتُ قبْلاً أكادُ أغصُّ بالماء الفُراتِ

وقول المؤلف في تعليل البناء على الضم : ((فلما اقتطع عن الإضافة بنى على الضم كبناء قبل وبعد)) ليس على إطلاقه فإن قبل وبعد لا يبنيان على الضم إلا إذا حذف المضاف إليه ونوى معناه ، أما إذا حذف ونوى لفظه فإنهما يعربان من غير تنوين انتظاراً للمضاف إليه المحذوف ، وانظر تفصيلاً يصحح هذا الاستعمال في : همع الهوامع ١٩٤/٣ وما بعدها ، وشرح الخفاجي على درة الغواص ص ١٦٦ وص ١٦٧ .

★ وعَدّ من الخطأ استعمال المِقْراض والمقصّ هكذا بصيغة المفرد ، ورأى أن الصواب : المِقْراضان والمِقصّان — بصيغة المثنى — (ص ٦٠) .

وهذا الذي ذكره هو من تخطئة الحريري وغيره من أئمة اللغة ، وفي اللسان (قرض) : ((وحكى سيبويه : مقراض ، فأفرد)) وفيه : ((والمقراض : واحد المقاريض ، وأنشد ابن بري لعَدِيّ بن زيد :

قد جُبْتها جَوْبَ ذي المِقْراضِ مِمْطَرَةً إذا استوى مُغْفلات البِيدِ والحَدَبِ

وقال أبو الشيص :

وَجَناحِ مَقْصُوصٍ تحيَّفَ ريشَهُ رَيْبُ الزمان تَحَيُّفَ المِقْرَاضِ

فقالوا مقراضاً ، فأفردوه ، ا هـ ، وانظر أيضاً اللسان (قصص) وشرح الخفاجي على درة الغواص (ص ٢٣٦) .

★ وعَدّ من الخطأ أن يقال : صُرِفَتْ عَلاَوَاتُ الموظفين ، ورأى الصواب : عَلاَوَى الموظفين ــ بفتح الواو في عَلاَوَى ــ وقال : «فتجمع تكسيراً (فِعَالَة على فَعَالى) ــ ولا تستحق الجمع السالم» (ص ٦٥) .

وما خطأه ليس بخطأ ، فإن علاوة كما تجمع تكسيراً سماعاً تجمع جمعاً سالماً بالألف والتاء قياساً ؛ لأن فيها التاء ، وكلُّ ما فيه التاء يقاس جمعه بالألف والتاء ، وقد أشرتُ إلى ذلك بتفصيل في بحث سابق في العدد الثاني من المجلد الثامن ــ شوال ١٤٠٧ هـ ــ (ص ٢٢٦) من هذه المجلة .

★ وعَدّ من الخطأ أن يقال : .. في طَيَّاتِ الرسالة ، ورأى الصواب : في أطْوَاء الرسالة ، وقال : «لأن (طَيّ) تجمع على أطواء ، فَعْل على أفعال وليس على فَعْلات» (ص ٦٦) .

وجمع طيّ على أطواء مما سمع عن العرب ، ففي اللسان (طوى) وأطواء الثوب والصحيفة والبطن والشحم والأمعاء والحيّة وغير ذلك : طرائقه ومكاسر طَيِّه ، واحدها طِيّ بالكسر ، وطَيّ بالفتح وطِوىً» ا هـ .

ولا مانع مما خطّأه من جهة القياس ؛ فإن طَيَّات يصح أن يكون جمع طَيَّة ــ بالتاء ، اسم المرة من الطيّ ــ والذي فيه التاء مقيسٌ جمعُه بالألف والتاء ، ولا حاجة إلى أن تنص كتب اللغة عليه ما دام مقيساً ، وكذلك يصح أن يجمع هذا المفرد على فُعَل ــ بضم ففتح ــ ففي اللسان : «حكى أبو علي : طَيَّة وطُوىً كَكَوَّة وكُوىً» ا هـ ، وكذلك ورد المفرد (طِيَّة) بكسر الكاء ــ اسم الهيئة من الطيّ ــ ومثله يجمع قياساً على طِيَّات ــ بكسرالطاء ــ .

وعلى هذا لنا أن نستعمل هذه الجموع :

ــ أطواء ، جمعاً مسموعاً للمفرد طَيّ .

ــ طُوىً ــ بضم ففتح ــ جمعاً مسموعاً للمفرد طَيَّة ــ بفتح الطاء .

ــ طَيَّات ، جمعاً مقيساً للمفرد (طَيَّة) ــ بفتح الأول فيهما .

ــ طِيَّات ، جمعاً مقيساً للمفرد (طِيَّة) ــ بكسر الأول فيهما .

ــ وجمع خامس هو طِيَات ــ بكسر الأول وتخفيف الياء ــ جمعاً مقيساً للمفرد) النادر (طِيَة) ــ بكسر الطاء وفتح الياء غير مشددة ــ حكاه اللحياني ، كما في اللسان (طوى) .

★ وعَدّ من الخطأ أن تجمع المرآة على (المَرَايا) ، لأن المرايا جمعٌ لقولنا : ناقة مَرِيّ ــ وهي التي تُدِرّ إذا مُرِيَ ضَرْعُها ، أما الصواب في جمع المرآة فهو (مَرَاء) ص ٦٨ و ص ٦٩ .

وما خطّأه هنا أشار إليه القدماء كالأزهري في التهذيب ، والحريري في درة الغواص ، وقد ذكر الخفاجي (ص ٢١٥) أن المرايا جمع مرآة صحيحة ، فقد حكى ثعلب في الفصيح أنه يقال : «هذه ثلاث مَرَاءٍ ، فإذا كثرت فهي المرايا ، وذكر ذلك جماعة من أهل اللغة كابن السِّكِّيت وابن قتيبة ، وكفى بذلك سنداً» اهـ .

وجاء في اللسان (رأى) : «والمرآة ــ بكسر الميم ــ : التي ينظر فيها وجمعها المرائي والكثير المرايا ، وقيل : من حوّل الهمزة قال : المرايا» اهـ .

★ وعَدّ من الخطأ أن تجمع الأرْض على الأراضي ؛ لأن الثلاثي لا يجمع على وزن أفاعل ، ورأى الصواب أن يقال في الجمع : أَرَضُون وأَرَضِين (ص ٦٩) .

وما صَوّبَ به هنا هو أحد ما ورد من جموع ، وبقي منها : أَرَاضٍ ــ بهمزة غير ممطولة ــ وآراض ــ بهمزة ممطولة في أوله ــ (عند الأخفش) ــ وأُرُوض ــ بضم الهمزة ــ وأَرَضات ــ بفتح الراء ــ (عند الجوهري) ــ وورد أيضاً (الأراضي) ــ الذي خطأه المؤلف هنا ــ قال ابن منظور في اللسان (أرض) : «والأراضي أيضاً على غير قياس ، كأنهم جمعوا آرْضاً ، قال ابن بري : صوابه أن يقول : جمعوا أَرْضَى مثل أَرْطى ، وأما آرُضٌ فقياسه جمع أوارض» ا هـ .

وانظر تفصيلاً في شرح الخفاجي على درة الغواص (ص ٧٨ ، ص ٧٩) .

★ وعَدّ من الخطأ أن تجمع الحاجة على (الحوائج) ورأى الصواب في الجمع : حَاجَاتٌ وحَاج (ص ٦٩) .

والحوائج جمعٌ واردٌ مستعملٌ ، وفيه ثلاثة أقوال :

ــ أولها أنه جمع حائجة ، وهو مفرد مقدر أنه الأصل للمفرد (حاجة) .

ــ وثانيها أنه سمع هذا المفرد (حائجة) ، وهو مستعمل إلا أنه نادرٌ جداً .

ــ وثالثها أنه جمع حَوْجَاء .

والأول رأي الخليل وأبي عمرو بن العلاء وابن دريد وابن جني ، والثاني رأي الأصمعي ، والثالث رأي لبعض اللغويين .

وقد كثر استعمال الحوائج في الكلام منذ القدم ، حتى قال الخفاجي (ص ٨٦) : ((إنه لا يحصى نثراً ونظماً ، ولو أُورِدَ كلُّه لكان كتاباً ضخماً)) ا هـ .

وقد ذكر الخفاجي بعض هذه الشواهد ، وقال : إن أول من أنكر الحوائج في جمع الحاجة هو الأصمعي ، وهو مما عُدَّ من سقطاته وغلطاته ، وحكى عنه الرقاشي والسجستاني أنه رجع عن هذا القول)) ا هـ .

* وعَدّ من الخطأ أن يقال : سَاعَاتِيّ ــ لبائع الساعات ــ (ص ٧٠) ومجلس الأمن الدُّوَلِيّ (ص ٧١) لأن في كلا الاستعمالين نسباً إلى الجمع ، والصحيح أن ينسب الى المفرد في الجمع على حسب القاعدة .

والردّ إلى المفرد عند النسب إلى الجمع إنما هو مذهب البصريين ، وذهب قوم ــ ذُكِرَ أنهم الكوفيون ــ إلى جواز النسب إلى الجمع على لفظه مطلقاً بلا ردّ إلى المفرد ، ولرأيهم هنا حجته من حيث منع اللبس بين إرادة الدلالة على المفرد وإرادة الدلالة على الجمع ، وقد أخذ بهذا مجمع اللغة العربية فأجاز النسب إلى الجمع على لفظه ، وانظر (مجمع اللغة العربية في ثلاثين عاماً ــ مجموعة القرارات العلمية ص ٧٢) وانظر : همع الهوامع ١٧١/٦ والمساعد على تسهيل الفوائد ٣٧٩/٣ .

* وعَدّ من الخطأ أن يقال : انخسف القمر ، ورأى الصواب : خُسِفَ القمر ، لأن معنى انخسفت الأرض : ساخت بما عليها (ص ٨٤) .

والفعل (خسف) يستعمل في اللغة متعدياً ولازماً ، يقال : خَسَفَت الشمسُ تَخْسِفُ خُسُوفاً ــ أي ذهب ضوؤها ــ وكذلك القمر ، ويقال : خَسَفَها اللهُ ، قال ثعلب : كسفت الشمس وخسف القمر ، هذا أجود الكلام .

وعلى ذلك لا مانع من أن يكون (انخسف) فعلاً مطاوعاً لخسف ، لأنه فعل ثلاثي متعد فيه معنى المعالجة ، فصح مجيء (انفعل) للمطاوعة منه ، وقد نصّ ابن منظور في اللسان على ذلك ، فقال (خسف) : ((والانخساف مطاوع خسفته فانخسف)) وكذلك جاء الحديث ((إن الشمس والقمر لا ينخسفان لموت أحد ولا لحياته)) في إحدى الروايات .

* وعَدّ من الخطأ أن يُعَدَّى الفعل (حلّ) بالتضعيف فلا يقال : حَلَّلنا لك الحلال ، وإنما الصواب أن يعدى بالهمزة فيقال : أحللنا لك الحلال ، لأن الفعل من أَحَلَّ الشيءَ إذا أباحه (ص ٨٥) .

وكلا التعديتين صحيح ، ففي اللسان (حلل) : ((والحِلّ والحَلاَل ، والحِلاَل والحَلِيل : نقيض الحرام ، حَلَّ يَحِلّ حِلاً ، وأَحَلَّه الله ، وحَلَّله)) وفيه : ((وفي الحديث : لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم المحَلِّل والمحَلَّل له ..)) وفيه ((وفي حديث بعض الصحابة : ولا أُوتى بحالٍّ ولا مُحَلِّل إلا رجمتهما)) جعل الزمخشري هذا القول حديثاً لا أثراً ، قال ابن الأثير : في هذه اللفظة ثلاث لغات : حَلَّلْتُ وأَحْلَلْتُ وحَلَلْتُ ، فعلى الأولى جاء الحديث الأول ، يقال : حَلَّل فهو مُحَلِّل ومُحَلَّل ، وعلى الثانية جاء الثاني ، تقول : أَحَلّ فهو مُحِلّ ومُحَلٌّ له ، وعلى الثالثة جاء الثالث ، تقول : حَلَلْتُ فأنا حَالٌّ وهو مَحلول له)) ا هـ .

ثم إن في التمثيل بقوله : حلّلنا لك الحلال أو أحللناه ، سُقْمٌ ولا معنى من ورائه ، إذ لا فائدة تُرجى من تحليل الحلال أو إحلاله ، وكان الأَوْلى أن يكون المثال : هل حَلَّلنا لك الحرامَ ؟ مثلا ، أو أن يذكر لفظة بعينها كالزيارة ، أو السفر أو التفاح مثلاً .

* وعَدَّ من الخطأ أن يقال : هم أغراب ــ بمعنى أجانب ــ ورأى صوابه : هم غُرَبَاء ، لأن الفعل تغرب واغترب فهو غريب وغُرُب ــ بضم الأول ــ وفعيل يجمع تكسيراً على فُعَلاَء (ص ٨٧) .

أما كون أغراب جمعاً لغريب فغير قياس كما قال ، لأن فعيلاً يجمع قياساً على فُعَلاء بشروط مذكورة في موطنها ، من كتب الصرف ، وأما كون أغراب جمعاً للمفرد (غُرُب) بضم الأول والثاني ــ يقال رجل غريب ورجل غُرُب ــ فله نظائر يصح القياس عليها مثل عُنُق وأعناق ورُبُع وأرباع ودُبُر وأدبار وأُذُن وآذان ونُصُب وأنصاب ، وقد عدّه مجمع اللغة العربية مقيساً (انظر : مجمع اللغة العربية في ثلاثين عاما ــ مجموعة القرارات العلمية ص ٤٥) .

* وعَدّ من الخطأ أن يقال : وجد صلاح سَكَناً مناسباً ، ورأى الصواب : وجد مسكناً مناسباً ، لأن (مَسْكَن) اسم مكان من سكن على مَفْعَل (ص ٨٨) .

وما خطأه مستعمل ، ففي اللسان (سكن) : ((وقال اللحياني : والسَّكَنُ أيضاً : سُكْنَى الرجل في الدار ، يقال : لك فيها سَكَنٌ ، أي سُكْنَى ، والسَّكَنُ والمَسْكَنُ والمَسْكِنُ : المنزل والبيت ، الأخيرة نادرة)) ا هـ .

فأنت تجد ابن منظور قد جعل السكن بمعنيين : أحدهما مصدر للفعل سكن ، والثاني اسم للمكان سماعاً ، وجعل المَسْكَن ــ بفتح

الكاف ـــ اسماً للمكان قياساً ؛ لأنه على وزن مَفْعَل ـــ بفتح العين ـــ من سكن يسكُن ـــ بضم العين في المضارع ـــ وجعل المَسْكِن ـــ بكسر الكاف ـــ اسماً للمكان لغة نادرة ؛ لأن المضارع مضموم العين فقياسه فتح الكاف في اسم المكان كما سبق .

★ وعَدّ من الخطأ أن يقال : فلان على أُهْبَة الاستعداد للسفر ، ورأى الصواب : فلان على أُهْبَة السفر ؛ لأن الأُهْبَة معناها الاستعداد (ص ٩٣) .

ومبنى التخطئة هنا إضافة الشيء إلى مرادفه ، وهو غير جائز عند جمهور النحاة ، وما ورد منه فهو على التأويل أو هو شاذ يحفظ ولا يقاس عليه ، وأجازه الكوفيون من غير تأويل بشرط اختلاف اللفظين ، تشبيهاً بما اختلف لفظه ومعناه كيوم الخميس وشهر رمضان (انظر : همع الهوامع ٤/٢٧٥ ، ٢٧٦) .

★ وَعدّ من الخطأ أن يقال : حضر سائر المدعوّين ـــ يقصدون جميعهم ـــ لأن سائراً بمعنى الباقي ، ورأى الصواب : حضر جميع المدعوين (ص ٩٦) .

وما خطأه هنا أشار إليه الحريري وغيره ، وقد تعقبه الخفاجي بأن أبا علي الفارسيّ ومن تبعه أجازوه ، بناءً على أنه من سار يسير ، واستدلوا عليه بأبيات منها قول ابن الرقاع :

وحُجْرا وزَبّاناً وإنْ يكُ مِلْقطٌ تُوُفّي فَلْيُغْفَرْ له سائرُ الذَّنْبِ

وقول ابن أحمر :

فلنْ يَعْدَمُوا من سائر الناس راعبا

(انظر : شرح الخفاجي على درة الغواص (ص ٩) .

★ وعَدّ من الخطأ أن يقال : .. كافة الناس ، ورأى الصواب : الناس كافةً (ص ٩٨) .

والتخطئة هنا مبنية على ما ذكره بعض النحويين من أن العرب التزموا في (كافة) التنكير والتأخير والنصب على الحالية وفي الناس خاصة ، وهذه المسألة أيضاً مما أنكره ثعلب والحريري وغيرهما من أئمة اللغة ، وعقّب على ذلك الشهاب الخفاجي بقوله : ((إذا علمنا وضع لفظ عامّ بنقل من السلف وتتبع لموارد استعماله في كلام من يعتدّ به ويُستشهد بكلامه ، ورأيناهم استعملوه على حالة مخصوصة من الإعراب والتعريف والتنكير ونحوه ، فهل يمتنع استعماله على خلاف ما ورد به مع صدق معناه الوضعي عليه أوْلا ؟ وعلى تقدير جوازه فهل نقول : إنه حقيقة أو مجاز ؟ ومثاله ما نحن فيه ، فإن (كافة) ورد عن العرب بمعنى الجميع ، لكنهم استعملوه منكّراً منصوباً وفي الناس خاصة ، ومقتضى الوضع أن لايلزمه ما ذكر فيستعمل كما استعمل جميعاً معرّفاً ومنكّراً ، بوجوه الإعراب ، في الناس وغيرهم ، والظاهر الجواز ، لأنا لو اقتصرنا في الألفاظ على ما استعملته العرب العاربة والمستعربة حَجّرنا الواسع وعَسُرَ التكلم بالعربية على من بعدهم ..)) ا هـ . ثم يذكر الخفاجي بعض المأثور مما خرجت فيه كافة عما التزم فيها سابقاً (وانظر : شرح الخفاجي على درة الغواص ص ٧٠ وما بعدها) .

★ وعَدّ من الخطأ أن يقال : تأسست مدرستكم ، ورأى الصواب : أُسِّسَتْ مدرستكم ـــ بالبناء على ما لم يُسَمَّ فاعله ـــ (ص ٩٩) .

وما خطأه هنا لا وجه له ، فإن الفعل (تأسس) مطاوع من الفعل (أسَّس) مضعف الوسط ، وذلك من صور المطاوعة ، يقال : أسَّسَ المهندسُ المصنعَ ، فتأسس ، كما يقال : علّمه فتعلّم ونبّهه فتنبّه وهذّبه فتهذّب وكسّر الزجاج فتكسّر ، وقد كثرت أمثلة المطاوعة على تَفَعَّل من فَعَّل ـــ مضعف العين ـــ فجعله مجمع اللغة العربية قياساً فيه (انظر : مجمع اللغة العربية في ثلاثين عاماً ـــ مجموعة القرارات العلمية ص ٤٠) .

★ وعَدّ من الخطأ أن يقال : تفرقت آراؤكم ، ورأى الصواب : افترقت آراؤكم (ص ٩٩) .

وما ذكره هنا أشار اليه الحريري وغيره ، وهو مبني على أن افتعل من هذه المادة تستعمل في المعاني والصفات فيقال : افترقت عقائدهم ، وإخوة مفترقون ـــ أي في النسب ـــ أما تَفَعَّل من هذه المادة فتستعمل في الأجسام والذوات فيقال : تفرقوا في البلاد ، واستعمالُ كلٍ في موضع الآخر ليس من الخطأ ، وإنما هو إيثار للفصيح على الأفصح ، يدل على ذلك قوله تعالى : ﴿**ولا تكونوا كالذين تفرّقوا واختلفوا**﴾ (آل عمران ١٠٥) وقوله تعالى : ﴿**ولا تتفرقوا فيه**﴾ (الشورى ١٣) وهذا تفرق اعتقاد وأديان لا تفرق أجسام وأبدان ، وقد ورد مثل هذا في أحاديث شريفة وفي كثير من الاستعمال ، وانظر : لسان العرب (فرق) وشرح الخفاجي على درة الغواص (ص ١٨٥) .

★ وعَدّ من الخطأ أن يقال : هذا ، وقد صرّح مصدرٌ مسئول ، ورأى الصواب في حذف اسم الإشارة المبتدأ بها الكلام ، ولم يذكر وجهته في ذلك (ص ١٠٦) .

والمعروف أن هذا الاستعمال فاشٍ في أجهزة الإعلام عامّةً ، وأحْسبُه صحيحاً على ضرب من التوجيه ، فالملاحظ أن ذلك الاستعمال لا يكونَ إلا بعد خبر سبق ذكره أو بعد كلام تامٍّ مطلقاً ، وتأويله أن يجعل مرجع اسم الإشارة إلى المفهوم مماسبق ، وكأنه قيل : عرفتَ هذا أيها المستمع ، أو نقدمُ لك هذا ، أو هذا ما

وصل إلينا ، ثم حذف ما حذف للعلم به من سياق الكلام (وحذف ما يعلم جائز) .

وعليه فيعرب (هذا) مفعولاً به لفعل محذوف ، أو مبتدأ محذوف الخبر ، أو خبراً محذوف المبتدأ ، وتكون (الواو) بعد هذا واو الاستئناف جاءت بخبر جديد ، ولا مانع من أن تكون الواو للحال والجملة بعدها في محل النصب على الحالية .

ولهذا الاستعمال نظير في القرآن الكريم في قوله تعالى : **﴿إنّ هذا لَرِزْقُنا مَالَهُ مِنْ نَفَاد . هذا وإنّ للطاغين لَشَرَّ مَآبٍ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَها فَبِئْسَ المِهاد . هذا فليذوقوه حميمٌ وغَسّاق﴾** (ص ٥٤ – ٥٧) وانظر ما قاله أبو حيان في توجيه (هذا) الثانية والثالثة في تفسيره (البحر المحيط) ٤٠٣/٧ وما بعدها .

((رابعاً)) استعمال أخطأ في تصحيحه

★ يرى أن قولهم : سوف لن يفهم المهمل الموضوع ــ خطأ صوابه : سوف يخطىء المهمل في فهم الموضوع ، أو : لن يفهم المهمل الموضوع ، أو : سوف لا يفهم (ص ٢٠) .

وما صوّب به بعضه خطأ (وهو قوله : سوف لا يفهم المهمل) لأن سوف حرف يقتضي إيجاب الفعل بعده كالسين في سيفهم ، فكل منها حرف عِدَةٍ وتنفيس ، أي وَعْدٌ بحصول الفعل بعده ــ وهذا معنى العِدَة ــ وتخليص المضارع من الزمن الضيّق وهو الحال إلى الزمن الواسع وهو الاستقبال ــ وهذا معنى التنفيس ــ .

ولهذا لا يدخل حرفا التنفيس (السين وسوف) على فعل منفي ، لأن الوعد إنما يكون بالأحداث الموجبة ، بل نصّ العلماء على أن حَرْفَيْ التنفيس لا يفصل بينهما وبين الفعل بفاصل ، اللهم إلا ما جاء شاذاً من الفصل بين سوف والفعل بالفعل المُلغَى في قول زهير :

وما أدري وسوف -إخال- أدري أقَوْمٌ آلُ حِصْنٍ أمْ نِساءُ ؟

وانظر تفصيلاً في : همع الهوامع ٣٧٥/٤ وما بعدها ، ومغني اللبيب ص ١٨٤ وما بعدها ، ولسان العرب (سوف) .

★ ويرى أن قولهم : أحكم بصفتي قاضي المحكمة ، أو كقاضٍ للمحكمة ــ خطأ صوابه : أحكم وأنا قاضٍ للمحكمة ، أو أحكم بصفة كوني قاضياً للمحكمة (ص٥٢) .

وتصويبه الثاني خطأ ، وهو من الاستعمال الدخيل وليس من العربية في شيء ، فضلاً عما فيه من إضافة الشيء إلى ما هو بمعناه (بصفة كوني) وقد عكس المؤلف هنا كلام الأستاذ ((أسعد داغر)) في تذكرة الكاتب (ص ٣٣) فجعل الخطأ صواباً والصواب خطأ ، ذلك أن صاحب التذكرة يجعل من الخطأ قولهم : افتتح فلان الجلسة بصفة كونه نائب رئيس الجمعية ، صوابه هو : افتتح الجلسة كنائب رئيس الجمعية ، وقال : إن هذه الكاف للتمثيل بما لا مثيل له ، ويقال لها كاف الاستقصاء (انظر تذكرة الكاتب ص ٣٣) وقد أجاز هذا الاستعمال مجمع اللغة العربية بدمشق ــ في الجزء الثاني من المجلد الحادي والخمسين ــ على أن تكون الكاف زائدة أو للتشبيه ، كما أجازه ــ بالأكثرية ــ مجمع اللغة العربية بالقاهرة في الدورة الثانية والأربعين (انظر معجم الأغلاط اللغوية المعاصرة ص ٢٦٤) .

★ ويرى أن قولهم : لَمّا يحضر أشرف أكرمه ــ خطأ ، صوابه : إذا يحضر أشرف أكرمه ، لأن لَمّا مختصة بالدخول على الماضي (ص ٥٢) .

وتصويبه هذا قليل الاستعمال أو في جوازه خلاف ، وأَوْلَى منه أن يقول : حين يحضر أشرف أكرمه ، أو : إن يحضر أشرف أكرمه ، ذلك لأن إن الشرطية تخلص ما بعدها للاستقبال ، سواء كان ماضياً أم مضارعاً ، أما إذا المضمنة معنى الشرط فقد زعم الفراء أنه لا يكون بعدها إلا الماضي ، وقال ابن هشام : إيلاؤها الماضي أكثر من المضارع (انظر : همع الهوامع ١٨٠/٣ ، ومغني اللبيب ص ١٢٧) .

★ ويرى أن قولهم : طالما فلان يكذب فلن أحترمه ــ خطأ ، صوابه : ما دام فلان يكذب فلن أحترمه ، أو لن أحترم فلاناً مادام كاذباً (ص ٥٤) .

أحدهما أن قوله : (ما دام فلان) معمول متعلّق بالفعل بعده (أحترم) (انظر : همع الهوامع ٩٣/٤ ، ومغني اللبيب ص ٣٧٤) .

والثاني : أن ما بعد الفاء ــ وهو هنا الفعل أحترم ــ لا يعمل فيما قبلها ــ وهو هنا ما دام ــ فالأَوْلى هجر مثل هذا الاستعمال إلى التصويب الثاني وهو قوله : لن أحترم فلاناً ما دام كاذباً .

★ ويرى أن قولهم : الخطة تحتاج إلى إمكانيّات ضخمة ــ خطأ ، صوابه : إمكانات ضخمة ، وقال : لأن (إمكان) تجمع على إمكانات ، ولا داعي لياء النسب الواردة في الجمع الأول (ص ٧١) .

وفي تصويبه هذا ما فيه ، فإن الإمكان مصدر للفعل أمكن ، وهو هنا للنوع ، لوصفه بما بعده ، والمصدر النوعي أحد قسمي المصدر المختص (النوعي والعددي) ولا خلاف في جواز تثنية المصدر العددي وجمعه ؛ وأما المصدر النوعي فأجاز بعضهم أن يثنى ويجمع عند اختلاف النوع ، قال ابن عقيل في المساعد على تسهيل الفوائد : ((وظاهر كلام سيبويه أن ذلك لا ينقاس ، وهو اختيار الشلوبين ، وحكى سيبويه من كلامهم : الأشغال والعقول والألباب والحلوم ، ومنع جمع الفكر والنظر والعلم ، قال ابن

الخشاب : ولم يعتدّ بالأفكار والعلوم ، إذ الاعتداد بكلام العرب ، ومن النحويين من أجاز ذلك قياساً ، وهو ظاهر كلام المصنف ــ يعني ابن مالك ــ فتقول على هذا : قمت قيامَيْ زيد وعمرو ، وقتلت قُتُولاً كثيرة)) اهـ (انظر المساعد على تسهيل الفوائد ٤٦٦/١-٤٦٧ ، وهمع الهوامع ٩٦/٣ ، ٩٧) .

ولا وجه للادّعاء بأن المصدر هنا قد خرج عن بابه من الدلالة على الحدث فأصبح اسماً دالاً على الذات ، فالمراد بالإمكانات هنا الأدوات المُحَسّة كالأموال والآلات وغير ذلك مما تحتاج إليه الخطة ــ لا وجه لذلك ؛ لأن نَقْلَ المصدر من دلالته على المعنى إلى الدلالة على الذات سبيله السماع عن العرب ، فلا يصح مثلاً أن تقول : أكلت أكلاً ، ولا أن تقول : شربت شُرْباً ، وأنت تعني بالأكل والشرب الطعامَ المأكول كاللحم مثلاً والشيءَ المشروبَ كالماء مثلاً .

★ ويرى أن قولهم في الدلالة على المشاركة : ساهم يساهم فهو مُسَاهِم ومُسَاهَمَة ــ خطأ ، صوابه : أَسْهَمَ يُسْهِم فهو مُسْهِم إسْهَاماً ، أو : سَهَّمَ ــ مضعف الوسط ــ تَسْهيماً ، لأن ساهم بمعنى قارع ، وتساهموا : تقارعوا (ص ٧٥) .

أما استعمال سَهَّم ــ مضعف الوسط ــ وما يتصرف منه في الدلالة على المشاركة (وهو التصويب الثاني عنده) فلم يقع لي بهذا المعنى ، وإنما معنى سَهَّم الشيءَ هو : جعل فيه خطوطاً على شكل السهام ، والمُسَهَّم هو البُرْد المخطّط ، وفي حديث جابر : أنه كان يصلي في بُرْدٍ مُسَهَّم ، أي مخطط ، فيه وَشْيٌ كالسهام ، قال ذو الرمة يصف داراً :

كأنها بعد أحوال مَضَيْنَ لها بالأشْيَمَيْنِ يَمَانٍ فيه تسهيم

(انظر : لسان العرب (سهم) .

وأما استعمال أَسْهَمَ وما يتصرف منه في الدلالة على المشاركة (وهو التصويب الأول عنده) فلم يقع لي نصّاً فيما بين يديّ من كتب اللغة ، وكنت أستجيزه جرياً على نهج أستاذنا الشيخ محمد علي النجار .

وأما استعمال ساهم وما يتصرف منه في الدلالة على المشاركة فقد وردت باللفظ أبيات تحتمل معنى المشاركة ، ثم أجازه مجمع اللغة العربية بالقاهرة (انظر : معجم الأغلاط اللغوية المعاصرة ص ٣٢٨) .

★ ويرى أن قولهم : فلانة إنسانةٌ طيبة ــ خطأ ، صوابه : فلانة إنسانٌ طيبةٌ ، لأن كلمة (إنسان) يستوي فيها المذكر والمؤنث (ص ٧٧) .

وفي تصويبه هنا بعض الخطأ ، وذلك لأن (طيّبة) من صفة (إنسان) ، لا من صفة (فلانة) .. هذا هو المألوف المتبادر في هذا الاستعمال ــ فوجب أن يُذَكَّر تبعاً لحاله ، فيقال : فلانة إنسانٌ طيّب ، لأن النعت الحقيقي يجري على منعوته تذكيراً وتأنيثاً .

أما إنسانة ــ بالتاء ــ فقد رأى أكثر العلماء أنها من ألفاظ العامة المولّدة ، ويرى الزبيدي صاحب (تاج العروس) أنها عربية صحيحة ولكنها قليلة الاستعمال ، وذكر بعض ما جاء منها مستعملاً بالتاء (وانظر تفصيلاً في : معجم الأخطاء الشائعة ص ٣٠) .

★ ويرى أن قولهم : أرضعت الأمُّ الطفلَ لَبَنَها ــ خطأ ، صوابه : أرضعت الأم الطفلَ لِبَانَها ؛ لأن اللبن هو ما يشرب من ناقة أو شاة وغيرها (ص ٩١) .

وما ذكره من التفرقة بين اللبن واللِّبان ــ بكسر اللام ــ صحيح ، فقد جاء في لسان العرب (لبن) : ((وهو أخوه بِلِبَانِ أمّه ــ بكسر اللام ــ ولا يقال : بلبن أمه ، إنما اللبن الذي يشرب من ناقة أو شاة أو غيرهما من البهائم . اهـ .

لكني مترددٌ في صحة تعدية الفعل (أرضع) وتصاريفه إلى مفعولين بنفسه ، ويتجه لي أنه يُعَدّى إلى الثاني بالباء ، فيقال : أرضعت الأم الطفل بلبانها ، وربما يشهد لذلك ما أنشده ابن سيده من قول الشاعر :

وَأُرْضِعُ حاجةً بِلِبَانِ أخرى كذاك الحَاجُ تُرْضَعُ باللِّبَانِ

وقال الآخر :

وما حَلَبٌ وَافَى حَرَمْتُكَ صَعْرَةً عليّ ولا أرضعتَ لي بِلِبَانِ

(انظر : لسان العرب ــ لبن) .

★ ويرى أن قولهم : اجتمع المدير بالعمال ــ خطأ ، صوابه : اجتمع المدير إلى العمال (ص ١٠٠) .

وفي تصويبه هذا خطأ ، لأن (اجتمع) على وزن افتعل الدالّ على المشاركة هنا ، ومرفوع هذه الصيغ يكون مثنى أو مجموعاً أو متعدداً معطوفاً بالواو لا غير ، لأنها المفيدة للمشاركة من بين حروف العطف ، فيقال : اجتمع الرجلان ، واجتمع الرجال ، واجتمع محمد وعلي وسعيد ، واجتمعا ، واجتمعوا ، واجتمعْنَ ، ولا يقال : اجتمع محمد بعلي ، ولا : مع علي ، ولا : إلى علي .

هذا هو الفصيح الوارد ، وقد أجاز مجمع اللغة العربية في القاهرة استعمال مع أو الباء مع افتعل الدال على المشاركة ، بناءً على أن الباء ومَعَ تفيدان معنى المعية والمصاحبة والاشتراك في الحكم مما يُدَلّ عليه بالحرف العاطف (انظر : كتاب في أصول اللغة ١٩٢/٢) ويبقى بعد هذا أن استعمال (إلى) مع هذه الصيغة خطأ ولا شبهة فيه .

★ ويرى أن قولهم : لا عاطل عن العمل في مصر ــ خطأ ، صوابه : لا عاطل من العمل في مصر (ص ١٠٠) .

والتخطئة عنده هنا هي في وضع (عن) في موضع (من) فقط ، مع أن استعمال العاطل في معنى الخالي من العمل لم ترد به أمهات كتب اللغة ، فالعاطل فيها إنما هو صيغة خاصة بالمؤنث ، وهي المرأة

التي لم تلبس الزينة وخلا جيدها من القلائد ، وفي لسان العرب (عطل) : عَطِلَت المرأة تَعْطَلُ عَطَلاً وعُطُولاً وتَعَطّلت : إذا لم يكن عليها حَلْيٌ ولم تلبس الزينة وخلا جيدها من القلائد ، وامرأة عاطل — بغير هاء — من نسوة عواطل وعُطَّل ، وامرأة عُطُل من نسوة أعطال ، وامرأة عَطْلاء : لا حَلْي عليها)) اهـ .

ولكن جاء في اللسان أيضاً أن العَطَل قد يستعمل في الخُلُوّ من الشيء وإن كان أصله في الحَلْي — يقال : عَطِلَ الرجل من المال والأدب فهو عُطْلٌ مثل عُسْر وعُسُر)) اهـ .

فأنت ترى أن استعمال المادة هنا صحيح للرجال ، ولكن ابن منظور نصّ على الوصف من ذلك وهو عُطْل وعُطُل ، وعليه فاستعمال عاطل في الرجال لا وجه له .

ويرى أن قولهم : اعتذر الأستاذ عن الحضور اليوم — خطأ ، صوابه : اعتذر الأستاذ عن عدم الحضور اليوم (ص ١٠١) .

فالخطأ عنده مُنْصَب على مجرور (عن) ، لأن عدم الحضور هو المعتذر عنه وليس الحضور ، ولكن في الاستعمالين خطأ آخر هو حرف الجر نفسه ، فالوارد عن العرب استعمال (مِنْ) الجارة مع الفعل (اعتذر) وما يتصرف منه ، وهكذا ورد في استعمال الفصحاء من أئمة اللغة والكتاب والشعراء ، ولم تستعمل (عن) مع هذا الفعل إلا في المصباح المنير ومن نقل عنه وتبعه كذلك المعجم الوسيط ، والأولى هجر (عَنْ) واستدعاء (مِنْ) إلى موضعها (وانظر : معجم الأخطاء اللغوية الشائعة ص ١٦٥) .

★ ويرى أن قولهم : فاكهة البطيخ — بفتح الباء — خطأ ، صوابه كسر الباء (ص ١٠٥) .

وكسر الباء في البطيخ هو الموافق للأوزان العربية ، إذ إن الوزن (فَعّيل) بفتح الفاء وتضعيف العين غير موجود في كلامهم (انظر المصباح المنير — بطخ) .

ولكن في التعبيرين السابقين خطأ تركيبي على مذهب الجمهور ، ذلك لأن البطيخ نوع خاص من الفاكهة العامة ، وهو مضاف إليها فيهما ، ففيه إضافة العامّ إلى الخاص ، وذلك غير جائز في القياس عندهم ، وما ورد منه يحفظ ولا يقاس عليه ، وتفصيحه بحذف المضاف .

((خامساً)) قواعدُ مبتورةٌ ، أو مُساءٌ فَهْمُها

★ في تخطئة قولهم : سوف لن يفهم المهمل — ذكر أن السبب هو أنه لا يحسن الفصل بين سوف والفعل بلن (ص ٢٠) .

وفي تعبيره هذا مأخذان :

الأول : أنه جعل الفصل غير حسن ، والقاعدة أنه لا يجوز مطلقاً ، فإن قيل فهو لحن .

والثاني : أنه حصر الفصل — الذي لا يحسن عنده — في الحرف (لن) ، والقاعدة أنه لا يجوز الفصل بين حرفي التنفيس (السين وسوف) والفعل بفاصلٍ ما ، سواء كان لن أم غيرها ، وقد جاء في الشعر الفصل بين سوف ومدخولها بالفعل المُلْغَى ، وهو شاذٌ ، قال المالقي في رصف المباني (ص ٣٩٨) : ((سوف حرف يختص بالفعل المضارع أيضاً ، ويخلصه للاستقبال مثل السين ، ومعناها التنفيس في الزمان إلا أنها أبلغ في التنفيس من السين ، وهي متصلة به كبعض حروفه كالسين أيضاً ، فلذلك لايجوز الفصل بينها وبينه)) اهـ .

وقال المؤلف في الموضع نفسه : ((وكذلك تجد أن سوف ولن تفيدان معنى الاستقبال ، ولا تجتمع على الفعل أداتان تؤديان معنى واحداً فوجب الاكتفاء بإحداهما)) اهـ .

وفي تعبيره هنا تجاوز ؛ فإن الاستقبال ليس معنىً وإنما هو زمان يقع المعني فيه ، كذلك ادّعاؤه أن سوف ولن يؤديان معنى واحداً غير مُسَلَّم له ، فإن سوف تؤذن بإيجاب الفعل بعدها (عِدَةٌ وتنفيس) أما لن فهي لنفي الفعل بعدها في الزمن الآتي .

★ وفي تخطئة قولهم : هذا نتج عن تقصيرك — ذكر أن الصحيح استعمال الحرف (مِنْ) هنا ، وقال : فـ (مِنْ) هنا هي التي أفادت إضافة الفعل للاسم بعدها وهي أَوْلَى من (عن) (ص ٢٨) .

وفي كلامه هذا بعض الإبهام ، وأولى منه أن يقول : إن (من) حرف يفيد ابتداء الغاية ، و (عن) حرف يفيد المجاوزة ، وإرادة الابتداء هنا ظاهرة دون إرادة المجاوزة ، إذ المعنى أن مبدأ هذا الأمر هو التقصير ، وليس المعنى أن النتاج تجاوز التقصير .

★ وفي تخطئة إسكان اللام في (حلقات) جمع حلقة ، قال : لأنه يجب أن تفتح عين مفتوح الفاء الذي سلمت عينه من الإعلال في جميع المؤنث السالم (ص ٤٨ و ص ٤٩) .

وقاعدته هنا مبتورة ؛ ذلك لأن الشرط في فتح العين في جمع المؤنث السالم أن يكون المفرد مؤنثاً ثلاثياً صحيح العين ساكنها غير مضاعف ولا صفة ، مع كون فائه مفتوحة حتى يجب إتباع العين الفاء في حركتها (انظر : همع الهوامع ١/٧٢ وما بعدها) .

وأنت ترى المؤلف قد أغفل جُلَّ هذه الشروط .

★ وفي تخطئة قولهم : البنتان أحدهما أو كلاهما — ذكر أن الصواب : البنتان إحداهما أو كلتاهما .. وقال : ((حيث تجب مطابقة البدل للمبدل منه في التذكير والتأنيث)) (ص ٤٩) .

وهذا وَهَمٌ منه ، فقد ظن أن (إحداهما) أو (كلتاهما) في المثال الذي ذكره يعرب بدلاً من البنتين ، وليس كذلك ، فإنك إذا قلت البنتان إحداهما مؤدبة ، كانت إحداهما مبتدأ ثانياً خبره ما بعده ، والجملة خبر المبتدأ الأول — وهو البنتان — وإذا قلت : البنتان كلتاهما مؤدبتان ، كانت كلتاهما توكيداً معنوياً للبنتين ، ومؤدبتان خبر عنهما ، ولا وجه للبدلية في المثالين .

ثم إن البدل لا تجب مطابقته للمبدل منه في التذكير والتأنيث — كما ذكر — إذ يجوز إبدال المذكر من المؤنث والعكس ، وفي القرآن الكريم : ﴿**قُتِلَ أصحابُ الأُخْدُودِ . النارِ ذاتِ الوَقُود**﴾ (البروج ٤ ، ٥) والنار مؤنثة والأخدود مذكر ، وهي بدل منه ، وقال امرؤ القيس :

كأنَّ غداة البَيْنِ يوْم تَرَحّلُوا — لدى سَمُراتِ الحَيِّ ناقِفُ حَنْظَل

فأبدل (يوم) وهو مذكر من (غداة) وهي مؤنثة بدل بعض من كل على المختار (انظر : همع الهوامع ٢١٦/٥) .

★ وفي تخطئة قولهم : أيُّ بنت تذاكر تنجح — ذكر أن الصواب أَيَّةُ بنت تذاكر تنجح ، وقال : ‹‹حيث تجب المطابقة كذلك›› (ص ٤٩) .

وما ادعاه من وجوب المطابقة بين أيّ والمضاف إليها غير مُسَلَّم له ، فإنه جائز لا واجب ، قال ابن أبي الربيع في (البسيط ٢٨٨/١) ‹‹وأيّ إذا وقعت على المؤنث جاز أن تُلْحِقَ التاءَ فتقول : أَيَّتُهُنَّ وأَيُّهُنَّ .

وقال ابن منظور في اللسان (أيا) : ‹‹وتكون أيّ جزاءً وتكون بمعنى الذي ، والأنثى من كل ذلك أَيَّةُ ، وربّما قيل : أَيُّهُنَّ منطلقةٌ ، يريد : أَيَّتُهُنَّ ..›› ثم قال : ‹‹وتقول : أيُّ امرأة جاءتك وجاءك ، وأَيَّةُ امرأة جاءتك ، ومررت بجارية أيِّ جارية ، وجئتك بملاءة أيِّ ملاءة ، وأيَّة ملاءة ، كلٌّ جائز ، وفي التنزيل العزيز : ﴿**وما تدري نفسٌ بأيِّ أرضٍ تموت**﴾ اهـ .

★ وفي تخطئة قولهم : اجتمع مجلس مَحَليّ القاهرة ، وقابلت مُوَجّه أوّل العلوم — ذكر أن الصواب هو : اجتمع مجلس القاهرة المحلي ، وقابلت مُوَجِّهَ العلوم الأول ، وقال : ‹‹لأنه لا يجب الفصل بين المضاف والمضاف إليه بوصف المضاف›› (ص ٥١) .

والمفهوم من عبارته (لا يجب الفصل) أنه يجوز ، لأن عدم الوجوب لا يقتضى عدم الجواز ، وهذا المفهوم مخالف لقاعدة النحاة من أنه لا يجوز الفصل بين المضاف والمضاف إليه مطلقاً ، إلا عند ابن مالك الذي أجاز الفصل بينهما في الاختيار بشرط أن يكون المضاف مُشْبِهاً للفعل — وهو المصدر واسم الفاعل — ويكون الفاصل منصوباً لهذا المضاف كالمفعول به أو الظرف وشبهه ، قال في الألفية :

فَصْلَ مُضافٍ شِبْهِ فِعْلٍ ما نَصَبْ — مفعولاً أو ظرفاً أجِزْ ولم يُعَبْ
فَصْلُ يمينٍ واضطرار وُجِدا — بأجنبيٍّ أو بنعتٍ أو نِدا

★ وفي تخطئة : هذه عصاتي — ذكر أن الصواب هو : هذه عَصَايَ وقال : ‹‹لأنهم توهموا تأنيثها بالتاء على حين أنها مؤنثة بالألف المقصورة›› (ص ٥٢) .

والقول بأن الألف في (عصا) ألف التأنيث المقصورة غريبٌ فإن الألف في (عصا) وقعت ثالثة لاماً للكلمة ، فهي من أصول الكلمة ، وألف التأنيث المقصورة ألفٌ زائدة تقع بعد ثلاثة أحرف فأكثر نحو لَيْلَى وحُبَارَى ، ولها أوزان مشهورة محصورة في كتب الصرف (انظر شرح ابن عقيل على الألفية ٤٣٣/٢ وما بعدها) وعلى ذلك فالتأنيث في (العصا) ليس من الألف المقصورة فيها ، وإنما هو السماع عن العرب .

★ وفي تخطئة قولهم : قرأت الرسالة إيَّاها — ذكر أن الصواب : قرأت الرسالة نفسها أو عينها ، وقال : لأن إيّاها ضمير نصب لا يختص بالتوكيد مثل نفس أو عين التي تؤكد بها المفردات (ص ٥٣) .

وفي تعليله هذا اضطرابٌ وقَلَقٌ ، فإن قوله : (لأن إيّاها ضمير نصب لا يختص بالتوكيد) لا يصلح تعليلاً لتخطئة الاستعمال السابق ، وهو يشير إلى أن المؤلف يعرب (إيّاها) توكيداً للرسالة قبله ، ولا يصح هذا ؛ فإنه لا يصح أن يكون توكيداً لفظياً له لاختلاف اللفظين ، ولا توكيداً معنويّاً ، لأن التوكيد المعنوي محصورٌ في ألفاظ ليس من بينها الضمير (انظر باب التوكيد في كتب النحو) .

ثم إن النفس والعين لا تؤكد بهما المفردات فقط — على ما يفهم من عبارته — وإنما يصلحان لتوكيد كل أنواع الاسم : مفرداً ، ومثنى وجمعاً ، فيقال : جاء الرجل نفسه والرجلان أنفسهما والرجال أنفسهم ، وهكذا العين .

هذا والأظهر في المثال المخطَّأ قَصْدُ الدلالة على الوصفية ، ولكن الضمير لا يصلح أن يقع صفة كما لا يصح أن يوصف ؛ لأنه اسم جامد غير مؤوّل بالمشتق ، وليس من الأسماء الجامدة التي يصح النعت بها والتي حصرها النحاة في باب النعت (انظر : النحو الوافي ٤٥٨/٣ وما بعدها) وأرى أن الأولى في تصحيح المثال السابق أن يقال : قرأت الرسالة التي نعرفها ، حيث إن ذلك أدَلّ على مقصود المتكلم .

★ وفي تخطئة قولهم : كلما اجتهدت كلما تفوقت — ذكر أن الصواب : حذف (كلما) الثانية ، وقال : ‹‹لأن كلما الشرطية لا تكرر في الجملة (ص ٥٤) .

وليس هذا من التعليل في شيء ، وإنما امتنع تكرار كلما ، لأنها في

معنى الظرف لإضافتها إلى (ما) المصدرية الزمانية وصلتها ، ولا بُدَّ لها من شيء تتعلق به وهو جوابها (تفوقت) ولولا ذلك لبقيت جملة (كلما اجتهدت) وجملة (كلما تفوقت) دون جواب لكل منهما ، وهذا يجعل المعنى ناقصاً .

★ وفي تخطئة قولهم : الأمر الغير صحيح — ذكر أن الصواب : الأمر غير الصحيح ، وقال : ((لأن المضاف إليه هو الذي يستحق التعريف لا المضاف)) (ص ٥٦) .

وهذا كلام عام ينبغي أن يخصص بالإضافة المعنوية دون اللفظية ، فإن منها مواضع يغتفر فيها دخول (أل) على المضاف ، جمعها ابن مالك في قوله :

وَوَصْلُ أل بذي المضاف مغتفرْ   إنْ وُصِلتْ بالثانِ كالجعْدِ الشَّعَرْ
أو بالذي له أضيف الثاني   كزيد الضاربُ رأسِ الجاني
وكونها في الوصف كافٍ إن وقع   مثنى أو جمعاً سَبِيله اتَّبعْ

★ وفي تخطئة قولهم : هاتا مثالين — ذكر أن الصواب : هاتيا مثالين ، وقال : ((لأن (هاتا) هي اسم إشارة إلى المفردة المؤنثة الحاضرة ، أصلها (تا) وزيدت عليها (ها) للتنبيه)) (ص ٦٠) .

وكلٌّ من تعليله وتحليله لا يصلح في المثال الذي خطأه ؛ ذلك لأن المقصود توجيه خطاب إلى اثنين بإعطاء مثالين ، وعليه فـ (هاتيا) فعل أمر مبني على حذف النون وألف الاثنين فاعل و (مثالين) مفعول به لهذا الفعل منصوب وعلامة نصبه الياء لأنه مثنى .

ولا دلالة في فعل الأمر هنا على الإشارة ، وليست (ها) في أوّله للتنبيه — كما قال — وإنما هي بدل من الهمزة ، وفي لسان العرب (أتى) : ((وتقول : هات : معناه آت ، على فاعل ، فدخلت الهاء على الألف ، وفيه أيضاً (هيت) : ((وقال الخليل : أصل هات : آت ، من آتى يؤاتي ، فقلبت الألف هاء)) ا هـ .

ثم إنه لو كان المقصود الإشارة إلى المفردة الحاضرة — كما يرى — لصح المثال الذي خطأه بعد رفع ما بعد اسم الإشارة ، فيقال للمفردة : هاتا مثالان ، ويقال في الإشارة إلى المؤنثتين : هاتان مثالان .

★ وفي تخطئة جمع دير على أَدْيِرَة — ذكر أن الصواب : أديار ودُيُورَة ، وقال : ((لأن فِعْل — بكسر الفَاء — تجمع على أفعال وفُعُولة ، أما الجمع الأول — يقصد أَدْيِرَة — فلم يسمع)) (ص ٦٤) .

ولي هنا تعقيبان :

الأول : أن في ضبطه المفرد (دير) بأنه مكسور الفاء وَهَماً ، فإن مفتوح الفاء ساكن العين .

والثاني : أنه أطلق أن فِعْلاً — بكسر الفاء — تجمع على أفعال وفُعُولة ، وهو يوهم بأن ذلك قاعدة مطردة في الجمع ، وليس كذلك ؛ فإن أفعالاً من جموع القلة ، ولا يطرد إلا في جمع الاسم الثلاثي الذي لم يطرد فيه (أَفْعُل) وهو غير فعل الصحيح العين (وانظر تفصيلاً في جمع التكسير من كتب الصرف ، وفي : الفيصل في ألوان الجموع ص٣٦ وما بعدها) .

وأما فُعُولَةٌ جمعاً فإن أصله فُعُولٌ ، والتاء مُدْخَلَةٌ فيه لتحقيق التأنيث نحو العمومة والخئولة والبعولة والفحولة — جمع عمّ وخال وبَعْل وفحل ، وإدخال مثل هذه التاء في الجمع ليس من القياس ، فلا تقول : عُيُونَة في جمع عَيْن ، ولا : ضُرُوسَةٌ في جمع ضِرْس ، وهكذا .

★ وفي تخطئة قولهم : طَيّات الرسالة — ذكر أن الصواب : أطواء الرسالة وقال : ((لأن (طيّ) تجمع على أطواء : فَعْل على أفعال وليس على فَعَلات (ص ٦٦)) .

وإطلاقه أن فَعْلا تجمع على أفعال ليس كذلك ؛ لأنه مشروط بأن لا يطرد جمعه على أَفْعُل ، كما قال ابن مالك :

وغير ما أَفْعُل فيه مُطَّرِدْ   من الثلاثي اسماً بأفعال يرِدْ

وقد سبق تصحيح ما خطأه .

★ وفي تخطئة (النوادي) في جمع النادي — ذكر أن الصواب : الأَنْدِية ، وقال : ((حيث تجمع كلمة (نادٍ) على أَنْدِية وأَنْدِيات ، أي فاعل على وَزْنَيْ أفعلة وأفعِلات ، وذلك أن النوادي معناها الخطوب)) (ص ٦٧) .

وليس هذا بتعليل ، فليس كلّ فاعل يجمع على أفعلة ، فقد يجمع على فواعل أو فَعَلة أو فُعَّل أو فُعَّال ، نحو : حاجِز وحواجز ، وحائض وحوائض ، وساحر وسحرة ، وغازٍ وغُزّىً ، وصائم وصُوَّام ، ولكلّ جمع من ذلك شروطه ، وبيانها في باب جموع التكسير .

وأما أفعِلات التي ذكر أن النادي يجمع عليها فهي جمع الجمع ، أي جمع أندية التي هي جمع النادي ، وجمع الجمع غير مقيس (انظر : همع الهوامع ١٢٣/٦ وما بعدها) .

وكان عليه أن يقول في تعليل التخطئة للنوادي : لأنه لم يرد عن العرب مع كونه القياس فيه ، لأنه اسم على فاعل نحو كاهل وكواهل ، على حدّ قول ابن مالك :

فواعل لفوعل وفاعل   وفاعلاء مع نحو كاهل
وحائض وصاهل وفاعلَه   وشذ في الفارس مع ما ماثله

(وانظر : همع الهوامع ١٠٦/٦) وقد أجاز هنا الجمع قياساً الشيخ مصطفى الغلاييني ، وجاء به المعجم الوسيط (انظر : معجم

الأخطاء اللغوية الشائعة ص ٢٤٤) .

* وفي تخطئة (المرايا) جمع المرآة ــ ذكر أن الصواب (المرائي) وقال : ((لأنها تأتي مَسْعى ومَسَاع ..)) (ص ٦٨ ، ٦٩) .

وتنظيره هنا غير مستقيم ، والأولى أن يقول : لأنها تأتي مثل المِقْلاة والمَقَالي ، إذ إن كلاهما اسم آلة من معتل اللام اليائي ، وقد سبق أن المرايا أيضاً صحيحة على أنها جمع كثرة .

* وفي تخطئة قولهم : من الطبيعي أن يحدث كذا ــ ذكر أن الصواب : من الطَّبَعِيِّ أن يحدث كذا ، وقال : ((لأنه عند النسب إلى كلمة على وزن فعيلَة وجب حذف يائها مع تاء التأنيث)) (ص ٧٠) .

وهذه قاعدة مبتورة ؛ فليس كل ما كان على فعيلة تحذف منه الياء مع التاء عند النسب ، بل لابد أن يكون صحيح العين غير مضعف ، فلا تحذف الياء عند النسب إلى طويلة أو عفيفة ، قال ابن مالك :

وفَعَلِيّ في فَعِيلَةِ الْتُزِمْ وفُعَلِيّ في فُعَيْلَةٍ حُتِمْ
وتَمَّموا ما كان كالطويلة وهكذا ما كان كالجليلة

* وفي تخطئة قولهم : الكوب مَلِيءٌ بالماء ــ ذكر أن الصواب : الكوب مملوء بالماء أو ملآن ، وقال : ((لأن الاشتقاق الثاني أولى من الأول)) ص (٧٦) .

وليس هذا من التعليل في شيء ، وإنما يقال : لأن فَعِيلاً الوصف بمعنى مفعول سبيله السماع عن العرب ، نحو قتيل ومقتول وجريح ومجروح ، فقد ورد ذلك عنهم ، ولا يصح أن تقيس فتقول : درس فهيم بمعنى مفهوم ، ولا تقول : رجل نصير بمعنى منصور ، وهكذا .

* وفي تخطئة قولهم : امرأة عجوزة ــ ذكر أن الصواب : امرأة عجوز ، وقال لأن كلمة (عجوز) تستعمل للمذكر والمؤنث (ص ٧٧) .

وذلك غير مشهور في العربية ، فإن المعروف أن العجوز صفة خاصة بالمؤنث ، فلا يقال : رجل عجوز ، إلا على قلة ، وإنما يقال : رجل شيخ ، وفي القرآن الكريم : **﴿قالت يا وَيْلَتَا أَأَلِدُ وأنا عجوزٌ وهذا بعلي شيخاً﴾** (هود ٧٢) وجاء في لسان العرب (عجز) : ((والعجوز والعجوزة من النساء : الشيخة الهَرِمَة ، الأخيرة قليلة)) وجاء فيه أيضاً : ((قال الأزهري : والعرب تقول لامرأة الرجل وإن كانت شابة : هي عَجُوزُهُ ، وللزوج وإن كان حَدَثاً : هو شيخها ، وقال : قلت لامرأة من العرب : حَالِبِي زوجك ، فتذمّرت وقالت : هَلاَّ قلت : حالبي شيخك)) اهـ .

* وفي تخطئة قولهم : لِيَة الشاة أو إِلْيَاة الشاة ــ ذكر أن الصواب : أَلِيَة الشاة ، وقال في ضبطه : ((بفتح الهمزة وكسر اللام)) (ص ١٠٥) .

ولم يقع لي هذا الضبط ، وإنما المعروف أن الألْية بفتح الهمزة وسكون اللام ، وفي لسان العرب (ألا) : ((والأَلْية ــ بالفتح ــ : العجيزة للناس وغيرهم ، أَلْيَة الشاة وأَلْيَة الإنسان ، وهي أَلْية النعجة ، مفتوحة الألف ، ولا تقل : لِيَة ولا إِلْية فإنها خطأ)) اهـ .

والدليل على سكون اللام في المفرد أنها تجمع على أَلَيَات ــ بفتح اللام اتباعاً لفتحة الهمزة ، كما هو المعروف في مثله ، والدليل أيضاً سكون مثناها في قول عنترة :

متى ما تلقني فَرْدَيْن تَرْجُف رَوَانِفُ أَلْيَتَيْكَ وتُسْتَطَارا

وقول الراجز :

كأنما عطيَّة بْنُ كَعْبِ
ظَعينةٌ واقفة في رَكْبِ
ترتج أَلْيَاهُ ارتجاجَ الوَطْبِ

إذ لو كسرت اللام لاختلّ وزن الشعر والرجز ، والمعروف أن التثنية لا تغير من بنية المفرد ولا من حركاته .

وتلاحظ مما ذكرته أن مثنى أَلْية جاء بحذف التاء ــ على غير قياس ــ وهو الكثير ، وقد جاء بإثباتها قليلاً .

((سادساً)) تجاوز في استعماله اللغوي

والمرغوب ممن يُصَنِّفُ في اللحن اللغوي ، ويَعْرِضُ لتخطئة العامة والخاصة أن يحرّر لغته هو من كل ما يشين ، وأن يتحرى الأفصح حيث كان ، فيجري على سَنَنِه ولا يتخطاه ، ولا ينبغي له أن يستعمل ما يحتمل الصواب والخطأ ، أو ما يحتاج إلى تأويل أو تخريج على مخرج ضعيف ، حتى تكون منه القدوة الحسنة في النقد وفي الاستعمال .

وفيما يلي بعض التجاوز الذي وقع في الاستعمال اللغوي لمؤلف الكتاب ، وبعضه يجوز على وجهٍ ما ، ولكن كان حَرِيً به أن ينأى عنه كما ينهى غيره عن مثله .

* قال المؤلف في المقدمة (ص ٧) : ((.. آملاً أن يظل كتابي ... مَحَلّ اهتمام العلماء والإعلاميين والدارسين بل **وعامة** القراء)) ا هـ .

ولا وجه في الفصحى لوقوع الواو تاليةً للحرف (بَلْ) ولم يرد بذلك الكلام المحتج به ، وذلك لأن (بل) إذا وقع بعدها مفرد ــ كما هنا ــ كانت عاطفة ، والواو التالية لها حرف عطف ، ولا يلتقي حرفان من جنس واحد في كلامهم الفصيح ، فالصواب أن يقول : بل عامة القراء (من غير الواو) أو يقول : وعامة القراء (من غير بل) أو الأفضل أن يقول : بَلْهَ عامة القراء ، على معنى : دَعْكَ من عامة القراء فهؤلاء أحقُّ بالاهتمام بالكتاب لشدة حاجتهم إليه .

* وقال في المقدمة أيضا (ص ٧) : ((وإنني إذ **أشكر كلَّ** من قرأ

كتابي وعلّق عليه لأخصُّ بالشكر ...)) اهـ .

والفعل (شكر) أكثر ما يستعمل مُعَدًّى باللام إلى المشكور ، لا مُعَدًّى بنفسه ، ولم يجيء في القرآن الكريم إلا كذلك ، كقوله تعالى : ﴿**كُلوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكم واشكروا له بلدةٌ طيبةٌ وربٌّ غفور**﴾ (سبأ ١٥) وقوله تعالى : ﴿**ولقد آتينا لُقْمَانَ الحكمة أنِ اشكرْ لله**﴾ (لقمان ١٢) وأما قوله تعالى : ﴿**فكلوا مما رزقكم الله حلالاً طيبا واشكروا نعمة الله**﴾ (النحل ١١٤) فالنعمة — في الحق — ليست هي المشكور ، وإنما المشكور هو الله والنعمة سبب داع إلى الشكر ، وحُذِفَ المشكورُ للعلم به ، وكأن الأصل : واشكروا لله نعمته .

وَرَجَعَ ابْنُ السِّكِّيت تعدية الفعل (شكر) إلى المشكور بنفسه أو باللام إلى اللهجات العربية ، فقال في إصلاح المنطق (ص ١٩٤) : ((وقد شكرت له صنيعه فأنا أشكر له شُكْراً ، وقد شكرته لغة)) اهـ .

وقال في موضع آخر (ص ٢٨١) : ((وتقول : نصحت لك وشكرت لك فهذه اللغة الفصحية ، قال الله عز وجل : ﴿**أنِ اشكُرْ لي ولوالديك**﴾ وقال في موضع آخر : ((وأنصحُ لكم ، ونصحتكَ وشكرتك لغة)) اهـ .

★ وقال في المقدمة أيضاً (ص ٩) : ((والصلاة والسلام على أفصح العرب سيدنا محمد بن عبد الله وعلى **آله** وصحبه أجمعين)) اهـ .

وقد خطأ هو في كتابة هذا (ص ٥٨) استعمال (آل) مضافاً إلى الضمير ، لأنها لاتضاف إلا إلى الاسم الظاهر ، فكان عليه أن يتجنب ما خطأ .

★ وقال في المقدمة أيضاً (ص ٩) : ((ولعل الحافز الذي دفعني إلى تصنيف هذا البحث هو ممارستي **للعملية التعليمية**)) اهـ .

وتعبيره (العملية التعليمية) مستهجنٌ وغير مستساغ ، وإخَالُهُ من التأثر بلغة الفرنجة ، وإذا عرضته على قواعد اللغة لَفَظَتْهُ ، فإن (العملية) مصدر صناعي صيغ بإضافة الياء المشدودة والتاء إلى مصدر الثلاثي (عمل) ولا معنى هنا من وراء هذه الزيادة ، بل لا معنى في الجملة أصلاً لهذه (العملية) وَدَعْكَ مما في الأسلوب من وصف الشيء بنفسه ، فإن العملية هي التعليمية ، وخير من هذا أن يقول : ... ممارستي للتعليم .

★ وقال في المقدمة أيضاً (ص ٩) : ((ومعاشرة أبنائنا الطلاب . ، **والتعرف على** مستواهم في التحرير والتعبير)) اهـ .

والفصيح أن يقول : وتعرّف مستواهم ، أي التدرج في معرفته شيئاً فشيئاً ، كما تقول : تحفّظت القرآن ، وتفهّمت المشكلة ، وفي اللسان (عرف) : ((وتعرّفت ما عند فلان ، أي تطلبت حتى عرفت)) اهـ .

ولا معنى في كلام المؤلف للحرف (على) الموضوع في اللغة لإفادة الاستعلاء ، وليس هذا الحرف مما يستعمل مع الفعل (عرفت) ومايتصرف منه .

★ وقال في المقدمة أيضا (ص ٩) : ((فضلاً عن أنني أعيش في مجتمع **تقوم** فيه أجهزة الإعلام المختلفة من إذاعة مسموعة أو مرئية أو صحافة ، **تقوم فيه بدورها** الفعال)) اهـ .

وفي هذه العبارة :

— تكرير الجملة (تقوم فيه) من غير حاجة إلى توكيد ، فليس القصد هنا إلى التوكيد بالجملة .

— استعمال (الدَّوْر) في قوله (بِدَوْرِها) في غير معناه المعجمي ، فهو هنا بمعنى المهمة والعمل ، ولم يرد ذلك في كتب اللغة ، وخير من هذه العبارة أن يقول : فضلاً عن أنني أعيش في مجتمع تؤدي فيه أجهزة الإعلام المختلفة عملها المؤثر .

★ وقال في (ص ٦٥) : ((وتستثنى خضراوات من هذه القاعدة عند **اعتبارها** اسماً لا صفة)) اهـ .

فاستعمل (الاعتبار) بمعنى العدّ والحُسْبَان ، وهو في اللغة بمعنى أخذ العبرة والموعظة ، وكرر هذا الاستعمال في تصريف هذا المصدر في (ص ٧١ وص ١٠٤) ، وقد خطأ هو هذا الاستعمال في كتابه فقال في باب ((صواب لبعض أخطاء متنوعة)) (ص ١٠٠) : قولهم : يعتبر عملك جميلاً — خطأ ، صوابه : يعدّ عملك جميلاً .

★ واستعمل (**حيث**) في إفادة التعليل والسبب ، فقال : ((والصواب أن تقول : إذا قصرت وجب عقابك ، حيث لا تتصل اللام بجواب إذا)) اهـ .

وتكرر هذا الاستعمال عنده في مواضع كثيرة منها الصفحات : ١٩ - ٢٠ - ٢٤ - ٢٦ - ٢٧ - ٢٨ - ٣١ - ٣٢ - ٣٤ - ٤٣ - ٦٤ - ٦٨ - وغيرها .

والمعروف في كتب اللغة والنحو أن (حيث) ظرف للمكان مبني على الضم على المشهور ، وجوّز الأخفش وقوعها للزمان ، ولم يرد عن أحد أنها تستعمل لإفادة التعليل (انظر : همع الهوامع ٣/٢٠٥ وما بعدها ، ولسان العرب : حيث) .

أما بعـد :

فإن هذه النَّقَدات اللغوية لا تُغَضْغِضُ كثيراً من جهد مؤلفنا المشكور ، ولا تنال من شرف غايته ، ونُبْل غرضه ، وهو خدمة الفصحى والسهر عليها والرغبة في ذيوعها نقيةً خالصةً من كل عيب ، وأنا حين درست المسائل اللغوية التي وردت في كتابه ، وعايرتها بمعيار الصواب والخطأ إنما امتثلتُ لدعوته التي جاءت في مقدمة طبعته الثانية : ((آملاً أن يظل كتابي (من الأخطاء الشائعة في النحو والصرف واللغة) محلَّ اهتمام العلماء والإعلاميين والدارسين ، بل وعامة القراء الذين ما زلت أنتظر آراءهم حتى يصدر الكتاب في صورة أقرب إلى الكمال المنشود في طبعته الثالثة بإذن الله .. وما زال صدري يسع كل رأي ويرحب به)) . ومن قبل ذلك دعوته في مقدمة طبعته الأولى وفيها : ((والعمل متواضع لا أدعي فيه كمالاً ، بل أطلب النقد والتوجيه من أساتذتنا وزملائنا وقرائنا)) .

وهأنذا قد لَبَّيْتُ ، مدفوعاً بحب العربية والدارسين لها ، ولاسيّما من يعرض لتصحيح الفاسد وتقويم المعوجّ ، وأسأل الله لنا جميعاً التوفيق ..

المؤلّفات المفتوحة لأمبرتو إيكو

حمادة إبراهيم

أستاذ مشارك في معهد تعليم اللغة العربية
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

من الأوفق أن نبدأ هنا بتحديد المصطلحات . فالمقصود بالمؤلفات أي عمل إبداعي : موسيقي أو شعري أو أدبي أو فني . والمقصود بصفة الانفتاح : كون هذا العمل **منتهياً** لكنه غير كامل ؛ فهو «مفتوح» أو قابل لكل تفسير أو شرح أو إضافة من جانب المستقبل أو «المستهلك» .

وهذا الكتاب الذي بين أيدينا كانت نواته الأولى بحثاً بعنوان : (مسألة المؤلفات المفتوحة) قدّمه المؤلف في مؤتمر دولي للفلسفة ، ثم أعاد صياغته بعد أن تعمق في الموضوع وأضاف إليه جوانب أخرى بحيث أصبح على النحو الذي يتضمنّه هذا الكتاب .

والفكرة الأساسية التي يعتمد عليها هذا المؤلف هي فكرة يجمع عليها معظم المشتغلين بالذوق الفني والأدبي في هذا العصر : فهم يرون أن العمل الفني **رسالة غامضة** بصورة رئيسية ، وهو مجموعة من المعاني لشيء واحد . أو بتعبير علم اللغة الحديث عدة مدلولات لدال واحد . وهذه المعاني المتعددة لا تتضارب ولا تتعارض ، وإنما **تتعايش** داخل العمل الواحد .

واذا كانت الموسيقى هي أم الفنون ، فلنبدأ بها ولنعرض منها بعض الأمثلة :

في معرض الحديث عن إحدى المصنفات الموسيقية بعنوان (تبادلات) أو (متغيرات) SCAMBI للموسيقي الفرنسي (هنري بوسّور) ، يؤكد الموسيقي أن المصنف ليس قطعة محددة ، بقدر ما هو مجال للاحتمالات المتعددة أو دعوة للانتقاء والاختيار . **فهذا** المصنف يتألف من ستة عشر جزءاً ، **كل جزء منها يمكن أن يُقرن بجزأين آخرين** ، دون أن ينال ذلك من التتابع أو التواصل المنطقي للمصنف جملة .

والمثال الثاني ، يقدمه لنا (لوتشيانو بيريو) في أحد مصنفاته بعنوان (متتابعات بالناي) . فالعازف يجد أمامه لُحمة أو نسيجاً موسيقياً تتوالى فيها الأصوات بترتيب واحد وشدة ثابتة . إلا أن **زمن كل نوتة موسيقية يخضع لتقدير العازف** ، داخل إطار زمني عام محدد .

هذان المثالان المختاران من بين كثير من الأمثلة يؤكدان الفارق الكبير بين مفهوم الموسيقى الحديث ، وذلك المفهوم القديم الذي جرى عليه العرف في الماضي . فالمصنّف الموسيقي (الكلاسيكي) أو التقليدي يتكون من مجموعة من الأصوات وضعها المؤلف بشكل **ثابت** ، وهو يترجمها إلى رموز متعارف عليها ليقوم العازف بتنفيذها **حرفياً بقدر الإمكان** وبالشكل الذي اختاره المؤلف نفسه . أما المصنفات الموسيقية الحديثة التي ذكرنا مثالين لها ، **فهي** على النقيض من ذلك ، لا تمثل **رسالة نهائية محددة** ، أو أشكالاً ثابتة لا رجعة فيها .

فنحن لسنا بصدد مؤلفات ينبغي تقديمها وعرضها حسب نمط تركيبي أو بنوي محدد ، وإنما نحن أمام مؤلفات مفتوحة يكملها العازف في ذات الوقت الذي يقوم فيه بعزفها أو تأديتها .

ولا ينحصر مفهوم (الانفتاح) على مرحلة العزف أو الأداء ، وإنما يتطرق علماء الذوق والجمال إلى الحديث أيضاً عن الانفتاح لتوضيح ما يجري كذلك حين الاستقبال أو الاستهلاك ، أي على مستوى المتلقي للعمل الفني أو المستمع في مجال الموسيقى . فهم يفرّقون بين العمل الفني **التام** الذي ما على المتلقي له إلاّ أن يقبله بالصورة التي وضعها وحددها المؤلف ، ويذوقه ويفهمه على النحو الذي أراده المؤلف ، وبين العمل الفني **المفتوح أو الناقص** ، الذي ينفعل به كل متلق أو مستهلك ، بصورة شخصية تتفق مع ثقافته الشخصية ، وذوقه الشخصي ، ومعتقداته الشخصية التي توجه متعته أو استمتاعه بهذا العمل وجهة شخصية ، تختلف من إنسان لإنسان . والحقيقة أن العمل الفني تزداد قيمته الجمالية بقدر ما تتعدد النظرات إليه ، وبقدر ما يثير من مفاهيم ، وبقدر ما يوحي من تأثيرات . ومن ثم ، فإن الاستمتاع بالعمل الفني يتأتى حينا يضفي المتلقي عليه بعداً شخصياً ، أو تفسيراً جديداً ، أو مفهوماً مبتكراً .

والحقيقة أن أهمية العنصر الشخصي ، أو الذاتي في الذوق الجمالي الذي يستلزم تأثيراً متبادلاً بين الأعمال الفنية ، بصفتها معطيات موضوعية ، وبين الأشخاص الذين يتلقون هذه الأعمال . هذه الأهمية لم تخف على القدماء . فهذا (أفلاطون) يسجل أن المصورين لا يصورون الأشخاص ، بالضبط ، وإنما من خلال الزاوية التي سيُنظر منها إليهم . وكان المصورون القدماء يتصورون لوحاتهم منظوراً إليها من نقطة معينة . ولكن الواقع أن مثل هذا التصور عند القدماء لا يؤيد نظرية الانفتاح في العمل الفني ، بل على العكس ، فتحديد النظرة أو زاوية النظر إلى العمل يحدّ من حرية المتلقي ويحصره في طريقة واحدة يتلقى بها هذا العمل ، وهي الطريقة **الوحيدة الصحيحة** التي اختارها له الفنان .

تفسير المتلقي لا يخرج عنها ، ومن ثم يكون خاضعاً لرقابة المؤلف .

والحقيقة أن مفهوم الانفتاح بمعناه الحديث نجده جلياً في فن (الباروك) فالمعروف أن الفن الباروكي هو نقيض الثبوت والوضوح والكمال ، وغير ذلك من الصفات التي تميز الفن في عصر النهضة الكلاسيكي . فالتشكيل الباروكي تشكيل حركي (ديناميكي) يهدف إلى عدم التحديد ، وبالذات في التأثير ، وذلك عن طريق الامتلاءات ، والفراغات ، والضوء والظل ، والانحناءات ، والخطوط المكسّرة ، والزوايا المتداخلة المختلفة ، بما يوحي بالامتداد والانطلاق في الفضاء ... وبذلك لم يعد العمل الفني ذلك العمل الذي نقف أمامه لنتأمل جماله الواضح المحدد ، وإنما أصبح العمل الفني سراً علينا أن نكتشف كنهه ومعناه ، أو عملاً واجب الأداء ، أو مثيراً للخيال . وهذا ما خلص إليه النقد المعاصر . كل ما هناك أن علم الجمال صاغ هذه الخلاصات في قواعد وقوانين .

وكان لابد من انتظار الصنف الثاني من القرن التاسع عشر وأواخر الرومانسية ، وكان لابد من انتظار الرمزية ، لكي نرى نظرية **المؤلفات المفتوحة** واحضة جلية . إن الشاعر (فيرلين) في ديوانه (فن الشعر) يضع النقاط على الحروف ، حينما يضع **الموسيقى فوق كل شيء** في الشعر ، ويدعو إلى **الغموض** ، إلى ((**مزيد من الغموض**)) .

ويذهب (مالّلارميه) إلى أبعد من ذلك في هذا الطريق حينما يقول : «إن تسمية الشيء في القصيدة تسلبها ثلاثة أرباع المتعة ، التي تكمن في السعادة التي نشعر بها ونحن نحرزه شيئاً فشيئاً» ، إذن على الشاعر أن : «يوحي بما يريد ... فهذا هو الحلم» . على الشاعر أن يتجنب أي تفسير وحيد يفرض نفسه على القارىء :

«إن الفراغات البيضاء في الصفحة وثنايا الطباعة وترتيب النص الشعري كل ذلك يساهم في خلق حالة من الغموض حول الكلمة ، وإضفاء الإيحاءات المختلفة عليها» .

مثال آخر نجده في العصور الوسطى التي شهدت نشوء نظرية التمثيل أو الرمز أو المجاز (ALLEGORISME) والتي أصبح بمقتضاها الكتاب المقدس (ومن بعده الشعر والفنون التشكيلية) يمكن أن يفسّر بأربع طرق : الحرفية ، والمجازية ، والأخلاقية ، ثم الصوفية . وبذلك أصبح العمل الفني يتمتع بنوع من الانفتاح . وأصبح كل قارىء أو متلق أمام عدة مداخل يلج منها العمل ، وأمام عدة مفاتيح يختار أفضلها في رأيه . ولكن الانفتاح هنا أيضاً محصور داخل عدد من الاحتمالات المحددة مسبقاً ، وهي الطرائق الأربع ، بحيث إن

هذه المرة ، أصبح العمل الفني مفتوحاً عن عمد ، وعن قصد ، لتلقي ردود أفعال القراءة الحرة . وهو ما تحققه الرمزية . ولعل أعمال (كافكا) هي أفضل مثال للعمل المفتوح . فالقضية ، والقصر ، والانتظار ، والإدانة ، والمرض ، والمسخ ، والتعذيب ، كلها لا ينبغي أن نأخذها بمعناها الحرفي . فعند (كافكا) ، وعلى النقيض من مجازيّة القرون الوسطى ، فإن المعاني المستترة لا حصر لها ، ولا تحدها أية موسوعة لغوية ، ولا تعتمد على أي نظام في هذا العالم . إن التفسيرات الوجودية واللاهوتية والإكلينيكية والنفسية

للرموز التي تحفل بها مؤلفات (كافكا) لا تغطّي كل منها إلا جانباً واحداً من الاحتمالات الكثيرة التي تعرضها هذه المؤلفات . إن هذه المؤلفات لا تنضب ولا تنتهي ، وتظل مفتوحة لأنها **غامضة** ، لا تفتأ تثير النقاش وتطرح الأسئلة .

وجانب كبير من النقد الحديث يرى أن الأدب المعاصر يعتمد في بنائه على الرمز ، حتى ولو كان من الصعب الجزم بأن الكاتب أو الشاعر يعمد إلى الرمزية أو إلى الغموض . وقد حدا ذلك بأحدهم وهو (تندال) إلى تحليل روائع الأدب المعاصر ومحاولة التدليل ، نظرياً وعلمياً ، على صحة مقولة الشاعر (بول فاليري) الشهيرة التي يُرجع فيها كل أدب عظيم إلى الرمز ، ويؤكد على تعدد المفاهيم للمتن الواحد ، حينما قال : ((ليس هناك معنى حقيقي للنص)) . بل إن (تندال) ذهب إلى حد القول بأن العمل الفني أشبه بالآلة ، وكل منا ، بما في ذلك الكاتب نفسه ، يستطيع أن ((**يستعملها**)) كما يحلو له ، وعلى ذلك ، وفي مذهب هذا النوع من النقاد ، فإن العمل الأدبي ((**معين لاينضب من المعاني**)) .

إن أدب الانجليزي (جيمس جويس) يقدم الدليل القاطع على ذلك : ((فقوة (أوليس) بدلاً من أن تتخذ وجهة محددة ، تنتشر في مختلف الأبعاد بما في ذلك البعد الزمني ، حول نقطة واحدة . إن عالم (أوليس) تحركه حياة معقدة لا تنضب . فهذه الرواية أشبه بالمدينة نعود إليها فنكتشف وجوهاً جديدة ، وطبائع جديدة ، ونقيم علاقات جديدة ....)) .

وهذا الناقد (إدمون ويلسون) يتحدى أي ذاكرة إنسانية تستطيع بعد القراءة الأولى ، أن تلم بأطراف (أوليس) : ((وحينما نعود إلى قراءتها نستطيع أن نبدأ القراءة من أي مكان ، وكأننا أمام مدينة كبيرة ، يمكننا أن ندخلها من أي جهة من جهاتها)) ومصداق ذلك أن (جويس) نفسه أكد أنه كان يكتب أجزاء هذا الكتاب المختلفة في وقت واحد .

ومن الخطأ أن نعتقد أن معنى الانفتاح في العمل الفني ينحصر في حدود الإيحاءات الغامضة والإثارات العاطفية ، بل إن هذا الانفتاح يتجلى أيضاً على مستوى القضايا والأفكار المادية .

فهذا مسرح (بريخت) يكتفي بأن يعرض لنا ، على شاكلة الملاحم ، ودون تدخل من جانب الكاتب ، الأحداث دون أن يقترح لها حلولاً ، وعلى المشاهد أن يخلص إلى النتائج النقدية لما يعرض أمامه . إن مسرحيات (بريخت) تنتهي دائماً بنهايات غامضة . وأوضح مثال على ذلك (غاليليو) غير أن الغموض هنا ليس «الغموض المَرَضِيّ» أو غموض الجزع ، وإنما هو غموض مادي ملموس ، هو غموض الوضع الاجتماعي ، أو حياة المجتمع بصفتها مواجهة للمشكلات والقضايا التي تدعونا إلى البحث لها عن حلول . فالعمل الفني هنا مفتوح على طريقة الجدل والحوار والمناقشة . تنتظر الحل ، نريده ، بل نرجوه ، ولكن الحل ينبغي أن يتفجّر به وعي الجمهور ، وبذلك يصبح ((**الانفتاح**)) الفني أداة تربوية ثورية .

وإذا كنّا في الأمثلة السابقة قد عرضنا أعمالاً فنية يعتمد الانفتاح فيها على تعاون نظري ، ذهني ، من جانب المتلقي الذي عليه أن يضع تفسيراً لعلم فنّي ((**جاهز**)) ، وله بنية معينة محددة (حتى لو كانت هذه البنية تسمح بتفسيرات لا حصر لها) ، فإننا في حالات أخرى (ومنها مصنف ((تبادلات)) للموسيقي الفرنسي بوسّور الذي سبق أن قدمناه) ، نجد أنفسنا مدعوين إلى تعاون **شبه مادي** مع المؤلف ، فنحن نساهم في صياغة الغمل الفني مع المؤلف . وهذا يقودنا إلى الحديث عن نوعية أخرى من الأعمال الفنية يقوم المتلقي لها بالمشاركة في بنيتها . ومثل هذه الأعمال يمكن أن نطلق عليها : **الأعمال المتحركة** .

ولعل من الأوفق أن نسوق بعض الأمثلة من الفنون التشكيلية ، فهي بطبيعتها أنسب لمثل هذه الأعمال المتحركة ، ومن ثم أكثر وضوحاً في حالة التمثيل . فنحن نشاهد في أيامنا هذه أشكالاً فنية تملك قدرة حركية تتيح لها أن تعيد تشكيل نفسها أمام عيون المتفرجين .

وفي كلية العمارة بجامعة (كاراكاس) أوضح مثال على هذه الأعمال . فالكلية يطلقون عليها : **مدرسة الإبداع اليومي** : والحقيقة أن القاعات في هذه الكلية مزودة بأطر متحركة ، بحيث يستطيع الأساتذة والطلاب تكييف الظروف التي يعملون فيها مع موضوع العمارة أو التعمير الذي يقومون بدراسته ومناقشته . وبذلك لا يفتأون يغيرون ويبدلون في بنية الكلية الداخلية .

وهناك مثل أقرب إلى واقعنا ، يتمثل في التصميمات الهندسية الحديثة التي تتيح إنتاج العديد من الأعمال المتحركة كالكراسي والمصابيح التي يمكن تركيبها في أشكال مختلفة ، وكذلك المكتبات وبعض قطع الأثاث الأخرى التي يمكن للإنسان العصري أن يقوم بتركيبها بالشكل الذي يناسب ذوقه ، والمكان الذي يعيش فيه ، والمساحات والفراغات المتاحة له ، وحسب حاجاته الخاصة .

أما في مجال الأدب ، **فإن أوضح مثال على الأعمال المتحركة هو** (الكتاب) لصاحبه الشاعر الفرنسي (مالّارميه) . **هذا العمل** الكبير الذي كان من المفروض أن يمثل خلاصة إنتاج الشاعر ، بل

إنجاز العالم أجمع **فالعالَم لم يوجد إلا لإخرج كتاب** على حد قول (مالّلارميه) نفسه . فعلى الرغم من أنه ظل يعمل فيه طول حياته ، إلا أنه لم يكن له أن ينجزه . كل ما وصلنا منه مسودات . ومع أن الدوافع الميتافيزيقية أو الغيبية التي دفعت الشاعر إلى الشروع في هذا الكتاب ، قد لا نقتنع بها ، فإن الذي يهمنا هنا هو البنية الحركية للكتاب ، تلك البنية التي كانت تسعى إلى تحقيق مبدأ شعري فريد ، مؤدّاه أن الكتاب الذي يستحق أن يحمل هذا الاسم **لا تكون له بداية ولا نهاية** : ((**الكتاب لا يبدأ ولا ينتهي ، كل ما هناك أنه يبدو كذلك** .))

كانت الغاية أن يكون (كتاب) مالّلارميه ((صرحاً مفتوحاً متحركاً ... يتحقق له ، عن طريق الصرف والنحو وترتيب الطباعة ، عدد كبير من العناصر التي يمكن أن تتخذ أشكالاً مختلفة ، حيث تربط بينها علاقات طليقة غير محدّدة ولا مقيّدة .

وكان من المفروض ألا تتوالى صفحات (الكتاب) في ترتيب محدّد ، وإنما تخضع لأنماط مختلفة من التجميع حسب نظام من الإبدال أو التبديل . فيتألف الكتاب من سلسلة من الملازم المنفصلة ، بحيث يتم كتابة الصفحة الأولى والأخيرة من كل ملزمة على ورقة واحدة كبيرة مطوية نصفين ، تمثلان أول الملزمة وآخرها ؛ أما في الداخل ، فعن طريق تحريك الأوراق **وتبديلها يمكن الحصول** على كل التنويعات الممكنة ، ولا تخلو إحداها من معنى ، هذا بالإضافة إلى أن بنية الجمل والكلمات ، بما تتضمنه من قوة إيحاء ، وبما تستطيع أن تعقده مع غيرها من الجمل والكلمات من علاقات إيحائية ، تسمح بكل الإبدالات . وهكذا ، ((فالبرغم من الطباعة الثابتة ، يصبح الكتاب متحركاً)) . ((وبذلك ، كان هدف (مالّلارميه) أن يخرج كتاباً لا يفتأ يتغيّر ويتبدّل ويتجدّد بين يدي القارىء . ومع مثل هذه البنية لا يمكن أن نتصور فقرة واحدة من هذا الكتاب يكون لها مفهوم واحد أو معنى وحيد بمنأى عن تأثيرات السياقات .

الرسائل الثقافية

رسالة سورية الثقافية

محمد نور يوسف

متفرقات

• **باحث سوري يتوصل إلى استخدام الحروف العربية في الحاسبات الالكترونية :**

تمكن الباحث السوري مشعان الجاسم من التوصل إلى استخدام الحروف العربية في الحاسبات الالكترونية السوفيتية .

ومشعان الجاسم (مواليد البوكمال عام ١٩٥٧) بدأ دراسته لتقنيات الحاسبات الالكترونية منذ عام ١٩٧٧ م ، في معهد البوليتكنيك بطشقند عاصمة جمهورية أوزبكستان السوفيتية ، وتخرج عام ١٩٨٣ م . وبعد سنوات من الأبحاث المتواصلة بقصد استخدام الحروف العربية في برمجة الحاسبات الالكترونية السوفيتية نجح الباحث في إظهار صورة الحروف العربية على شاشة الحاسب الالكتروني . وقد مثل الباحث أمام المجلس العلمي المتخصص في المعهد المذكور ليدافع عن نتائج بحثه لنيل درجة الدكتوراه في العلوم الألكترونية ، وبعد أن عرض نتائج أبحاثه أمام القاعة التي غصت بالحضور جرت مناقشة واسعة من قبل أكثرية الحضور عبر من خلالها المتحدثون من معهد الكيرنيتيكا ومعهد الاستشراق التابع للمجمع العلمي الاوزبكي عن رغبتهما في التعاقد مع الباحث العربي السوري لإنتاج برنامج يستخدم اللغتين العربية والروسية .

وقد أعلنت لجنة التصويت بعد فرز أصوات أعضاء المجلس منح الباحث درجة الدكتوراه بإجماع الأصوات . (تشرين ٤١٨٣ — ١٩٨٨/٥/٢٩ م) .

• **عودة مجلة «الكاتب الفلسطيني» إلى الصدور :**

يعكف فرع سورية لاتحاد الكتاب والصحفيين الفلسطينيين على العمل في هذه الأيام على إصدار العدد الأول من مجلة «الكاتب الفلسطيني» التي توقفت عن الصدور في مطلع الثمانينات . ويشارك في العدد الأول نخبة من الكتاب الفلسطينيين والعرب . (الأسبوع الأدبي ع ١١٨ الخميس ١٩٨٨/٦/٢ م) .

• **جمعية الشعر تكرم علي الجندي :**

قامت جمعية الشعر في اتحاد الكتاب العربي بدمشق بتكريم الشاعر علي الجندي وذلك بإقامة لقاء نقدي حول تجربته الشعرية في يوم السبت ١٩٨٨/٥/٢٨ م . شارك في هذا اللقاء الأساتذة : يوسف سامي اليوسف ، ممدوح عدوان ، علي كنعان ، محمد جمال باروت ، وليد مشوح ، فؤاد كحل ، عبد القادر الحصني ، جليل حيدر ، مصطفى أخضر .

تناولت الدراسات والمداخلات عالم علي الجندي الشعري وأثره في حركة الحداثة الشعرية وأعقب ذلك حوار بين الشاعر المحتفى به والجمهور .

وفيات

• **حسين خطاب : شيخ القراء بدمشق**

ولد في دمشق في إحدى حارات حي الميدان العريق عام ١٩١٧ م . وما إن بلغ سن التمييز حتى انتسب إلى بعض كتاتيب المحلة ، وتلقى مبادىء القراءة والحساب والكتابة ، وتعلم ألفاظ القرآن الكريم ومعانيه .

وفي إحدى المحطات المهمة من حياته توقف عند جامع منجك الكائنة في الجزماتية ، حيث التقى بالعالم المشهور حسن حبنكة ، فأخذ منه العلم ، وتلقى في ذلك المسجد شتى صنوف العلوم الدينية والأدبية ، من تفسير وحديث ومصطلح وفقه وأدب وشعر .. وتمكن من حفظ القرآن الكريم وهو شاب ، ثم وجهه شيخه إلى جمع القراءات العشر ، فجمعها عن طريق الشاطبية والدرة على شيخ القراء أحمد الحلواني ، ثم جمعها أيضاً عن طريق الطيّبة على الشيخ عبد القادر قويدر في إحدى قرى غوطة دمشق تسمى قرية عربين . كان رحمه الله مهتما بالعلم والتدريس وإصلاح ذات البين وقضاء حاجات الناس والاهتمام بمجالس العلم .

وفي أيام الوحدة بين سورية ومصر عمل في حقل السياسة ، وقد انتخب لمجلس الأمة مرتين بأكثرية الأصوات . أصيب بنوبة قلبية منذ أربع سنوات مما اضطره للذهاب إلى مشفى الحسين الطبي في عمّان ، وأجريت له عملية جراحية ، شفي من مرضه ، ثم عاد إلى دمشق ، ومارس أعمال الخير . ونشر تعاليم الإسلام كعادته ، ولم يأخذ قسطه من الراحة ، مما أدى إلى عودة المرض إليه ثانية . فذهب إلى عمان ، لكن أجله كان ينتظره هناك قبل إجراء العملية الجراحية له ، توفي في عمان ظهر يوم الجمعة ١١ شوال ١٤٠٨ هـ ، ثم نقل جثمانه إلى دمشق ليشيعه موكب غفير من المسلمين .. مودعاً عالما جليلا من أهم علماء هذا البلد الكبير .

ومن أهم مؤلفاته : إتحاف حرز الأماني برواية الأصبهاني . نشرته دار الفكر بدمشق عام ١٤٠٨ هـ ، ويقع في ٤٧٨ ص ، وهو معروض في هذه الراسلة (انتهى ملخصاً مما كتبه الأستاذ محمد أديب كريم راجح لهذه الرسالة) .

• **فواز الساجر :**

يوم الإثنين ١٦ أيار ١٩٨٨ م رحل الفنان المخرج الدكتور فواز الساجر إثر نوبة قلبية .

والدكتور الساجر ، واحد من أهم الأسماء المسرحية في القطر ، ولد عام ١٩٤٨ م في منبج بحلب .

دَرَسَ المسرح في الاتحاد السوفياتي وتخرج من أحد معاهده عام ١٩٧٢ م ، أخرج عدداً كبيراً من المسرحيات .. على مسارح الجامعة ، والعمال ، والمسرح الوطني الفلسطيني والمسرح القومي ودرّس في المعهد العالي للفنون المسرحية في دمشق منذ أن أسس .

حصل على درجة الدكتوراه في الإخراج المسرحي عام ١٩٨٦ م من الاتحاد السوفيتي .

وكانت مسرحية (سكان الكهف) لوليم سارويان .. آخر أعماله الفنية ،

حيث قدمت على مسرح القباني ، ... وعدَّها النقاد افتتاحاً جاداً للموسم المسرحـــي في القطـــر (الأسبـــوع الأدبي ع ١١٧ ٢٦/٥/١٩٨٨ م) .

محاضرات وندوات

• الوحدة .. والتاريخ في الملتقى الفكري الأول بحمص :

أقيم على مسرح دار الثقافة بحمص ندوة (الملتقى الفكري) في يوم السبت ٢٨/٥/١٩٨٨ م وتضمنت الندوة عدة أبحاث تدور في مجملها حول قضية الوحدة العربية والتاريخ العربي . قدم في اليوم الأول من الندوة طيب تيزيني بحثاً بعنوان «البحث في التاريخ العربي» تلاه في اليوم الثاني بحث آخر قدّمه حامد خليل عميد كلية الآداب بجامعة دمشق بعنوان «كيف نقرأ التراث؟» وفي اليوم الثالث قدم محمود عمر السباعي رئيس الجمعية التاريخية السورية بحثاً بعنوان (نحو رؤية جديدة للتاريخ العربي) وفي اليوم الرابع قدم جرجس فحول (الحضارة العربية القديمة وتمازج الثقافات) واختتمت الندوة ببحث حول (الوحدة العربية والقضية الفلسطينية ــ الجذور والتاريخ) قدمه حسني طعمة ومحمد نجيب بكفاز .

• محمد علي جناح في ندوة علمية :

قامت مكتبة الأسد والسفارة الباكستانية بعقد ندوة علمية حول مؤسس الباكستان محمد علي جناح في يوم الأحد ١٩/٦/١٩٨٨ م ، وذلك في قاعة المحاضرات بمكتبة الأسد ، أما برنامج الندوة فكان كالتالي :

١ ــ الافتتاح بتلاوة من آي الذكر الحكيم .
٢ ــ كلمة السفارة الباكستانية ، للسفير أشرف قاضي .
٣ ــ كلمة عبد رب النبي اصطيف .
٤ ــ كلمة محمد رضوان الداية .
٥ ــ كلمة سهيل زكار .

دوريــات

• الرائد العربي :

صدر العدد العشرون من مجلة «الرائد العربي» . نيسان ، أيار ، حزيران ١٩٨٨ م . وهي مجلة فصلية تعنى بشؤون التأمين وإعادة التأمين ، تصدرها شركة الاتحاد العربي لإدارة التأمين ــ دمشق .

يرأس تحريرها عبد اللطيف عبود .

تكون العدد من ٩٦ ص . من أبحاث هذ العدد :

ــ أمان إعادة التأمين / مجدي مقار .
ــ عوامل حدوث الكارثة / إعداد عبد اللطيف عبود .
ــ التقرير الاقتصادي العربي الموحد / عبد الرازق حسن .
ــ مشكلات الإدارة في البلدان النامية/شمس الدين .

بعد هذه الأبحاث ، جاء بحث مستقل بعنوان : «مرض الإيدز واقع جديد أمام شركات التأمين» .

• الطاقة والتنمية :

صدر العدد الثاني والأربعون من مجلة «الطاقة والتنمية» أيار ١٩٨٨ م . وهي مجلة تعنى بدراسة مصادر الطاقة التقليدية والمتجددة وشؤون التنمية والبيئة والري .

يرأس تحريرها علي جيران . واحتوى هذا العدد أهم أخبار الطاقة والتنمية وأخبار الطاقة الذرية بالإضافة إلى أهم المنجزات الاقتصادية والاجتماعية في سورية ١٩٨٧ م .

من أبحاث هذا العدد :

ــ النهب الاستعماري للثروات النفطية العربية / مصطفى عبد الله .
ــ الطاقة في العالم والوضع الراهن وتنبؤات المستقبل (٢)/أحمد مصطفى .
ــ الجيولوجيا ودورها في التنمية / محمد رقية .
ــ آفاق استغلال الطاقة الجيوحرارية / علي حمزة .

بعدها استعرضت المجلة أخبار العلم والتكنولوجيا والمؤتمرات والمعارض الدولية حول الطاقة لعام ١٩٨٨ م .

تكون العدد من ٦٤ ص .

• الفكـر العسكـري :

صدر العدد الجديد من مجلة «الفكر العسكري» وهو العدد الثالث من السنة السادسة عشرة ، رمضان ، شوال ١٤٠٨ هـ . أيار ، حزيران ١٩٨٨ م . وهي تصدر كل شهرين وتبحث في الاستراتيجية والتكتيك ، تصدرها الإدارة السياسية في الجيش العربي السوري .

من مواد هذا العدد :

ــ القوات البحرية الأمريكية في الحرب الحديثة / اللواء المتقاعد وفيق بركات .
ــ من الدفاع إلى الهجوم الاستراتيجي المعاكس / ترجمة الملازم يوسف سعدون .
ــ الاتجاهات الأساسية لتطوير الدفاع الجوي / ترجمة ناظم المفتي .
ــ طرائق عمل قوات الدفاع الجوي / ترجمة العقيد الركن علي سلمان يوسف .

يرأس تحريرها العماد مصطفى طلاس وزير الدفاع .

تكون العدد من ١٤٥ ص .

• المعلم العربي :

صدر العدد الأول لعام ١٩٨٨ من مجلة «المعلم العربي» . السنة الحادية والأربعون . تصدر المجلة وزارة التربية كل ثلاثة أشهر ، رئيسها عيد عبده معاون وزير التربية . تأتي أبحاث هذه المجلة عادة تحت العناوين العريضة التالية : (الفكر التربوي ــ الفكر القومي ــ الأدب والثقافة ــ التراث العربي ــ تحقيقات ــ الفكر العلمي) .

وهذا بعضٌ من أبحاث العدد :

ــ نحو نظرية لاكتساب اللغة / ترجمة عبد عبود .
ــ المقدمات التربوية ــ النفسية لبناء اللغة وتعويض الصم / غسان أبو فخر .
ــ أسس تقويم التدريب التربوي / خالد الأحمد .
ــ أهمية القصة الطفلية / عيسى الشماس .
ــ ديوان الحماسة لأبي تمام / محمد علي دقة .
ــ إطلالة على السودان النظام التعليمي فيه / محمود عصام الميداني .
ــ لغة البيسك / إعداد عازار معروف الشايب .

تكون العدد من ١٦٠ ص .

رسـائل جامعيـة

• **الالتزام في الرواية السورية بين عامي ١٩٤٨ و ١٩٧٣ م/ماجستير .**

تقدم بها الباحث الجزائري العلاء بن ساعة ــ بإشراف عزيزة مريدن ــ إلى قسم اللغة العربية بكلية الآداب في جامعة دمشق .

نوقشت الرسالة في يوم الإثنين ١٣ حزيران ١٩٨٨ م .

• **التطور الدلالي في مصنفات اللحن حتى القرن العاشر الهجري / دكتوراه**

تقدم بها أحمد محمد قدور بإشراف مازن مبارك إلى قسم اللغة العربية بكلية الآداب في جامعة دمشق .

نوقشت في ١٩٨٨/٤/٢٥ م .

والباحث أحمد محمد قدور من مواليد حلب ١٩٤٨ م ، حصل على إجازة في اللغة العربية عام ١٩٧٢ م بدرجة جيد ، ثم حصل على دبلوم دراسات لغوية بدرجة جيد جداً عام ١٩٨٢ م من جامعة حلب ، ثم ماجستير من حلب أيضاً بدرجة جيد جداً عام ١٩٨٤ م . وأعلنت لجنة الحكم بعد المناقشة منح الباحث درجة الدكتوراه بدرجة جيد جداً .

• **الحيوان في الشعر الجاهلي / دكتوراه .**

تقدم بها الباحث حسين علي جمعة بإشراف عبد الحفيظ السطلي إلى قسم اللغة العربية بكلية الآداب بدمشق .

نوقشت في ١٩٨٨/٥/٣٠ م .

والباحث حسين علي جمعة من مواليد يبرود ١٩٤٩ م ــ سورية . حصل على دبلوم معهد إعداد المعلمين ١٩٦٩ م ، ثم حصل على إجازة في اللغة العربية من جامعة دمشق عام ١٩٧٨ م ، ثم حصل على دبلوم الدراسات الأدبية العليا من جامعة دمشق عام ١٩٧٩ م ، ثم حصل على الماجستير في الآداب من جامعة دمشق أيضاً عام ١٩٨٣ م ، ثم سجل الدكتوراه عام ١٩٨٥ م ، وقد عمل مدرساً في ثانويات دمشق منذ عام ١٩٧٠ م ثم عمل في قسم اللغة العربية بجامعة دمشق من عام ١٩٨٣ م إلى ١٩٨٦ م .

وقد جاءت رسالته التي قدمها لنيل درجة الدكتوراه في ثلاثة أبواب وثمانية فصول :

الباب الأول : الحيوان والظواهر الاجتماعية . (ظاهرة التبدي عن العرب وما لدى العرب من معتقدات وأساطير حول الحيوان.) .

الباب الثاني : مشهد الحيوان في العقيدة الجاهلية . جاء هذ الباب في أربعة فصول : (الناقة ــ الخيل ــ الطير ــ الشياه) . والصفات بين الظباء والنساء بالإضافة إلى ذوات الناب والزواحف والحشرات .

الباب الثالث : الظواهر الفنية للحيوان في العقيدة الجاهلية . (الخيال ، القصة ، الأسطورة ــ ا لمثل ، ..) .

أهم المصادر والمراجع التي اعتمد عليها الباحث في رسالته هي دواوين الشعراء بالإضافة إلى المجموعات الشعرية . أو المصادر الأخرى إذا احتاج الأمر إلى ذلك .

مُنح الطالب درجة الدكتوراه بعد المناقشة بدرجة جيد جداً .

• **نظرية الطبع والصنعة في النقد العربي القديم ــ نقد الشعر من القرن الخامس الهجري حتى العصر العثماني / دكتوراه .**

تقدم بها وحيد كبّابة ــ بإشراف عمر موسى باشا ــ إلى قسم اللغة العربية بكلية الآداب في جامعة دمشق .

نوقشت في ١٩٨٨/٥/٢٨ م .

كتب

• علم النفس •

• **الذكاء / آلان سارتون ــ ترجمة محمود سيّد رصاص .ــ دمشق : دار المعرفة ، ١٤٠٨ هـ ــ ١٩٨٧ م ، ٢٧٥ ص .**

الذكاء .. تَقَرَّب من تعريفه عمالقة كثيرون ، وأُعدت له معادلات لقياسه بوصفة وظيفة حيوية ...

ــ هل هناك فائدة تُرجى من الاختلافات الذهنية ؟

ــ ما هو تطور الذكاء عبر مجرى حياة الإنسان ؟

ــ كيف يتطور الذكاء لدى الأطفال ؟

ــ هل هناك علاقة بين المشكلات الجنسية والبحث التجريدي (الميتافيزيقي) ؟

ــ هل تصح تسمية (الأزمة) في المراهقة ؟

ــ ما هو الذكاء الراشد .. والفرق بين المكنية الذهنية والمكنية الالكترونية ؟

ــ ما وضع الرجل في سن الأربعين ؟ وهل يمكن صنع عقول متفوقة ! ؟

تلك هي الأسئلة ... التي يرسم ملامح إجابتها شكل هذا الكتاب .

تصدَّر الكتاب «تاريخ فكرة الذكاء» وهو عرض لآراء عشرين فيلسوفاً وعالماً في النفس... بشكل موجز ومكثف ، أمثال : افلاطون ، سقراط ، أرسطو ، أبيقور ، ليوناردو دافنشي ، ديكارت ، باسكال ، كانط ، شوبنهاور .

• الدين •

• **إتحاف حِرْز الأماني برواية الأصبهاني / حسين خطاب .ــ دمشق : دار الفكر ، ١٤٠٨ هـ ــ ١٩٨٨ م ، ٤٧٩ ص .**

«اقتفيتُ في هذه الرسالة أثر الأسلاف من المؤلفين القدامى الذين عنوا بفن القراءات ..»

هذا ما قاله المؤلف في مقدمة كتابه ، فهو يقتفي أسلوب الأقدمين ، حيث يبدأ بذكر الأصول ، ثم يعطي قاعدة عامة ، ثم يردف ذلك بذكر ما يسمى بفرش الحروف التي يقل دورانها خلال الآيات ، ثم يبين الفرق بين القراءة والرواية والطريق .

ثم يبحث في المقرىء نافع والراوين عنه .

وقد قدّم ترجمة للمحقق الشمس ابن الجزري .

كما تعرض لأحكام الاستفادة والبسملة عند الابتداء بالسورة أو الابتداء من مواضع أخرى ، ثم تعرض لأمور أخرى تتعلق بالقرآن وقراءاته وذلك في كل سورة على حدة . والشيخ حسين خطاب رحمه الله كان شيخ القُرَّاء بدمشق .

• **أحكام الحج والعمرة وحكَمهما في الفقه الإسلامي/خاشع حقي .ــ دمشق : مطبعة الصباح ، ١٤٠٨ هـ ، ٢٧٤ ص .**

يبين الكاتب في مقدمته أن اجتماعات المسلمين تتوالى على المستويات المختلفة ليدرك المسلمون منها مدى حرص الإسلام على إيجاد روح التضامن والوحدة

وشدّ أواصر التآخي والقربى بينهم ، كاجتماعهم العام في كل بلد لأداء صلاتَيْ عيد الفطر وعيد الأضحى في المسجد الجامع مرتين في السنة ، واجتماعهم الأسبوعيّ كل جمعة لأداء صلاتها الذي هو بمثابة اجتماع أهل الحي الواحد ، ومثله اجتماعهم يومياً لأداء الفرائض الخمس في أوقاتها في المسجد الذي هو بمنزلة اجتماع أهل المحلة الواحدة ... ويأتي الحج ليكون بمثابة مؤتمر عالمي واجتماع دوري دولي يعقد سنوياً ، يجمع المسلمين في موسمه من مشارق الأرض ومغاربها .

وقد جمع المؤلف في كتابه أحكام الحج والعمرة معتمداً مذهب الإمام الشافعي ، قارناً ذلك بالمذاهب والآراء الأخرى للفقهاء والأعلام . وقد بين هذه الأحكام في سبعة فصول من الكتاب .. بيّن فيها مشروعية الحج والحكمة منها ، ومنافعه وشروط وجوبه ، ومرحلة الاستعداد للحج وآدابه ، ثم ذكر بالتفصيل أركان الحج والعمرة وواجباتهما ... الخ . وختم كتابه بذكر علامات القبول .. وهي أن يعود الحاج خيراً مما كان ، فيزداد خيراً ورشداً وتقى وصلاحاً .. ويقضي حياته القابلة في ذكر الله واللجوء إليه ، فيقلّ طمعه وجشعه وحرصه على جمع المال من أي مصدر كان ، ويضع نصب عينيه مرضاة الله في كل تصرّف ، ويحافظ على أداء الصلوات جماعة ما أمكن ، وتتحسن معاملاته ويستقيم سلوكه ويتذكر قوله تعالى :

﴿فإذا قضيتم مناسككم فاذكروا الله كذكركم آباءكم أو أشدّ ذكراً فمن الناس من يقول ربنا آتنا في الدنيا وماله في الآخرة من خلاق . ومنهم من يقول ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار . أولئك لهم نصيب مما كسبوا والله سريع الحساب﴾ .

والكاتب من مدينة القامشلي ، وهو من أبرز علمائها ..

• الرسول والوحي / محمد سيد أحمد الميسر .ـ دمشق ؛ بيروت : دار ابن كثير ؛ المدينة المنورة : مكتبة دار التراث ، ١٤٠٧ هـ ، ١٩٨٧ م ، ٣٤٠ ص (فلسفة السيرة) .

في الباب الرابع تساءل المؤلف : ما الوحي في حقيقته ؟ وما أنواعه ؟ وكيف يتنزل ملك الوحي ؟ .. بعض الفلاسفة يثير شبهات حول الوحي أو يفسره تفسيراً مادياً .. فكيف ندحض هذه الشبهات ؟

وعلى هذا جاءت دراسة المؤلف في هذا الباب على النحو التالي :

ــ الوحي في اللغة : عرض معانيه اللغوية واستعمالاته في القرآن .

ــ الوحي في الفلسفة .. بين فيه أن فلاسفة المسلمين تلقفوا الموقف الفلسفي القديم بمقولاته العامة وطوّعوا لها المفاهيم الإسلامية .. وقد ربط الفارابي النبوة بنظرية العقول وقوى النفس الإنسانية .. وجاء ابن سينا فجعل للنبي أو العارف خصائص ثلاثاً ، هي القوة القدسية والمخيلة القوية والنفس المحركة القادرة .

وبعد عرض هذه الاتجاهات جاء التعقيب وحميت المناقشة ، وظهر أن التفسير الفلسفي للنبوة في مصدرها وقوى النفس الخاصة بها ورؤية الملك القرين لها ، مما يأباه الشرع وينفر منه العقل الفطري .

ــ الوحي من الشرع ... ناقش فيه صور الوحي المحمدي استقراء من تتبع أحوال الوحي مع سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم .

وناقش المنكرين للوحي وشبهات بعضهم حوله : من بشرية وسحر وجنون وصرع وعبقرية .

أما الأبواب الثلاثة الأولى فكانت عن :

ــ ملامح الشخصية المحمدية .

ــ العمق التاريخي .

ــ الضرورة الإنسانية .

• قراءات في التوراة على ضوء المكتشفات الأثرية الحديثة / محمد وحيد خياطة .ـ دمشق : دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر ، ١٩٨٧ م ، ١٧٩ ص .

بدأ الكاتب بمدخل بحث خلاله في التوراة بشكل عام ، وكشف عن بعض الحقائق ، ثم ضمن كتابه المواضيع التالية :

الكتابات اليهودية المقدسة ــ غربة إسرائيل في التاريخ ــ وعود آلهة بني إسرائيل الكاذبة ــ داود الملك في النهج الصهيوني المعاصر ــ الديانة الكنعانية على ضوء النصوص المكتشفة في أوغاريت ــ من أور كلدان إلى أرض كنعان ــ التفاعل الحضاري في فلسطين وسورية .

• محمد صلى الله عليه وسلم على ألسنة الشعراء (مختارات من أجمل الشعر في مدح الرسول)/تقديم محمد سعيد رمضان البوطي .ـ دمشق : دار المعرفة ، ١٤٠٨ هـ ــ ١٩٨٨ م ، ٨٤ ص .

جاء تقديم هذا الكتاب بعنوان (آفة الشعر عندما يكون مدحاً لغير رسول الله صلى الله عليه وسلم) وهو بقلم محمد سعيد رمضان البوطي ثم مقدمة بعنوان (محمد الرسول العربي الكريم مَثَل الله الأعلى للإنسان الكامل) بعدها جاءت قصائد الكتاب ، وقد بلغ عددها اثنتين وعشرين قصيدة كلها في مدح الرسول عليه الصلاة والسلام ، وهذه القصائد للشعراء التالية أسماؤهم : الأعشى ــ كعب بن زهير ــ حسان بن ثابت ــ شرف الدين البوصيري ــ ابن الساعاتي ــ أحمد شوقي ــ خليل مطران ــ محمد البزم ــ خليل مردم بك ــ القروي ــ محمود غنيم ــ أنور العطار ــ بدوي الجبل ــ سليم الزركلي ــ عمر أبو ريشة ــ صالح طه ــ جورج صيدح ــ صالح جودت ــ يوسف الخطيب ــ محمد منذر لطفي ــ إلياس قنصل ــ مصطفى عكرمة .

• مِنَحُ المدح أو شعراء الصحابة ممن مدح الرسول صلى الله عليه وسلم أو رثاه / ابن سيد الناس ؛ تقديم وتحقيق عفّت وصال حمزة .ـ دمشق : دار الفكر ، ١٤٠٨ هـ ــ ١٩٨٨ م ، ٤٢٢ ص .

يتميز هذا الكتاب بـ :

١ ــ انتقاء المؤلف للشعراء الذين مدحوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أو رثوه فقط وذكر مدائحهم أو مراثيهم له دون النظر إلى شعرهم الآخر في الأغراض الأخرى كالحماسة والوصف والفخر والعتاب ..

٢ ــ ترتيب أسماء الشعراء على حروف المعجم ترتيباً يعتمد على الحرف الأول فقط .

٣ ــ عدم التفريق بين المراثي والمدائح لأن في جميعها مدحاً لرسول الله صلى الله عليه وسلم .

٤ ــ الاقتصار في الاختيارات على القليل من الكثير .

أما عمل المحققة في الكتاب فتقول : «حاولتُ أن أزيل الغموض على القارىء بشرح الكلمات في النصوص والتعريف بالأعلام وببعض رجال الأسانيد وذكر الأخبار الشهيرة والنادرة لهم ، كل ذلك في الحاشية ..» وقد سمّى المؤلف كتابه

بـ (مِنَح المدح..) وذكره [ابن عبد البر في كتاب «الاستيعاب» باسم (الشعراء من الصحابة) وذكره أيضاً ابن حجر العسقلاني في كتاب «الإصابة..» باسم (شعراء الصحابة)] .

وقد ذيّلت المحققة كتابها بفهارس فنية شاملة .. كما أن المخطوطة التي اعتمدت عليها وحيدة في العالم .

• هدي القرآن الكريم إلى الحجة والبرهان / عبد الله سراج الدين .ــ حلب : مطبعة الأصيل ، ١٤٠٨ هـ ــ ١٩٨٨ م ، ٢٦٤ ص .

ضم الكتاب مباحث عدة في القرآن ، وجاء في بداية الكتاب مقدمة فيها بيان أن الدين الإسلامي قائم على الحجج والبراهين ، وبيان أن الخطابات الإلهية والتكاليف الشرعية موجهة للعقلاء البالغين .

ثم يستعرض محتويات الكتاب ، وهي تبحث في أن القرآن الكريم كتاب هدي ودعوة إلى منهج الحق على الحجج والبينات من الهدى والفرقان .
وأهم الموضوعات التي بحث فيها المؤلف :
ــ الواجب المحتم على كل عاقل أن يؤثر كتاب الله تعالى على كل كتاب سواه .
ــ منهج القرآن الكريم في دعوته وهديه للناس .
ــ القرآن الكريم يرد على مَنْ زعم أن هذا القرآن الكريم من تلقاء رسول الله وكلامه .
ــ القرآن الكريم يثبت بالأدلة كفالة ربِّ العزة بحفظ هذا القرآن في جميع منزلاته ومن جميع جوانبه وحيثياته .
ــ بيان قصة الغرانيق .
ــ الروح القرآني وتأثيره في القلوب والنفوس .
ــ النور القرآني وإضاءته على العقول والقلوب .

• العلوم الاجتماعية •

• المرأة والأسرة في حضارات الشعوب وأنظمتها / عبد الهادي عباس . ــ دمشق : دار طلاس للدراسات والنشر والترجمة ، ١٩٨٧ م ، ٣ جـ ــ ١٤٠٨ ص .

جاء الكتاب في ثلاثة أجزاء ، كل جزء في كتاب مستقل ، وقد بدأ المؤلف كتابه بمقدمة ركز فيها على العلاقة بين الرجل والمرأة وخاصة الزواج ، الذي يعده المؤلف مؤسسة موغلة في القدم ، فرضتها إرادة الحياة في استمرار النوع كما فرضتها الحياة الاجتماعية التي هي شرط لازم لحياة الإنسان واستمرار وجوده . فمن مؤسسة الزواج تكونت الأسرة والعشيرة والدولة وهي تتطور باستمرار .

ثم يذكر في خاتمة مقدمته ما يهدف إليه الكتاب « .. إنني في هذا الكتاب الذي أكرسه لموضوع الأسرة والزواج ووضع المرأة في حضارات وأنظمة الشعوب ، أحاول أن ألقي ضوءاً عبر دراسة تاريخية على مشكلات كثيرة مطروحة في مجتمعات هذه الشعوب ، وأحاول أن أسلط بؤرة الضوء ــ بصورة خاصة ــ على ثقافتنا ومجتمعنا وبعض المشكلات المقلقة التي تكبل انطلاق هذا المجتمع في طريقه لبنيان وجوده على أساس صحيح من منطلق العلم والحداثة ...»

ويتكون الكتاب من ثلاثة أقسام ، وكل قسم بدوره يتفرع إلى أبواب :
ــ القسم الأول : يبحث في الإنسان وأساطيره وفي حياته البدائية .
ــ القسم الثاني : المرأة والزواج والأسرة في الحضارة القديمة .

وينتهي الجزء الأول بالباب الثالث من القسم الثاني ، ويكمل في الجزء الثاني من الكتاب أبحاث الجزء الأول بالإضافة إلى أبحاث الجزء الثاني ، حيث يستعرض الأبواب المكملة للقسم الثاني ، وجاء هذا الجزء في أكثر من ٤٠٠ صفحة .

وفي الجزء الثالث من كتابه يستعرض القسم الثالث الذي يبحث في عصر النهضة والعصور الحديثة ، ويتفرع هذا القسم إلى ثلاثة أبواب ، تبحث في عصر النهضة وفي العصور الحديثة (في البلدان الرأسمالية والإشتراكية) وفي العالم الثالث وهو ينهي كل باب بالمراجع والمصادر التي اعتمد عليها في الباب نفسه ، وكل جزء من الكتاب مزوّد بفهرس عن أبحاثه ، والجزء الثالث فيه فهرس للأجزاء الثلاثة . وهذا الكتاب ... «ينطلق من فكرة ويرمي لغاية . فكرة تعتبر الإنسان ذاتاً خلاّقه للتغيرات ، مبدعة للحضارة» ويهدف الكتاب من خلال عرض مجمل لوضع أهم علاقة إنسانية في حضارات الشعوب ، إلى إلقاء ما يمكن من ضوء ، ولو بشكل غير مباشر ، على أن قضية المرأة والأسرة ، هي المعيار الصحيح والأساسي للتطور الحضاري .

• العلوم التطبيقية •

• أورام الغدة الموثية / محمد حسن حمزة .ــ حلب : جامعة حلب ، كلية الطب البشري ، ١٤٠٨ هـ ، ١٩٨٨ م ، ٤٠ ص .

بحث علمي أعد لنيل إجازة دكتور في الطب البشري M.D. ، بإشراف الدكتور نجاح حجازي ، للتخرج من كلية الطب بجامعة حلب ، اعتمد فيه على ستة مراجع عربية ، ومثلها أجنبية . صنف في البداية أورام الموثة إلى أورام سليمة ، وخبيثة ، وعضلية وثانوية من الجوار .

ثم تحدث عن لمحة جنينية فيزيولوجية ، ولمحة تشريحية وصفية عن الموثة ولمحة نسيجية . وهذ كله في الباب الأول .

أما الباب الثاني فكان عن «أورام الموثة» تحدث فيه عن الورم الغدي الليفي السليم ومعالجته ، ثم سرطان البروستات والتظاهرات السريرية له وتشخيصه ومراحل تطوره وكيفية معالجته ، من جراحة ملطفة وأخرى شعاعية . ثم تحدث عن الأورام العضلية ، فالأورام التي تنتقل من الجوار إلى الموثة ..

دنيا الحاسوب : برامج كمبيوتر في الرياضيات (التكامل ، التفاضل ، تحويلات لابلاس) ، (المصفوفات ، حل المعادلات ، المشتقات) / زياد عزيزية . ــ دمشق : دار المعرفة ١٤٠٨ هـ ــ ١٩٨٧ م ، ١٢٨ ص .

بعد مقدمة المؤلف التي بيّن من خلالها أهمية الكمبيوتر في عالمنا المعاصر ، يقدم الكتاب لمستخدمه برامج جاهزة للكمبيوتر في حقل الرياضيات ... فهو يتناول خمسة عشر برنامجاً في مواضيع شتى تهم التعامل بالرياضيات (في المراحل الثانوية والجامعية) وتشمل الحياة العملية للمهندسين والتجاريين ومديري مختلف الأعمال .

وهذا الكتاب بشروحه ومخططاته وبرامجه المنوعة والمنفذة بالنسبة للمعادلات الرياضية المختلفة وباقي المعايير الرياضية يسدُّ حاجة المثقف المعاصر وفضوله في تطبيق حاسوبه المنزلي أو المكتبي على الرياضيات .

• الصناعات الكيميائية التجارية : ٥٠٠ مركب كيميائي ، ما يجب أن تعرفه عن : مواد التجميل ــ مواد لاصقة ــ المنظفات والصابون / عبد الكريم درويش .ــ دمشق : دار المعرفة ، ١٤٠٨ هـ ــ ١٩٨٨ م ، ٢٢٢ ص .

فيه تفصيل لخمسمائة مركب كيميائي مختلف في مجال صناعة المنظفات

والصابون على أنواعها ، ولمختلف الاستمارات المنزلية والصناعية . وكذلك في مجال صناعة مستحضرات التجميل الشخصية ولمختلف الحالات .

وضم الكتاب في فصله الثالث صناعة المواد اللاصقة بأنواعها المتعددة ، وقد تم إيراد أرقام الاختراعات وجنسياتها المختلفة في مقدمة المواد المستعملة ، ونسب تركيبها وطريقة صنعها ..

ويهمّ الكتاب مستثمر هذه المنتجات ، قدر ما يهم صانعها لتحسين نسبة الاستفادة منها ، تمييزاً للأجود وانتقاء ما يناسبه منها .

• **كيف تصلح سيارتك في الطريق / مارشال كافنديش ، ترجمة محمد صالح النجّار .ــ دمشق : دار المعرفة ، ١٤٠٨ هـ ــ ١٩٨٨ م ، ١٠٤ ص .**

قد تظهر بعض الأعطال من فترة إلى فترة على الرغم من أن سيارتك تخضع لخدمة منظمة . وهذا الكتاب يعلمك كيف تتعامل مع مثل هذه الحالات الطارئة ، ويوضح لك كيف تتعقب أثر الأعطال المحتملة ، ويعطيك النصائح ، كيف تصلح هذه الأعطال في أقصر وقت ممكن .

هذا ما جاء في مقدمة الكتاب من تعريف به ، أما أهم محتويات الكتاب فهي : معالجة صعوبات الإقلاع ــ عندما لا تتمكن من فك أحد البراغي ــ عندما يسخن المحرك ... معالجة مشكلات تدفق الوقود ، عندما لا تتمكن من سحب الشراق ــ عندما يكون هناك رائحة بنزين . والكتاب مزود بالصور الملونة .

• **الأدب** •

• **أثر القرآن الكريم في الشعر العربي الحديث / شلتاغ عبود شرّاد .ــ دمشق : دار المعرفة ، ١٤٠٨ هـ ــ ١٩٨٧ م ، ١٩٥ ص .**

قسمت الدراسة إلى بابين : أحدهما يعنى بالجانب الفكري ، والآخر يقف عند الأثر الفني للقرآن في الشعر ... وقد اشتمل الباب الأول على فصلين ، وقف الأول منهما عند الظروف العامة التي جعلت الروح الدينية تلتهب وتتعمق في نفوس الناس إبان عصر النهضة ، وانفرد الثاني بالحديث عن المعاني والموضوعات القرآنية التي وجدت اهتماماً لدى الشعراء فنقلوها إلى تجاربهم الشعرية .

أما الباب الثاني ، فقد اشتمل على ثلاثة فصول تناولت أثر اللغة والصور والرمز والأعلام القرآنية في الشعر الإحيائي ، وكشفت عن مدى الثراء والغنى الذي أفاده الشعراء من صلتهم بالقرآن .ــ وبهذا يكون المنهج المتبع في الدراسة هو المنهج الذي يزاوج بين الفكر والفن ..

ويقول المؤلف : «وقد آثرت أن أدرس المرحلة الإحيائية من الشعر الحديث لشدة ارتباطها بالقرآن وبالتراث عموماً ، كما سيتضح في ثنايا البحث ، ولم أتناول شعراء هذه المرحلة كلهم ، المتقدمين منهم والوسطيين والمتأخرين ، بل تناولت أعمدتهم ، أو ما يسمون بأصحاب الإحيائية الجديدة ، واخترت شاعرين اثنين لكل بيئة من بيئات العراق ومصر والجزائر ، وهم الرصافي والجواهري وأحمد شوقي وحافظ إبراهيم ، ومحمد العيد آل خليفة وأحمد سحنون» .

وعليه .. فإن هذا الكتاب ، يثبت أنه إذا كانت عناصر تراثنا الفكري والأدبي تتفاوت في ديمومتها واستمراريتها ومساهمتها في وضع نهضتنا الحضارية الحديثة إلى الأمام ، فإن القرآن ليس وقفاً على مرحلة معينة أو عصر معين بل هو دستور الله الخالد للبشرية كلها ، وهو صانع التراث ومصدره الأكبر .. **﴿كتابٌ أُحكمت آياته ثم فُصِّلَت من لدن حكيم خبير﴾** .

وبعد أن أنهى المؤلف كتابه بخاتمة ، بدأ بعرض ما اعتمد عليه من مصادر ومراجع التي بلغت مائة ونيف كتاباً .

• **الأمثال العربية : دراسة تاريخية تحليلية / عبد المجيد قطامش .ــ دمشق : دار الفكر ، ١٩٨٨ م ، ٤٧٢ ص .**

ليس هذا كتابَ أمثالٍ تُسرد سرداً ، ولكنه دراسة تاريخية تحليلية للأمثال العربية ، من الوجهة اللغوية والأدبية ، والأخلاقية والاجتماعية لحياة العرب وعاداتهم وعقائدهم وحكمتهم وفلسفتهم ، من خلال الأمثال الجاهلية والإسلامية والمولّدة المحدثة والعامية ..

فضلاً عن عرضٍ شامل لما أُلّف في الأمثال خلال خمسة قرون ــ من أواسط القرن الأول حتى أواسط القرن السادس الهجري ــ معرِّفاً الكثير منها . وقد بلغت هذه الكتب واحداً وأربعين كتاباً ، عدا الكتب المؤلفة في أمثال القرآن .

تكوَّن الكتاب من تمهيد عن المثل بشكل عام (تعريفه ، ضربه ، الحكمة .. العلاقة بين الحكمة والمثل .. أنواع المثل العربي ..) وثلاثة أبواب كل باب يتفرع بدوره إلى عدة فصول :

الباب الأول : دراسة تاريخية للأمثال العربية .

الباب الثاني : دراسة لغوية وأدبية للأمثال العربية .

الباب الثالث : دراسة اجتماعية للأمثال العربية .

• **ديوان والآن .. ماذا نصنع يا أمم الشرق ؟ / محمد إقبال ؛ ترجمه نثراً محمود أحمد غازي ؛ وترجمه شعراً صاوي شعلان .ــ دمشق : دار الفكر ، ١٤٠٨ هـ ــ ١٩٨٨ م ، ١٤٣ ص .**

قدّم لهذا الديوان إحسان حقي وبيّن فيه براعة وعبقرية محمد إقبال ، ثم كتب محمود أحمد غازي من إسلام آباد قصة الكتاب .. بعدها جاءت قصائد الكتاب منها : (لا إله إلا الله ــ الفقر ــ الرجل الحر ــ في أسرار الشريعة ــ كلمة موجهة إلى الأمة العربية ــ والآن ماذا نصنع يا أمم الشرق ؟ ــ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ..) ويتحسر الفيلسوف الإسلامي محمد إقبال في هذه الأشعار ويتألم على حالة المسلمين عامة والعرب خاصة على اعتبار أنهم قادة العالم الإسلامي في القديم وفي الحديث .. ولذا فإنه يحث العرب على أن يأخذوا مكانهم في قيادة العالم الإسلامي لتعود للإسلام قيادته للعالم .

• **زيارة غير متوقعة (قصص) / فريد ملا أحمد .ــ دمشق : دار المعرفة ، ١٤٠٨ هـ ــ ١٩٨٨ م ، ٤٨ ص .**

قصص قصيرة جداً ، وهي عبارة عن رحلة إلى بيئة منسية .. يكشف القاص فيها بلمحاته الدالة وأحداثه المختزلة عالماً ما يزال ينبض في الذاكرة ، ويسأل المتول على مسرح الوعي عند الضفاف الخضراء لنهر المياه .. إنها الزيارة الأولى المتوقعة التي يرتاد فيها أديب شاب مدينة أحلامه ليتعرف كم بقي من الطريق إلى شجرة الإبداع .. وكم مضى من الألم على هذه الرحلة .

احتوى الكتاب على عشر قصص قصيرة تحت العناوين التالية :

١ ــ زيارة غير متوقعة ٢ ــ رياح الزمن ٣ ــ الحادث ٤ ــ قرارات ٥ ــ الوصية ٦ ــ موسيقى الحريق ٧ ــ قضية كوتان ٨ ــ الطفولة الأخرى ٩ ــ الحلم .

والمؤلف من الجزيرة السورية (الحسكة).

سوانح أدبية/أحمد سعيد هواش .ـــ دمشق : دار المعرفة ، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٧ م ، ٦٤ ص .

كتب/بين يدي الكتاب/ محمد منذر لطفي ، أمين سر اتحاد الكتاب العرب في حماة ، بيّن فيها موضوعات الكتاب وعمل المؤلف في ذلك ، وهذه الموضوعات هي : حول دلالة السيف في الشعر العربي ، إلى الشعراء الفرسان عند العرب ، إلى الجندية والحرب في شعر شوقي ، ثم إلى الشاعر الفلسطيني برهان الدين العبوشي ، أشجان أيار في الشعر الحديث ، إلى أصداء الثورة الجزائرية ... ومن الطفولة في الشعر الجاهلي إلى الحنين إلى الوطن ... وإلى عبد الباسط الصوفي والشاعر القروي وأبي سلمى .. ومن البحر في الشعر إلى جمال الحديث وسحر الكلام في الشعر العربي .. وانتهاء بتشرين على شفاه الشعراء .

ويوضح المؤلف كل هذه الأبحاث من خلال إلقاء الضوء على مفرداتها وخصوصياتها .

• **صيحة في واد «صرخات متألم»/سعد صائب .ـــ دمشق : دار المعرفة ، ١٤٠٨ هـ ـــ ١٩٨٧ م ، ٨٠ ص .**

صيحة في واد ... خواطر ... منبعثة من قلب متألم مرهف في أحاسيسه ، دقيق في تعابيره .. علّها تداوي جروحاً وتجلي غموضاً .. في إنارة الدرب الطويل لأمته .

وقد أهدى المؤلف كتابه إلى الذين وعوا مشكلات أمتهم وأدركوا نقائصها وعيوبها فمضوا يناضلون ! طامعين إلى محوها . وغالباً ما يصدّر خواطره بقول موجز لعالم أو أديب أو فيلسوف عالمي مشهور .

• **شقائق الأترنج في رقائق الغُنج/جلال الدين السيوطي ، تحقيق عادل العامل .ـــ دمشق : دار المعرفة ، ١٤٠٨ هـ ـــ ١٩٨٨ م ، ٨٢ ص .**

«هذا جزء يسمى (شقائق الأترنج في رقائق الغُنج) ألفته جواباً لسائل سأل عن حُكمِهِ شرعاً ، وأوردتُ فيه منَ الفوائد ما لا مزيد عليه جمعاً ، واخترت له هذا الاسم لما تضمنه من لطائف البديع صُنعاً ، ولما فيه من حُسنِ التشبيه المضمر لمن تفطنّ له وقعاً» .

هذا ما قاله السيوطي في بداية رسالته . أما المحقق فيقول :

«وتتمثل أهمية الموضوع وجاذبيته في الوقت نفسه في تناوله على نحو مكثف ومنوع متعدد الأبعاد لحالة أنثوية محببة أودعتها الطبيعة في المرأة ، وتتجلى في لطف الحركة وإيحائية النظرة وعذوبة الحديث . وإذا ما اقترن ذلك بقدر من الثقافة والحُسن والحياء اكتملت في المرأة سمات المثال الذي يتغنى به الشعراء والطرف الراجح في العلاقة الثنائية التي تربطها بالرجل ، وكان لها دورها الإيجابي في مستقبل هذه العلاقة إذا ما كان الطرف الآخر أهلاً بها» .

اشتمل الكتاب على اللغة والآثار والأخبار والأشعار . واعتمد المحقق على مخطوطتين من مخطوطات دار الكتب الظاهرية الموجودتين في مكتبة الأسد ، والكتاب مزوّد بفهارس شاملة .

• **التاريخ والتراجم** •

• **آفاق غرناطة : بحث في التاريخ السياسي والحضاري العربي / عبد الحكيم الذنون .ـــ دمشق ، دار المعرفة ، ١٤٠٨ هـ ـــ ١٩٨٨ م ، ١٣٦ ص .**

قدم المؤلف لكتابه «تصديراً» خلص خلاله إلى أن مشهد السقوط التراجيدي ـــ المأساوي ـــ لغرناطة ، الذي رافقته وأعقبته حالات الندم والحسرة على ضياع آخر معاقل وصروح الأدلة الإسلامية في الأندلس ، ويتكرر هذا المشهد في كل يوم من أيامنا الراهنة ، فكل مدينة عربية هي غرناطة في ظل هذا العصر العربي المعتم ...

وقد جاء الكتاب في محورين :

ـــ المحور الأول : تاريخ غرناطة السياسي ، وجاء هذا المحور في ثلاثة فصول :

١ ـــ فتح العرب الأندلس ٢ ـــ العهد العربي الإسلامي في غرناطة ٣ ـــ نهاية مملكة غرناطة .

ـــ ثم المحور الثاني : الحضارة العربية الإسلامية في غرناطة . وأكمل في هذا المحور الفصول الثلاثة في المحور الأول وهي : ٤ ـــ قصر الحمراء ٥ ـــ غرناطة وآثارها الأخرى ٦ ـــ الثقافة العربية في غرناطة .

وقد جاء بنهاية الكتاب ملحق هو «موجز تاريخ الأندلس العربي» .

• **جبران خليل جبران في ضوء المؤثرات الأجنبية : دراسة مقارنة/نذير العظمة .ـــ دمشق : دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر ، ١٩٨٧ م ، ٣٢٥ ص .**

فيه ثمانية فصول ، تضمن الفصل الأول : ١ ـــ جبران والتحليل النفسي ٢ ـــ جبران والحداثة (مسألة الحياة والأدب ـــ جبران والعقيدة المنثورة) ٣ ـــ جبران ورالف والدوامرسون (جبران ونزعة التعالي الأمر سونية) ٤ ـــ عناصر الحداثة في شعر وليم بليك ـــ مختارات مترجمة من أغاني البراءة والترجمة ٥ ـــ جبران ووليم بليك ٦ ـــ جبران خليل جبران في ضوء المؤثرات الأوربية (جبران وروسو ـــ جبران وأرنست رينان ـــ جبران ونيتشة ـــ جبران ونيتشة وبليك) . ٧ ـــ جبران والفكر الصوفي (جبران وابن سينا ـــ جبران والغزالي ، جبران وابن الفارض الشاعر الرباني) ... ٨ ـــ جبران وعقيدة التقمص .

وينهي كل فصل من هذه الفصول بهوامش الفصل ، ثم يكثّف أبحاث كتابه في الخاتمة ، وقد ذيّل كتابه بملحق عن المرأة وجبران ، وحكاية الضائع .

• **الذاكرة الأولى : دراسة في التاريخ السياسي ، والحضاري القديم لبلاد الرافدين/عبد الحكيم الذنون .ـــ دمشق : دار المعرفة ، ١٩٨٨ م ، ٢٢٤ ص .**

«إن المُثل والقيم الإنسانية التي تكون بمثابة أساس وأرضية صلبة تدعم كيان البشرية وتوطد أركانها ومرتكزاتها حتى يومنا هذا ، هي في معظم صورها وآفاقها ومؤشراتها ذات القيم والمثل التي سبق وأن جربت وهذبت وتبلورت في ذلك المختبر العظيم مختبر المجتمعات البشرية التي تعاقبت في بلاد وادي الرافدين على امتداد آلاف السنين في الحقب التي قطعتها في مسيرة تقدمها التاريخي والحضاري ، إنها حياة العرب القديمة ـــ الجديدة التي تنتظرنا عند زقورات أوروبوابات بابل وأسوار نينوى» . من مقدمة المؤلف .

والكتاب مكون من بابين وملحقين :

الباب الأول : عصور ما قبل التاريخ في وادي الرافدين . وهو مكون من فصل واحد .

الباب الثاني : العصور التاريخية في وادي الرافدين . وهو مكون من ثمانية فصول .

الملحق الأول : ثبت الملوك والسلالات الحاكمة في العراق القديم .

الملحق الثاني : بيان لبعض الأسماء والمصطلحات الواردة في الكتاب .

• **رجالات في أمة : سيرة موجزة لرجالات الفكر والأدب في الوطن العربي/فضل عفاش .ـ دمشق : دار المعرفة ، ١٤٠٨ هـ ـ ١٩٨٨ م ، ج ٢ : ١٥٥ ص .**

الجزء الثاني يتحدث عن أدباء الجزائر .

« .. وعندما كان لكل عصر رجاله ولكل أمة رجالها أيضاً فعصرنا هذا لم يفتقر أيضاً للرجال العظماء ، وأمتنا العربية هذه لم تفتقر أيضاً للرجال الأدباء والمفكرين العظام .

وكان من واجبنا أن نقف بإجلال واحترام كبير .. ولو وقفة سريعة لرجالات ارتبط تاريخ حياتهم ونضالهم ومصيرهم ، بتاريخ أرضهم ووطنهم وأمتهم» .

هذا بعض ما قاله المؤلف في مقدمته للكتاب ، ثم استعرض موضوعاً بعنوان (صفحات في النهضة الفكرية والأدبية في الجزائر) .

أما الأدباء والشعراء الذين كتب عنهم الباحث في كتابه هذا فمنهم : الأمير عبد القادر الجزائري ـ عبد الحميد بن باديس ـ الشيخ محمد البشير الإبراهيمي ـ الشاعر محمد العيد آل خليفة ـ الشاعر مفدى زكريا ـ الشاعر مبارك جلواح ـ د . بو علام بسّايح ـ مولود قاسم نايت قاسم ـ د . عبد الله الركيبي ـ د . أحمد طالب الإبراهيمي ـ الكاتبة زهور ونيسي ـ د . محمود بو عياد .

• **قمم في الأدب العالمي / بديع حقي .ـ دمشق : دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر ، ١٩٨٧ م ، ٢٣٤ ص .**

يبحث هذا الكتاب في خمسة من الأدباء العالميين ، على النحو التالي : في بيت تولستوي ـ جيمس جويس رائد الرواية الحديثة ـ بروست والزمن الضائع ـ لوركا عندليب الأندلس ـ مالارميه راهب الفكر وصانع الحرف .

وهو يكتب في بداية البحث جملة قصيرة جامعة ، ثم يأتي برأي أحد العلماء أو الكتاب المشهورين في قيمة من يكتب عنه ، وبعدها يبدأ البحث فيه .

• **كارل بروكلمان في الميزان / شوقي أبو خليل .ـ دمشق : دار الفكر ، ١٤٠٨ هـ ـ ١٩٨٧ م ، ١٧٣ ص .**

صدّر المؤلف كتابه بمقدمة بيّن من خلالها بعض الملاحظات على المستشرقين وغرور بعضهم ببروكلمان أمثال نجيب عقيقي في كتاب (المستشرقون) الذي يصف بروكلمان بالنزاهة والموضوعية ، والدكتور حسين مؤنس الذي وصف بروكلمان بالإمامة في التاريخ ، ويرد المؤلف عليهما بأقوال بروكلمان نفسه وما يقوله في (تاريخ الشعوب الإسلامية) ودسائسه الكثيرة في ذلك ، ثم ينهي مقدمته بتساؤلات عدة منها :

لماذا العودة إلى فلهاوزن ، ونولدكه ، ولامانس .. والبعد عن الطبري وإهماله ، مع ابن الأثير ، وابن سعد ؟!

ثم يقول عن «كارل بروكلمان في الميزان» : **وأي ميزان هو ؟ إنه ميزان الحقائق التاريخية ، ميزان يزن به كل دارس مطلع على تاريخنا الإسلامي ، ميزان يزن والأصابع والأهواء بعيدة عن كفتيه . ثم يبحث في بروكلمان** : حياته وأهم مؤلفاته ، ثم افتراءات بروكلمان على تاريخنا العربي الإسلامي حتى وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم ، ثم افتراءات بروكلمان على عصر الخلفاء الراشدين ، ثم افتراءاته على العصر الأموي فالعصر العباسي ، ثم افتراءاتنا على تاريخنا الحديث ، ثم خاتمة فمحتوى للكتاب .

وقد بيّن المؤلف منهج بروكلمان في التاريخ قائلاً : «كتب بروكلمان منطلقاً من التشكيك والرفض العشوائي معتمداً على الروايات الضعيفة الشاذة ، والتي رفضها النقاد والباحثون واستغربها العلماء المطّلعون ، وبنى فكره ورأيه مسبقاً ، ثم جاء إلى وقائع وأحداث تاريخنا العربي الإسلامي يطوّعها لما يؤيد فكرته وخطته المرسومة ، يطمس ، ويضعّف ، ويمرّض .. فقدم تاريخنا موسّعاً الجزئية ، متغاضياً عن الكلية ، مع تفسيرات عجيبة ، ومواقف غريبة ، وأقوال ينبو عنه الذوق السليم ، والفكر الموضوعي» .

• **ابن هشام النحوي (٧٠٨ ـ ٧٦١ هـ) : عصره . بيئته . فكره . مؤلفاته . منهجه ومكانته في النحو/سامي عوض .ـ دمشق : دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر ، ١٩٨٧ م ، ٣٦٢ ص .**

بدأ المؤلف كتابه بتمهيد تناول فيه المنهج الذي سار عليه ، ثم وزّع موضوعاته على بابين : ضمّن الباب الأول منه عصر ابن هشام الاجتماعي والسياسي والمدارس والخوانق والروابط والزوايا ثم المدرسة المصرية في النحو .

ثم بدأ الباب الثاني الذي أخذ بالقسم الأكبر من كتابه ، وبحث فيه الكتب المؤلفة في الأدوات قبل كتاب مغني اللبيب لابن هشام ومنهج ابن هشام في النحو وخاصة في كتابه مغني اللبيب ، وشرّاح كتاب المغني وأبياته ، ثم دراسة كتب المصنف المخطوطة والمطبوعة ، ثم منهج الشمني في كتابه (حل معاقد القواعد) وحاشيته على «مغني اللبيب» ثم أنهى كتابه بخاتمة خلص فيها إلى أن مسيرة النحو العربي وبخاصة في مصر لم تتوقف وظلت مستمرة منذ القرن الثاني الهجري .

رسالة العراق الثقافية

باسم عبد الحميد حمودي

رسائل جامعية ومحاضرات وندوات

الإنسان في الشعر العربي قبل الإسلام : رسالة ماجستير للباحثة نضال جهاد عبد الرحمن . أشرف عليها نوري حمودي القيسي عميد كلية الآداب في جامعة بغداد وقد جرت مناقشة الرسالة فيها ، ورأس جلسة المناقشة عادل البياتي وشارك في النقاش محمود عبد الله الجادر وبهجة الحديثي .

الشركات المتعددة الجنسية : رسالة دكتوراه للباحث محمد صادق النصيرات جرت مناقشتها في كلية الإدارة والاقتصاد بجامعة بغداد ، وقد تألفت لجنة المناقشة من علاء شفيق الراوي رئيساً وعضوية فاضل عباس الحسب وهاشم علوان السامرائي وحميد جاسم ومنى الطائي .

ندوة النشر العربي المشترك : برعاية وزير الثقافة والإعلام عقدت ندوة النشر العربي المشترك جلساتها للفترة ١٤-١٨ نيسان/أبريل ١٩٨٨ وألقيت عدة بحوث فيها من بينها : مسئولية النشر المشترك في المرحلة الراهنة : محسن الموسوي ، مسؤولية المؤلف العربي إزاء الحرب : محسن خليل ، النشر في الجامعات العربية : ليلى الفرحان ، تاريخية الكتاب العربي : حسين علي محفوظ ، قضايا صناعة النشر في الوطن العربي : جاسم محمد جرجيس ، صناعة الكتاب والإبداع الفكري : عامر قنديلجي ، مسؤولية المؤلف إزاء النشر المشترك : ماجد السامرائي .

كما عقدت الندوة جلسات إجرائية حول النشر وحقوق المؤلف ساهم فيها محسن جاسم الموسوي (رئيس لجنة حقوق المؤلف في العراق) وباسم حمودي وحمزة مصطفى (عن اللجنة) ورياض المرزوقي (دار النشر التونسية) وليلى السائح وماجد السامرائي (لجنة التعضيد والنشر المركزية) وجاسم المطير (الدار العربية) وممثلون عن دور نشر كويتية وأردنية وعربية ومحلية أخرى .

الندوة الأولى للإعلام والنشر العلمي : أقام مجلس البحث العلمي الندوة الأولى للإعلام والنشر العلمي من ١١ – ١٤ نيسان — أبريل برعاية وزير الثقافة والإعلام ، ومن بين المحاضرات التي ألقيت محاضرة عن النشر العلمي المتخصص لناجح محمد خليل رئيس مجلس البحث العلمي وندوة عن الإعلام العلمي الجماهيري شملت أوراق عمل لكل من دائرة الإعلام الداخلي وثقافة الأطفال وجريدة الثورة ، وتضمنت الندوة محوراً عن واقع الإعلام العلمي الجماهيري ساهم فيه فتيان الراوي ومحمد أزهر السماك وعماد ذياب ومثنى العمر وثامر العامري ورعد عمر صالح وغنية حماس ، أما المحور التالي للندوة فقد كان عن تقييم دور المؤسسات الإعلامية في الإعلام العلمي شارك فيه مصطفى الغزالي وصلاح الدين نعمان وعواطف يوسف وأمل نعوم والأساتذة مكرم أنور وعبد الخالق شاكر ومناف الياسين وخليل محمد إبراهيم ، وكان المحور الثالث للندوة حواراً لدور المؤسسات العلمية الجامعية في الإعلام العلمي شارك فيه جليل أبو الحب وإياد جابر عيسى وزهير حسن محسن ومنذر نعمان بكر وجاسم محمد جرجيس وبديع محمد مبارك وغيرهم ، وقد خرجت الندوة بتوصيات لزيادة أواصر التعاون بين المؤسسات العلمية الصرفة والصحافة اليومية والدوريات العلمية وسائر مؤسسات الإعلام الجماهيري وصاحب الندوة معرض شامل للكتاب العلمي بمختلف اللغات .

القصة والرواية العراقية في نادي القصة : افتتح نادي القصة العراقية أولى محاضراته التي بينّ فيها ملامح التطور التاريخي للقصة والرواية الواقعية بمحاضرة ألقاها علي جواد الطاهر وقدمه فيها باسم عبد الحميد حمودي عن (الريادة الأولى في الكتابة القصصية والنقد — دور محمود أحمد السيد فيها قاصاً وناقداً) مساء (٧) مارس آذار ١٩٨٨ م ثم قدم رئيس النادي عائد خصباك عبد الجبار عباس ليتحدث عن القصة الخمسينية ومحسن جاسم الموسوي ليتحدث عن الريادة الفنية في القصة الخمسينية مساء ١٩ مارس/آذار ١٩٨٨ .

وفي جلسة التاسع من أبريل — نيسان قدم أحمد خلف الناقدين فاضل ثامر وياسين النصير ليحاضرا في (ملامح التجديد في التجربة الستينية) ثم قدم النادي الناقدين باسم عبد الحميد حمودي و صالح هويدي ليحاضرا في تجربة السبعينات القصصية مساء ٢٣ أبريل نيسان ، وفي السابع من مايو قدم النادي باقر جاسم محمد ليتحدث عن تجربة قصة ورواية المعركة ، وبذلك يكون النادي قد غطى عبر محاضراته ونقاده الخارطة القصصية العراقية تاريخياً ليقدم في ندواته القادمة قصاصين وروائيين يحاورهم الجمهور الحاضر عن تجاربهم وفي المنهاج الحالي .

مجـلات

الأقـلام :

مجلة شهرية تعنى بالأدب الحديث صدر العدد الرابع من سنتها الثالثة والعشرين ، من موضوعا العدد الخاص بالأدب والسينما : موضوعة الحرب بين السينما والقيم الجمالية والفكرية — الواقعية منهج أم أسلوب — السينما العربية — قراءة سوسيولوجية — إسهام الأدباء العرب في صناعة الأفلام : — الرواية والفلم — الفلم والأدب الألماني الحديث لبودو هايمان وكانت ترجمة إقبال أيوب — الأدب في السينما الإيطالية — السينما الأدبية لروي أرمز ترجمة عبد الواحد محمد ، بالإضافة إلى القصص والقصائد والمتابعات .

الضـاد :

مجلة تصدرها الهيئة العليا للعناية باللغة العربية في الجمهورية العراقية — صدر الجزء الأول منها في جمادى الآخره ١٤٠٨ — شباط ١٩٨٨ — رئيس التحرير أحمد مطلوب ، من موضوعات العدد : التعريب وتهيئة الكتاب المنهجي : جميل الملائكة — مشكلة اللفظ والنظر إلى المعنى : إبراهيم السامرائي — نظرات في مشكلات حياتنا اللغوية : هادي نهر — لغة الحوار في الفنون القصصية والمسرحية : إبراهيم السعافين — البنية الشكلية للجملة الواقعة حالاً : مصطفى النحاس ومقالة رئيس التحرير عن دور الهيئة العليا للعناية باللغة العربية — تصدر المجلة عن وزارة التعليم العالي والبحث العلمي — بغداد .

الثقافـة الأجنبيــة :

صدر عددها الفصلي الأول لعام ١٩٨٨ متضمناً محوراً عن عصر النهضة وأدبه ـــ رئيس التحرير : ياسين طه حافظ ـــ من موضوعات العدد : إيطاليا في عصر النهضة ـــ تطور الرواية الألمانية في عصر النهضة ـــ فنان عصر النهضة ـــ شعر ومقالات من عصر النهضة ، بالإضافة إلى الأبواب الثابتة : مجلات ـــ كتاب العدد ـــ من أدب الشعوب ـــ دراسات في الأدب والنقد .

المـورد :

مجلة فصلية تعنى بالتراث العربي ـــ رئيس التحرير : عبد الحميد العلوجي ـــ صدر عددها الفصلي الأول لعام ١٩٨٨ متضمناً أبوابها الثابتة : النصوص المحققة ـــ البيلوغرافيا ـــ العرض والنقد ـــ بالإضافة إلى موضوعاتها العامة التي منها : الرسوم التزيينية في الدور الحلبية : سلمان قطايه ـــ الصورة الفنية لعدة الحرب في القصيدة العربية قبل الإسلام : عبد الإله الصائغ ـــ دواوين الشعر العباسي في أصولها الأولى أحمد جاسم النجدي .

الطليعة الأدبية :

مجلة تعنى بأدب الشباب رئيس التحرير خضير عبد رب الأمير ـــ مدير التحرير عادل الشرقي ـــ صدر عددها الثالث والرابع المزدوج لعام ١٩٨٨ ومن موضوعاته : أنماط الرواية لجيرمي هوثورن ترجمة عبد الله الدباغ ، حول مسرح الممثل الواحد للأزهر محمد ـــ اللحظة متكأ الإبداع في القصة القصيرة : رضا البهات ـــ وتضمن العدد قصصاً لإيمان أحمد وطاهر عبد مسلم وعادل القصاص وحسن كريم وهيام محمد وعلي الدليمي وفوزية رشيد ونبيل العبودي وقصائد للشعراء حكمت الحاج وعبد الحميد كاظم الصائح وأديب كمال الدين ومحمود العبادي وعبد الستار سليم وفوزي الطائي وغيرهم من الأدباء الشباب ، قرأ قصائد العدد الماضي الشاعر خيري منصور وقرأ القصص القاص أحمد خلف وشارك في ملف التقارير نعمان مجيد وشفيقة مطر ونهاد حايك وعبد الله إبراهيم ـــ الإشراف الفني : إيمان الحسين .

المترجـم :

مجلة علمية ثقافية نصف سنوية تصدرها جمعية المترجمين العراقية ـــ صدر عددها الأول من سنتها الأولى أواخر عام ١٩٨٧ ـــ رئيس التحرير محمود فاضل الخفاجي ـــ من موضوعات العدد : الجانب الإنساني من الثورة التكنولوجية المعاصرة لسكواير ترجمة : صائب أمين . دراسة مرض التكلس ترجمة عبد النعيمي عن بحث بالانكليزية أعده عبد النعيمي ومحمد جياد النعيمي وموريس حمامة ـــ البرمجة باستخدام الضوء لجون سنيير ترجمة صباح الراوي ـــ بين التصور الإداري والتصور التجريدي من وجهة نظر الفيزياء الحديثة لهربرت هرتس ترجمة أسعد الخفاجي ـــ الترجمة علم وفن لريميلكاس ترجمة صفاء الجنابي ـــ دلالة القصيدة وموسيقاها في ترجمة الشعر ـــ ماجد النجار . بالإضافة إلى دليل لمصطلحات صناعة النفط التي أقرها المجمع العلمي العراقي وعربها وبلوغرافيا بالكتب المترجمة عام ١٩٨٧ في العراق ـــ طبعت في مطبعة العمال المركزية .

التراث الشعبي :

مجلة فصلية (مؤقتاً) تعنى بالتراث الشعبي ـــ تصدرها دار الشؤون الثقافية والنشر ـــ رئيس مجلس الإدارة محسن الموسوي ـــ رئيس التحرير باسم عبد الحميد حمودي ـــ صدر عددها الفصلي الثاني بافتتاحية لرئيس التحرير عن يوم بغداد وأسبوع التراث الشعبي وقد كان العدد خاصاً بشارع الرشيد وفولكلوره ومن موضوعاته : إطلالة تاريخية لأسامة ناصر النقشبندي ـــ بعض المعالم الترفيهية في الشارع لعزيز جاسم الحجية ـــ تاريخ الشارع وبعض تراثه لعبد الجبار السامرائي ـــ شارع الرشيد شخصية معمارية حوار بين إحسان فتحي وعادل كامل ـــ شارع الرشيد والسينما : علي مهدي علي ـــ شارع الرشيد في الرواية العراقية : باسم عبد الحميد حمودي ـــ شارع الرشيد ذاكرة بغداد : كمال لطيف سالم ـــ الحارس الليلي في الشارع : العقيد عبد الكريم عناد بالإضافة إلى موضوعات أخرى كتبها حسن البياتي ولطفي الخوري وفؤاد قزانجي وابتسام فريد وعبد المجيد لطفي وغيرهم ، وفي العدد ملحق بالانكليزية ترجمة كاظم سعد الدين .

وفيـات

لطيف ناصر حسين :

في منتصف آذار ١٩٨٨ توفي القاص لطيف ناصر حسين ، والقاص الراحل ولد في العمارة عام ١٩٣٩ وتخرج في قسم اللغات الأجنبية في جامعة بغداد وعمل في التدريس فترة ثم محرراً في مجلتي الطليعة الأدبية وألف باء . أصدر أولى مجاميعه القصصية عام ١٩٨٢ (أزهار مشرقة في برار موحشة) ثم صدرت له مجموعته القصصية التالية (الرجال والشموس) عام ١٩٨٦ وقد تضمنت نصاً روائياً قصيراً بعنوان (الشموس والتيه) سبق أن نشرته مجلة (الأقلام) العراقية عام ١٩٨٣ كواحدة من أفضل النصوص الروائية القصيرة عن الحرب .

إبراهيـم الوائلي :

في ١٥ نيسان ـــ أبريل ١٩٨٨ الموافق ٢٨ شعبان ١٤٠٨ هـ توفي الأستاذ إبراهيم الوائلي عن ٧٤ عاماً ، ولد الوائلي عام ١٩١٤ (١٣٣٤ هـ) في قرية من قرى شط العرب بالبصرة وتعلم قراءة القرآن الكريم في كتاب القرية ، ثم درس في المدارس الرسمية والدينية ليحصل على شهادة الليسانس في كلية دار العلوم بالقاهرة عام ١٩٤٩ ثم شهادة الماجستير عام ١٩٥٦ عن دراسته (الشعر العباسي العراقي في القرن التاسع عشر) وقد درس في جامعات بغداد ربع قرن كان فيها أستاذاً رائداً قبل أن يتقاعد عام ١٩٨٣ بعد أن أثقل عليه المرض ، ولكنه ظل يوافي الصحافة المحلية بتصويباته اللغوية لكتابات المثقفين ، من كتبه :

ـــ ثورة العشرين في الشعر العراقي .
ـــ اضطراب الكلم عند الزهاوي .
ـــ ديوان الشرقي .
ـــ من لقيط إلى اليازجي .
ـــ الشعر العراقي وحرب طرابلس .
ـــ الزهاوي وعصر السلطان عبد الحميد .
ـــ الثورة العراقية .

ومن كتبه المخطوطة :

ــ الراحلون .

ــ الزهاوي في شعره السياسي .

ــ لهجة الريف في البصرة وعلاقتها باللغة الفصيحة .

كتب

شخصيات :

معروف الرصافي : تأليف عبد التواب يوسف ــ إصدار دار ثقافة الأطفال ــ (سلسلة المشاهير ــ ١) مطبعة سومر ــ ١٩٨٧ ــ ط ١ ــ بغداد .
يعرف الكتاب بسيرة الشاعر وشعره الخاص بالطفولة ويحلل أربعاً وثلاثين قصيدة من شعره القصصي الخاص بمراحل الطفولة والفتوة .

مسرح ونقد مسرحي :

مسرح شفيق المهدي : بعد «رائحة الزوايا» و «الدائرة المثلثة» و «مشعلو الحرائق» قدم شفيق المهدي أستاذ الدراما في أكاديمية الفنون الجميلة ببغداد عمله الآخر «المعطف» الذي مثل أدواره عبد رب الأمير الورد ثم انتقل إلى تجربة الإخراج المشترك مع صلاح القصب حيث قدما معاً خلال مهرجان بغداد للمسرح مسرحية الحلم الضوئي ليقدم بعد ذلك تجربته التالية ، حيث اختار مسرحية (الحارس) لهارولد بنتر على مسرح الأكاديمية ــ وهو المكان المعتاد لعروضه على الضد من المسرح التجاري ــ ليثير بذلك آراء النقاد مرة أخرى في صياغته الجديدة الواعية للنص المسرحي الذي يؤلفه بإرادته ، فشفيق المهدي يحقق في حارس بنتر حارسه الخاص مستخدماً إيقاع النبرة العربية الحادة مع الإضاءة المبهرة التي ترتدي ثوب قسمة الجملة .

المألوف واللامألوف في المسرح العراقي : تأليف : عواد علي ــ إصدار دار الشؤون الثقافية ــ ط ١ ــ ١٩٨٨ ــ بغداد ــ ١٥٠ ص .

فنون تشكيلية :

فصول من تاريخ الحركة التشكيلية في العراق : تأليف : شاكر حسن آل سعيد إصدار دار الشؤون الثقافية ــ ط ١ ــ جـ ٢ ــ ١٩٨٨ ــ بغداد .
توثيق شامل للحركة التشكيلية الحديثة في العراق ابتداء من أعمال رائدها الفنان عبد القادر رسام حتى السنوات الأخيرة ، بلغة تحليلية استقرائية لنشاطات الجماعات التشكيلية المتتابعة فنياً وزمنياً .

بيليوغرافيا :

معرض بغداد الدولي السادس للكتاب ــ الفهرست ــ إصدار : وزارة الثقافة والإعلام ــ الدار الوطنية للتوزيع والإعلان ــ مطبعة دار الحرية ــ بغداد ــ ١٤٠٨ هـ ــ ١٩٨٨ ــ بالعربية والانكليزية ، ٢٠٤ ص .
يتضمن تعريفاً أولياً بالكتب المعروضة في معرض بغداد للكتاب المقدمة من دور النشر العراقية والعربية والأجنبية في مختلف أصناف المعرفة .

تاريخ :

تاريخ الوزارات العراقية : تأليف : عبد الرزاق الحسني ــ إصدار دار الشؤون الثقافية ــ بغداد ــ ١٩٨٨ ــ الطبعة السابعة الموسعة والمزيدة ــ عشرة أجزاء حوالي ٤٠٠٠ ص .

أشهر كتب المؤرخ الحسني وأهمها وأوسع كتاب صدر بالعربية عن تاريخ العراق السياسي الحديث ، يبحث في نشوء الدولة العراقية ويثبت نصوص أهم المعاهدات والاتفاقيات التي عقدتها ويشرح الحوادث شرحاً مؤيداً بالوثائق ، وهو حصيلة جهد دام ستين عاماً . وقد صدر الجزء الأول من الكتاب في طبعته الأولى عام ١٩٣٠ والجزء الثاني عام ١٩٣٥ ثم تتالت طبعات الكتاب الذي يؤرخ للعراق منذ عام ١٩٢٠ ــ عهد الانتداب البريطاني ــ حتى عام ١٩٥٨ .

تاريخ التقويمين الميلادي والهجري ومبادئهما : تأليف : سلمان إبراهيم الجبوري ــ مطبعة الانتصار ــ بغداد ط ١ ــ ١٩٨٧ ــ ٦٤ ص .

دراسة في تاريخ التقاويم وكيفية إعدادها والعمل بها بمقدمة لحسين علي محفوظ الذي أثنى على جهد الباحث وجداوله التاريخية ، من فصول الكتاب : التقويم والإنسان ، واضعو التقاويم قديماً ، التقويم اليولياني بأنواعه ، دورات التقويم ، إصلاح التقاويم ، التقويم الهجري ، طريقة لمعرفة اسم اليوم لأي تاريخ ، تقويم الزيتون من ١٩٥١ ــ ٢٠٥٠ م ، التقويم العربي ، الدورة الكبرى في التقويم الهجري ، طريقة لمعرفة اسم اليوم في التاريخ الهجري .

الحرب العراقية الإيرانية :

— by Mousa Al-Mousawi - The Miserable Revolution

الثورة البائسة ــ تأليف : موسى الموسوي ــ إصدار ــ دار المأمون (باللغة الانكليزية) ــ بغداد : مطبعة الحرية ــ ١٩٨٧ ــ ٢٧٢ ص منذ الفصل الأول (بداية النهاية) والمؤلف يتحدث عن الخمينية كظاهرة معادية للإسلام ولمصالح إيران ويكشف عن دورها التآمري على الوطن العربي . والمؤلف أستاذ في الفلسفة الإسلامية ورجل دين إيراني معروف بنشاطاته المعادية للشاه .

الحرب العراقية الإيرانية ــ يوميات ووقائع وأحداث : تأليف وإعداد : فيصل شرهان الوس ــ ط ١ ــ مطبعة دار الجاحظ ــ بغداد ــ ١٩٨٧ ــ ٤٩٤ ص .

يواكب الكتاب تاريخياً الأحداث قبل اندلاع الحرب وخلفيات الأطماع الفارسية في العراق والوطن العربي حتى نهاية أيلول ١٩٨٠ وهو الشهر الذي بدأ فيه العدوان الإيراني الفعلي المباشر والرد العراقي على ذلك العدوان .

علوم :

أساسيات الذكاء الصناعي : إعداد علاء الدين عويد محمد صالح ــ إصدار دائرة الإعلام الداخلي ــ دار الحرية للطباعة ــ ط ١ ــ ١٩٨٧ ــ بغداد ــ سلسلة الثقافة العلمية .

الفم وأمراضه : تأليف : آلاء عمران ــ سلسلة الموسوعة الصغيرة ــ مطبعة دار الشؤون الثقافية ــ بغداد ــ ١٩٨٨ .

الحب بين القلب والدماغ : تأليف نوري جعفر ــ سلسلة الموسوعة الصغيرة ــ مطبعة الشؤون الثقافية ــ بغداد ــ ١٩٨٧ .

توارث مجاميع الدم : تأليف : اسفار شهاب الشبيب ــ سلسلة الموسوعة الصغيرة ــ مطبعة الشؤون الثقافية ــ بغداد ــ ١٩٨٨ .

الباراسايكولوجية الجديدة ... غداً : تأليف جان باري ــ ترجمة سعد هادي سليمان ــ إصدار دائرة الإعلام الداخلي ــ مطبعة الدار العربية ــ بغداد ــ ١٩٨٧ .

من فصول الكتاب : العالم الغامض للإنسان اللامتناهي ــ رفعة وبؤس الباراسايكولوجي ــ من ديكارت إلى عالم عقل جديد ــ الدماغ جهاز الأجهزة ... وغيرها من الفصول التي تبحث في علاقة العلم بالمعرفة الباراسايكولوجية .

في أصول الخطاب النقدي الجديد : تودروف ــ بارث ــ اكسو ــ مارك أنجينو ترجمة أحمد المديني ــ سلسلة المائة كتاب ــ الشؤون الثقافية العامة ــ بغداد ــ ١٩٨٧ ــ ط ١ ــ ١١٦ ص .

يحدد المترجم سمات النصوص النقدية الأربعة التي ترجمها في النقد البنيوي أنها : ١ ــ اختصاص بالأدب ومكوناته الأصلية في اللغة والكلام والعلامة والعلائق التي تنتج من كل مكون على حدة وبين الأطراف المختلفة التي تنتج النص داخل النص ٢ ــ توقف عند الدوال الشكلية بالأساس مما يؤدي إلى وضع الكتابة في إطار الأدبية ٣ ــ نظرة إلى النص الأدبي كمجال يمتلك دواله القادرة على ربط العلاقة مع المدلولات . ٤ ــ تراجع الدرس النقدي الكلاسيكي الذي ينظر إلى خصائص الكلام كحلية وكذلك النزعة التفسيرية ٥ ــ تواري النقد كدرس تلقيني ٦ ــ يصبح الخطاب هنا أليق بالنقد الأدبي وقد اتسعت الأطراف المشاركة فيه وأصبح معنياً بالنظم والهياكل والسنن والعلامات وتأسيس النقد على الابستمية وصولاً إلى علمية النقد .

فصول الكتاب هي : الإرث المنهجي للشكلانية ــ علاقة الكلام بالأدب ــ لترفتان تودروف ــ مغامرة الدال أو قراءة لرولان بارث لستيفن لاند ، وتحليل اللغة الشعرية لامبرتو اكو ، ومفهوم التناص في الخطاب النقدي الجديد لمارك أنجينو .

صناعة الشعر : تأليف تيدهيوز ــ ترجمة : مي مظفر ــ إصدار قسم البحوث في دار ثقافة الأطفال ــ بغداد ــ مطبعة سومر ــ ١٩٨٧ ــ ٢٠٢ ص .

الكتاب بالأصل محفزات مبرمجة ــ لتفجير طاقات الإبداع في صناعة الشعر لدى الفتيان ، والشعر في هذا الكتاب يتسع ليشمل الكتابة الإبداعية بمختلف أجناسها سواء كانت قصيدة بالمفهوم التقليدي أم شعراً حراً أم أنماطاً أخرى . والمؤلف تيدهيوز شاعر بريطاني يحمل منذ عام ١٩٨٥ لقب أمير الشعراء أو شاعر البلاط .

بدر شاكر السياب ــ حياته وشعره : تأليف عيسى بلاطة ــ نشر دار الشؤون الثقافية ــ بغداد ــ ١٩٨٧ ــ ط ٤ ــ ٢٢٢ ص .

مكانة الشعر في الثقافة العربية المعاصرة :

سلسلة دراسات أصدرتها دار الشؤون الثقافية ــ تضمنت محاضرات الموسم الثقافي للمربد السابع ــ بغداد ــ ١٩٨٧ ــ ط ١ .

من هذه الدراسات :

الشعر والثقافة العربية المعاصرة : صفاء خلوصي ــ مطاع صفدي ــ عناد غزوان ــ عز الدين إسماعيل ــ فاضل ثامر مع مقدمة لحسن جاسم الموسوي (٨٤ ص) .

الشعر والشخصية القومية : عيسى بلاطة ــ عبد الحميد إبراهيم ــ بلقيس الخضراني ــ (٥٢ ص) .

الشعر في عصر العلم : حسام الآلوسي ــ إدريس الناقوري ــ مالك يوسف المطلبي (١٥٦ ص) .

الشعر والترجمة : عبد الواحد لؤلؤة ــ صالح جواد الطعمة ــ سلمان داود الواسطي ــ محمد عبد الحي (٦٠ ص) .

نقد النص والتفسير الأدبي : إعداد : جيروم ماككن ــ ترجمة نجدت كاظم موسى ــ دار الشؤون الثقافية العامة ــ بغداد ــ ١٩٨٨ ــ ط ١ ــ ٢٥٦ ص .

كل مقالة من الكتاب ــ كما يقول المحرر ــ تشكل دراسة قائمة بذاتها ولكنها إذا ما أخذت جميعاً فإنها تقدم مناقشة أكبر أهمية حول «أسلوب وجود العمل الأدبي» ، إنها تدرس الدراسات الشكسبيرية من وجهة نظر نقدية جديدة خارج علم التأويل والتفسير ، بانسجام مع الفيلولوجيا (فقه اللغة) وقد أنتجت بحوث الكتاب لمؤتمر الإنسانيات الذي انعقد عام ١٩٨١ وعام ١٩٨٢ بإشراف مؤسستي ونيكمارت ومعهد كالفورنيا الفني .

من بحوث الكتاب :

شكسبير منقحا ــ أرنست هونيكمن .

مشاكل نصية ــ مايكل وارن .

منطق نقد النص وطريق العبقرية ــ لي باترسون .

تحقيق نصوص العصر الوسيط ــ ديريك بيرسل .

الرقابة الذاتية وتحقيق النصوص ــ بايرز ــ بالإضافة إلى مقدمة تعريفية للمترجم .

الرؤيا في شعر البياتي ــ تأليف محيي الدين صبحي ــ دار الشؤون الثقافية ــ بغداد ــ مطبعة الدار ــ ط ١ــ ٣٩٠ ص .

من فصول الكتاب : مدخل في تحديد مفهوم الرؤيا ــ بين الرؤية والرؤيا ــ الثوري اللامنتمي في ديوان أباريق مهشمة ــ الثوري المنتمي والتأرجح بين الرؤية والرؤيا في المرحلتين ــ بروز تقنية القناع ــ تحديث الرؤيا .

شاعر العرب عبد المحسن الكاظمي : تأليف محسن غياض عجيل ــ دار الشؤون الثقافية ــ بغداد ــ ١٩٨٨ ــ ط ١ ــ ٩٦ ص .

كتاب يؤرخ لحياة الشاعر الكاظمي ولشعره في العراق ومصر وقدرته الغريبة على الارتجال وتحليل لذلك ولآراء المازني والعقاد ومصطفى عبد الرازق والرافعي وغيرهم فيه .

الصورة الفنية معياراً نقدياً : تأليف : عبد الإله الصائغ ــ دار الشؤون الثقافية ــ بغداد ــ ١٩٨٧ ــ ط ١ ــ ٥٩٤ ص .

حاول المؤلف في كتابه هذا دراسة الصورة الفنية من خلال استقراء الجهود المبذولة من نقاد العرب القدامى والمحدثين في هذا الاتجاه ، وقد اختار الناقد الشاعر الأعشى ميمون بن قيس البكري أو الأعشى الكبير مجالاً لدراسته هذه باعتباره شاعراً تميز بغزارة صوره الفنية وحرارتها وشدة تأثيرها .

أدب قصص الخيال العلمي وعالم الأطفال : تأليف : نوري جعفر — دار ثقافة الأطفال — بغداد — ط ٢ — ١٩٨٧ — سلسلة الدراسات — مطبعة سومر — ١٢٠ ص

من فصول الكتاب : أدب قصص الخيال العلمي — رواد أدب قصص الخيال العلمي — أدب قصص الخيال العلمي وعالم الأطفال .

شـعـر :

يوميات أمريكي لاتيني في بغداد : شعر : سرخيو ماثياس — ترجمة خيري الزبيدي — دار الشؤون الثقافية — بغداد — ١٩٨٨ ط ١ .

شاعر من شيلي زار بغداد مراراً وكتب لها وعنها مجموعة من القصائد التي تغني للمعركة وللبطولة .

روائع الحكم في أشعار الإمام علي بن أبي طالب : تقديم وضبط وشرح : عبود أحمد الخزرجي — بخط يحيى سلوم العباسي — نشر المكتبة العالمية — مطبعة الشؤون الثقافية — بغداد ٢٢٨ ص .

ديوان الإمام علي مشروحاً ومحققاً مع مقدمة ضافية في حياته وشعره .

لقاء : لكِ القصيدة وللورد ذاكرتي : شعر : علي حمدان الفاخ — مطبعة دار السلام — بغداد — ١٩٨٨ — ط ١ — ١٠٠ ص .

عشرون قصيدة حديثة للشاعر في مختلف الأغراض تتميز بالحداثة والعنفوان الوجداني .

قصص وروايات :

أيام في الذاكرة : تأليف : علي خيون (قصص) — دار الشؤون الثقافية — بغداد — ١٩٨٧ .

مجموعة من قصص الكاتب التي صور فيها جوانب من تفاصيل حياة المقاتل زمن الحرب انقسمت إلى بابين : الأول قصص قصيرة والثاني قصص قصيرة جداً تكثف اللحظات الدرامية في سطور قليلة موحية .

فريـا : رواية جوزيف كونراد — ترجمة كرم حبيب حلمي — دار الشؤون الثقافية — بغداد — ١٩٨٧ — ط ١ .

اسم الرواية بالكامل (فريا فتاة الجزر السبع) للبولندي ذي الثقافة الانكليزية كونراد (١٨٥٧ — ١٩٢٤) ، من رواياته الشهيرة : قلب الظلام ، لوردجم ، نسترومو . وقد جاء في مقدمة المراجع ما يشير إلى ضعف فني تشكو منه الرواية المترجمة وهو يلح عدة مرات في مقدمته القصيرة على ضعف الرواية قياساً لروايات كونراد الأخرى ، فإذا كان ذلك صحيحاً — ونحن نشك في هذا الرأي — فلماذا وافق المراجع على القيام بعمله وتبني تقديم العمل للقارىء ؟ إن كونراد واحد من عمالقة الكتابة الروائية أمثال جيمس جويس وهنري جيمس .

الشاهدة والزنجي : تأليف : مهدي عيسى الصقر — رواية من إصدار دار الشؤون الثقافية — بغداد — ١٩٨٨ — ط ١ — ١٤٠ ص .

الرواية الأولى المنشورة للصقر وتصور البصرة زمن الحرب الثانية كما صنفها الروائي لا الأحداث الحقيقية*، فهي قراءة أخرى للوقائع بصياغة فنية متفردة تمتلك أسلوب الصقر وصياغته العقلية للعمل الدرامي .

رحلة الثعبان الأسود : تأليف : معد فياض — رسوم جاسم الفضل — السلسلة القصصية — دار ثقافة الأطفال — مطبعة سومر — ١٩٨٧ — ٤٠ ص .

مغامرة مصورة للفتيان في ربوع البحر والبر الافريقي .

ميشكا يلتحق بالمقاتلين : تأليف : ميخائيل شولوخوف — ترجمة : كاظم سعد الدين .

رواية حرب قصيرة — دار ثقافة الأطفال — مطبعة سومر — بغداد — ط ١ ١٩٨٧ م .

الغريم (قصص) تأليف منير عبد الأمير — دار الشؤون الثقافية العامة — بغداد — ١٩٨٨ م — ط ١ .

كنوز الملك سليمان : رواية للفتيان تأليف : هنري رايدر هكارد — ترجمة محمد باقر تويج — دار ثقافة الأطفال — مطبعة شركة المنصور — بغداد — ١٩٨٧ — ط ١ .

بيتربان : رواية للفتيان — تأليف : جي . ايم . باري — ترجمة شفيق مهدي — دار ثقافة الأطفال — ط ١ — مطبعة سومر — ١٩٨٧ .

قصص عالمية : ترجمة : حسونة المصباحي — دار الشؤون الثقافية — سلسلة المائة كتاب — بغداد — ١٩٨٨ — ط ١ — ١٣٦ ص .

من هذه القصص : آثار دمك على الثلج / صيف السيدة فورباس السعيد لفارسيا ماركيز — طيران الصقر لمونتالي — الحشرات / اسمع أيها الصديق لبشار كمال — جحا للإيطالي شياشيا / الغراب يأتي الأخير لكالفينو — الكلب لدورنمات .

فنون غنائية :

الغناء العراقي : تأليف : ثامر العامري — دار الشؤون الثقافية بغداد — ١٩٨٨ — ط ١ — ٢٦٢ ص .

تناول المؤلف في هذا الكتاب جميع الألوان الغنائية في العراق وخاصة الألوان الثلاثة الرئيسية : المقامات العراقية والأغاني الريفية وأغاني البادية وأريافها واستطاع أن يستخدم النوتة الموسيقية لتوثيق اللحن الذي جمع كلماته المبثوثة في الصدور وبذلك كان عمل المؤلف فنياً وفولكلورياً في آن ، من فصول الكتاب : التدوين الموسيقي والغنائي بين الماضي والحاضر — المقامات العراقية — الأبوذية العراقية — غناء البادية — البسته — العتابة — النايل — الدبكة — الهجع — الموال البغدادي — المربع .

تشريعات قانونية :

العقوبة السالبة للحرية قصيرة المدة وبدائلها : تأليف : نشأت أحمد نصيف الحديثي — مركز البحوث القانونية بوزارة العدل — مطبعة دار الحرية — بغداد — ١٩٨٨ — ط ١ .

وقائع اجتماعات المجلس التشريعي : إصدار المجلس التشريعي لمنطقة الحكم الذاتي — مطبعة الأديب — بغداد — ١٩٨٧ — ج ٢ — تشريعات ونقاشات المجلس في جلسات السنوات ١٩٨٠ — ١٩٨٣ .

المناقشات والتعقيبات

تعليقات على نقائض الدكتورين شعبان والسويدان

فوزي خليل الخطيب

مكتبة جامعة اليرموك - اربد - الأردن

تقديم :

قرأت على صفحات هذه الدورية ثلاث مقالات عن رؤوس الموضوعات العربية ، اثنتين منها للدكتور السويدان والثالثة للدكتور شعبان . وذكرتني هذه المقالات بنقائض الشاعرين التميميين جرير والفرزدق ، ومعارك الهجاء بينهما ؛ ولعلّ القارىء يستغرب هذا الربط بين الشاعرين والمكتبيّين ، ويعدّه غير منطقي ، إلاّ أن هذا الاستغراب لا يلغي هذا الارتباط ؛ فإذا كانت نقائض الشاعرين ليست هجاء كلها ، فهي خليط من فنون الشعر التي عرفها الأدب في ذلك الحين[1] ، فيها فخر وفيها مدح وفيها نسيب ، وفيها وصف للبادية ونباتها وحيوانها ؛ فإن مقالات المكتبيّين ليست هجوماً كلها ، فهي خليط من فنون المكتبات في القرن العشرين ، فيها فهرسة ورؤوس موضوعات وتصنيف ، وفيها فخر وفيها مدح وفيها نسيب ، وفيها وصف لقوائم رؤوس الموضوعات وفنّها ولغتها . وعلى الرغم من أنّ النقائض جاءت شعراً ، والثانية جاءت نثراً ؛ وعلى الرغم من اختلاف الحالتين زمناً وفنّاً ومكاناً ، إلاّ أن كلاًّ منهما كان هجاء .

وإذا جاز لي عمل إحالة انظر من الشاعرين التميميين ، وإحالة انظر المكتبيّين الكبيرين ، فإن النّور الأخضر يسمح بالعبور ، وعليَّ أن ألتزم بقواعد المرور وعلاماته وأخلاقياته .

اعترافات :

أعترف أولاً أن كلاً من الدكتورين شعبان والسويدان له باع طويل في مجال علم المكتبات ، فالأول أستاذ فاضل غني عن التعريف ، والثاني عرفته من خلال أعماله وخاصة كتابه عن التصنيف .

وأعترف ثانياً أن رؤوس الموضوعات العربية أصبحت علماً له أسسه وفلسفته ، ويدرس في الجامعات العربية ، على يد الدكتور محمد فتحي عبد الهادي الذي بدأ البحث العلمي في هذا الموضوع منذ بداية السبعينات ، وآتى أُكله سنة ١٩٧٥ [٢] ، وفي سنة ١٩٧٧ صدر كتابه القيّم بعنوان الفهرسة الموضوعية : دراسة في رؤوس الموضوعات العربية ، وصدرت طبعته الثانية في سنة ١٩٨١ [٣] . وتعدّ مؤلفات الدكتور محمد فتحي عبد الهادي مصدراً أساسياً لكل من يكتب في رؤوس الموضوعات أو ينشىء قوائم فيها .

وأعترف ثالثاً أن قائمة رؤوس الموضوعات العربية الكبرى هي أفضل وأشمل قائمة شهدتها الساحة العربية ، وهذا الاعتراف لا ينفي عن القائمة الأخطاء ولا يعفيها من النقد .

النقد ونقد النقد :

بعد هذه المقدمة وهذه الاعترافات ، أحاول أن ألقي بعض الضوء على المقالات الثلاث ، لعلّه يجلو الصورة ويزيل اللبس ؛ وبعدها أتناول القائمة الكبرى بشيء من النقد ، وقد يقودني الحديث إلى بعض القضايا الجانبية التي أرى أن لها بالموضوع صلة . ورأيت أن أقسم النقد إلى عدّة أجزاء ، تسهيلاً للدراسة أولاً ، وتحقيقاً للهدف منها ثانياً ، وتدعيماً لبعض الحقائق ثالثاً .

أولاً : قيم علمية

النقد ـــ كما نعرفه ـــ اختبار الشيء وتمييز جيّده من رديئه ، ونقد أي عمل هو إظهار ما فيه من عيوب أو محاسن . وعلى الرغم من أنّ جميع النقّاد يدركون هذه الحقيقة ، إلاّ أن من يلتزم بها قليل ، وغالباً ما ينقسم النقاد إلى مجموعتين : الأولى تتجه إلى المدح وذكر المحاسن ، وهذا مُجاملة رخيصة ؛ والثانية تتجه إلى الذّم وذكر المعايب ، وهذا مهاجمة ظالمة ، والاتجاهان يبتعدان عن الموضوعية ، ويتجاهلان حقيقة النقد .

وممّا يؤسف له أن المكتبيّين الفاضليْن سلكا الاتجاه الثاني ، وكان الدكتور السويدان بادئاً ، فجاء الدكتور شعبان مدافعاً ، ولكنه كان غاضباً ، فلم تخل عباراته من نبرة حادّة ، ولم تسلم من كلمات قاسية ، وهذا ما لم أشهده في الدكتور شعبان .

ثانياً : شروط

الفهرسة الموضوعية ـــ وليست الوصفية ـــ والتصنيف العلمي ـــ وليس رمز التصنيف ـــ ، عمليتان فنيتان دقيقتان ، تحتاجان إلى شروط لا بد من توفرها فيمن يمارسها نظرياً وعملياً ، ولعلّ أهم هذه الشروط هي :

١ ـــ معرفة حقيقية باللغة العربية ، طبيعتها وفقهها ، وتراكيبها وتقاليبها ، وما فيها من قضايا الاشتقاق والإبدال والمعاني .

٢ ـــ ثقافة واسعة في المعرفة وفروعها ، ومصطلحات كل علم وأجزائه ، ودراسة مستمرّة للإنتاج الفكري وموضوعاته واتجاهاته .

٣ ـــ تخصص في علم المعلومات والمكتبات وممارسات عملية طويلة وعميقة ، وأعني بالتخصص أن يكون أساسه ليسانس مكتبات . وإذا نظرنا إلى واقع المكتبات في عالمنا العربي لمعرفة مدى توفر الشروط السابقة ، فإننا نجد الحالات التالية :

١ ـــ مكتبات جامعية كثيرة تشترط فيمن يعمل في الفهرسة والتصنيف أن يكون حاصلاً على شهادة جامعية في اللغة الانجليزية .

٢ ـــ حملة ماجستير يمتد تاريخهم في مجال المكتبات تسعة شهور . وفي بريطانيا أو أمريكا ؛ يحتلّون مراكز خاصّة .

٣ ـــ مديرون كثير منهم أصبحوا مؤلفين على أكتاف موظفيهم .

٤ ـــ مؤتمرات يحضرها ـــ غالباً ـــ ذوو المراكز الوظيفية ، وليس ذوو المعرفة الحقيقية في علوم المكتبات .

ثالثاً : بؤرة

أعود الآن ـــ ومعذرة للاستطراد ـــ للبؤرة ، فأتناول المقالات الثلاثة بشيء من النقد ، ثم أنتقل إلى قائمة رؤوس الموضوعات العربية الكبرى .

١ ـــ القضايا اللغوية

أ ـــ الجذاذات والجزازات : عدّ الدكتور السويدان استخدام الجزازات

(بالزاي) خطأ لغوياً ، وفصّل الحديث ليؤكد ما عدّه خطأ في مقاله الثاني — مج ٩ ، ع ٢ مايو ١٩٨٨ م ، ص ص ٢٨٨ — ٢٨٩ .

والحقيقة أن رجوع الدكتور السويدان إلى المعجم الوسيط ولسان العرب ، لم يسعفه في تقديم حجّة تدعم قوله ، والنتائج التي توصل إليها لا تنسجم مع المقدمات التي استند عليها .

ومثل هذه القضايا يرجع فيها إلى كتب فقه اللغة ، وتندرج في أبواب القلب والإبدال ، والأخير يعني إبدال الحروف بعضها مع بعض ، أو الحروف التي يحل بعضها محلّ بعض ؛ وفي كتاب الإبدال لابن السِّكِّيت[٤] باب من تسعين صفحة يتصل بهذه القضايا ؛ ففي ص ١٢٥ ورد عن الأصمعي أنه يقال : رجل ألمعي ويلمعي إذا كان ظريفاً ، وهذا إبدال بين الياء والهمزة ؛ وفي ص ١٣٦ ، الحفالة والحثالة الرديء من كل شيء ، وهذا إبدال بين الفاء والثاء . وفي فقه اللغة للثعالبي[٥] ، اليرمع : الحجارة البيض تلمع في الشمس ، واليلمع كذلك ؛ وهو إبدال بين الراء واللام .

وفي كتاب المزهر للسيوطي[٦] باب بعنوان معرفة ما ورد بوجهين بحيث إذا قرأه الألثغ لا يُعاب ، وذلك كالذي ورد بالرّاء والغين ، أو بالرّاء واللام ، أو بالزّاي والذّال ، أو بالسّين والثاء ، أو بالقاف والكاف ، أو بالكاف والهمزة ، أو بالضاد والظاء ، أو باللام والنون ، أو بالدال والذال ، أو بالسين والشين .

والأصل في هذا النوع ما ذكره الثعالبي في فقه اللغة ، قال : أنا أستظرف قول الليث عن الخليل : الذّعاق كالزّعاق ، سمعنا ذلك من بعضهم وما ندري ألغةٌ أم لثغة ؛ ويقال فلان من جنثك وجنسك أي من أصلك ، وهذا إبدال بين الثاء والسين ؛ ويقال الوطث أي الضرب الشديد بالرّجل على الأرض لغة في الوطس .

وفي الغريب المصنف لأبي عُبيد ، قال الفرّاء : غانت نفسه ورانت ، تغين وترين إذا غثت . وهو إبدال بين الغين والرّاء .

ومما ورد بالذال والزاي ، موت ذؤاف وزؤاف أي يعجّل القتل ؛ وذَرَق الطائر وزرق ؛ وزبرت الكتاب وذبرته أي كتبته . وفي ديوان الأدب ، الأحوذي مثل الأحوزي أي الراعي المشمّر للرعاية الضابط لما ولي .

وفي المحكم لابن سيده ، يقال اللّيل واللّين ، على البدل بين اللام والنّون .

وقياساً على ما تقدّم فإن الزّاي في جزازات ، والذّال في جذاذات حرفان يحلّ أحدهما محل الآخر على البدل ، دونما تغيير في المعنى .

ب — أثمرت وأسفرت : عدّ الدكتور شعبان استخدام أثمرت خطأ لغوياً ، فقال وصحتها أسفرت . والحقيقة أن الصيغتين جائزتان ، فالإثمار هو النتيجة ، والإسفار هو الوضوح والانكشاف .

وإذا رجعنا إلى المعجم الوسيط تحت مادة ثمر ، فإننا نجد ما يلي : أثمر الشجر أي بلغ أوان الإثمار ؛ وأثمر الشيء أي أتى بنتيجته ؛ وأثمر ماله أي كثر . وتحت مادة سفر نجد ما يلي : أسفر أي وضح وانكشف ، يقال أسفر الصبح وأسفر وجهه : أي أضاء وأشرق ؛ وسفرت المرأة أي كشفت عن وجهها .

٢ — نقد النّقد :

سلك الدكتور السويدان في نقده لقائمة رؤوس الموضوعات العربية الاتجاه الثاني ، إذ كان حاداً في نقده ، والغريب أن بعض ما أخذه على القائمة كان قد وقع فيه عند إعداد قائمته ، وفي نقده للقائمة الكبرى أصاب قليلاً وجانب الصواب كثيراً ؛ وكي لا يطول هذا المقال فسأوجز ملاحظاتي فيما يلي :

أ — الجوانب الإيجابية في نقد الدكتور السويدان :

• إن إعطاء الكتاب الواحد عشرين رأس موضوع — كما ذهب الدكتور شعبان — أمر فيه إفراط ، كما أنه ليس عملياً .

• بعض التفريعات الزمنية ، مثل تفريعات عصور الأدب تحت السعودية ، تمثيل لعصور زمنية غير واقعية .

• تكرار العصور التاريخية للأدب العربي ، كما في الأدب العربي — السعودية ص ١٣٦ ؛ والأدب العربي — مصر ص ١٣٨ .

ب — الجوانب السلبية في نقد الدكتور السويدان :

• إن تاريخ رؤوس الموضوعات العربية يرجع — كما ذكرت — إلى بداية السبعينات من هذا القرن ، وليس أواخرها كما ذهب الدكتور السويدان ؛ مع وجود محاولات فجّة أواخر الستينات .

• ما أخذه الدكتور السويدان على القائمة بأنها تهتم بالشكل أو المظهر دون الجوهر فيه مغالطة وذم — تصريحاً وتلميحاً — ولو كان معدّا القائمة يقصدان ضخامتها لوضعا رؤوس الموضوعات تحت الإحالات في سطور عمودية وليست أفقية .

• إن طول مقدّمة القائمة ينسجم تماماً مع حجمها ، ونقد الدكتور السويدان لطول المقدّمة يبعد عن حقيقة النقد .

• الخلاف بين الدكتورين المذكورين على دلالة الفهرسة الموضوعية ورؤوس الموضوعات والتصنيف ، خلاف جدلي شكلي ؛ وقد أثاره الدكتور السويدان . ولست هنا بصدد الخوض في تعريفات جامدة ، وأكتفي بالقول إن المصطلحات الثلاثة طرق لتقسيم المعرفة موضوعياً ؛ وأضيف أن قسم الفهرسة الموضوعية في مكتبة الكونجرس يقوم بإعداد رؤوس الموضوعات وعملية التصنيف معاً ، ولعلّ هذا ما تفعله المكتبات الأخرى عند التحليل الموضوعي .

• غالى الدكتور السويدان في مقاله الثاني في الاستشهاد بالمصادر الأمريكية ؛ وهذا يذكّرني بما يجري في المكتبات الجامعية العربية التي تقوم بترجمة رؤوس الموضوعات في قائمة مكتبة الكونجرس ، وتأخذ أرقام التصنيف من National Union Catalog ، فتقع في تناقضات عجيبة وأخطاء رهيبة .

• يعد الدكتور السويدان كل ما يؤدي إلى تضخم القائمة عيباً ، ولكنه يطالب بالعناية بالحواشي ، وفي هذا تناقض .

• عاب الدكتور السويدان على القائمة افتقارها إلى التخصيص أو التحديد ، وأنها استخدمت الأقواس استخداماً غير مناسب في بعض الحالات ؛ وهو يقرّ استخدام الأقواس إن كانت مناسبة . والحقيقة أن صلاحية الأقواس في مكان ، وعدمه في آخر قضيّة لا تخضع للمزاج .

وفي هذا المقام ، أرى أن أهم جانب إيجابي في قائمة السويدان هو قلة الأقواس فيها ؛ وأرى أيضاً أن الأقواس هي أسوأ مظهر في القوائم العربية ، فلغتنا العربية قادرة على توفير الصيغة الملائمة لأي رأس موضوع دونما حاجة إلى الأقواس ، وسأعود إلى هذه القضية في موضع لاحق .

• يحصر الدكتور السويدان طرق التجزيء أو التفريع بأربع : بالشكل والوجه والزمان والمكان ؛ وهنا تبرز قضية مهمة ، وهي أن جميع من أنشأوا القوائم لم

يلتزموا بهذا الأساس .

٣ ـــ نقد القائمة الكبرى وإشارات للأخرى :

أ ـــ الجوانب الإيجابية :

• تعد قائمة رؤوس الموضوعات العربية الكبرى أشمل وأوسع قائمة ظهرت حتى الآن على الساحة العربية ؛ وتعد مقدّمتها أكثر المقدمات دقّة وشمولاً .

• الإحالات بمختلف صورها تشكّل منهجاً جديداً في القوائم العربية ، وتتصف بالإحاطة الموضوعية ؛ وكثرتها في القائمة لا يعيبها ، وللمفهرس اختيار ما يناسب .

• تخلصت القائمة من كثير من الأقواس والرؤوس المقلوبة ، وتمنّيت لو خلصت منهما تماماً ، واستخدمت اللغة الطبيعية .

• استخدمت القائمة اللغة الطبيعية ، وبذلك جمعت رؤوس الموضوعات التي تشتتها اللغة المصطنعة . فاستخدام صيغة بحيرة وغزوة وما إلى ذلك يضمن عدم التشتيت كما يحدث في الرؤوس المقلوبة .

• بادرت كثير من المكتبات إلى اعتماد هذه القائمة كأساس لرؤوس الموضوعات العربية ، ومن هذه المكتبات مكتبة جامعة اليرموك في الأردن .

ب ـــ الجوانب السلبية :

على الرغم من أن القائمة هي أفضل ما ظهر على الساحة العربية حتى الآن ، وعلى الرغم من غزارة مصادرها وتنوعها ، وعلى الرّغم من الجهد الشاق والطويل الذي أثمرت عنه القائمة أو أسفرت ، إلاّ أنها لا تسمو على النقد ؛ وأعتقد أن الدكتور شعبان لا يغضب من النقد ـــ كما أعتقد الدكتور السويدان ـــ ، شريطة أن لا يتجاوز هذا النقد مفهومه وحدوده . وأوجز الجوانب السلبية فيما يلي :

• أغفلت مقدمة القائمة بعض المصادر المهمة ، ومنها الفهرسة الموضوعية للدكتور محمد فتحي عبد الهادي ؛ وبعض معاجم للمصطلحات الأساسية مثل المعجم الفلسفي لجميل صليبا ، ومعجم مصطلحات البلاغة لأحمد مطلوب ، ومعاجم مصطلحات مهمة أخرى .

• عدم التخلص التّام من الأقواس ، وهذا ضعف في جميع قوائم رؤوس الموضوعات العربية ، وتقليد لقوائم رؤوس الموضوعات الغربية وخاصة قائمة الكونجرس . وقد يحتج معدو القوائم بالأقواس كوسيلة للتخصيص والتحديد ، ولكن حجتهم لا تقوى على الثبات ما دامت اللغة العربية قادرة على تقديم صياغة طبيعية ذات دلالة واضحة ودقيقة ؛ وفي الأمثلة التالية ما يؤيد ذلك :

الإرادة (تصوف إسلامي) الأفضل الإرادة في التصوف الإسلامي
البديهيات (رياضيات) الأفضل البديهيات الرياضية
التعبيرية (أدب) الأفضل التعبيرية في الأدب
الثعالبة (الخوارج) الأفضل الثعالبة
الحدود (فقه إسلامي) الأفضل الحدود الشرعية
عثمان بن عفان (الخليفة) الأفضل عثمان بن عفّان

• استخدام الكاف في غير ما يستخدم ؛ وتستخدم الكاف للتشبيه نحو : زيد كالأسد ، وأهل العربية يقيمونها مقام الاسم(٧) ، فيقولون : مررت بكالأسد ، أرادوا بمثل الأسد ؛ وليس للكاف استخدام آخر في بداية الاسم .

وقد استخدمها كل من الدكتورين المذكورين في قائمته في غير ما تستخدم له ، ونجد مثالين لهذا الاستخدام في كلتا القائمتين وهما : المرأة كفنانه ؛ المرأة كمؤلفة .

والغريب أنّ كلاً من الدكتورين استخدم المرأة العاملة ، ثم حاد عن هذا النهج .

وأرى أن الصيغة الحقيقية للرأسين السابقين هي : المرأة الفنانة ، والمرأة المؤلفة ، قياساً على المرأة العاملة أو استخدام المبتدأ وما يسدّ عن الخبر ، فيكون الرأسان : المرأة مؤلّفةً ، والمرأة فنانةً ؛ وكل من مؤلفة وفنانه حال سدّ مسدّ الخبر .

ومع أن الدكتور محمد فتحي عبد الهادي في كتابه الفهرسة الموضوعية (ص ٨٧) ، درس معاني الحروف ومنها الكاف ، إلاّ أنه استخدمه في غير موضعه في رأس الموضوع : المرأة كمحامية .

• هنالك قضيّة تتصل بالنسق العام لتجزيء رؤوس الموضوعات ، فإذا كانت طرق التجزيء أربعاً ، بالمكان والزمان والشكل والوجه ، فإن رؤوس موضوعات الأدب العربي واللغة العربية تثير إشكالاً محيراً ، ولتوضيح هذا الإشكال أذكر ما يلي :

أ ـــ عدّ منشؤو قوائم رؤوس الموضوعات العربية الشعر العربي ، والنثر ، والقصة ، والمسرحية رؤوس موضوعات مستقلة ومباشرة .

ب ـــ ولكنهم عدّوا النحو والصرف والعروض تجزيئات من اللغة العربية ، وليست رؤوس موضوعات مباشرة .

جـ ـــ واستثنوا من النسق السابق البلاغة العربية وفقه اللغة ، أما الدكتور السويدان فلم يرد في قائمته فقه اللغة في أي مكان فإذا كان الشعر والنثر والمسرحية والقصة أشكالاً للأدب فماذا يعدّون النحو والصرف والعروض ؟ أهي أشكال للغة أم أوجه ؟ ولِمَ لم يخصصوا لها رؤوساً مباشرة ، علماً بأنهم خصصوا رؤوساً للبلاغة والفقه ؟ !

وهنالك قضيّة تتصل بعروض الشعر العربي ، وقد أتبعه منشؤو القوائم للغة ، ولعلّهم تأثروا بمكانه في خطط التصنيف ؛ وأرى أن عروض الشعر بالشعر ألصق . ولا أريد الإسهاب في هذه القضية ـــ ولعلّها نسج على منوال قائمة الكونجرس ـــ وإنما قصدت الإشارة إليها فحسب .

• في القائمة الكبرى عدم اتساق في تقسيمات الشعر العربي زمنياً ، ومخالفة للواقع ، وهذه أمثلة من القائمة :

الشعر العربي ـــ تاريخ ـــ العصر الجاهلي .
الشعر العربي ـــ تاريخ ـــ المخضرمون .
الشعر العربي ـــ تاريخ ـــ صدر الإسلام .
الشعر العربي ـــ تاريخ ـــ العصر الأموي .

والإشكالات التي تثور هنا هي :

أ ـــ المخضرمون من الشعراء هم الذين شهدوا الجاهلية والإسلام ، وجعلهم عصراً تاريخياً أمر لا يستقيم .

ب ـــ عصر صدر الإسلام مثار جدل بين المؤرخين ومؤرخي الأدب ، وقد استخدم في القائمة ليدل على على عصر الخلفاء الراشدين ، فإن صحّ القول ،

فالأولى استخدام عصر الخلفاء الراشدين ، أو على الأقل عمل إحالة . والدكتور شوقي ضيف[٨] وهو أكبر مؤرّخ للأدب العربي يطلق على عصري الخلفاء الراشدين والأموي ، العصر الإسلامي ؛ بينما نجد مؤرخاً للأدب مثل الدكتور محمد محمد حسين[٩] يطلق عليهما صدر الإسلام .

جـ ــ إنّ تطبيق هذه التجزيئات الزمنية على السعودية يناقض الواقع ، وسبق الحديث عن هذه القضية .

د ــ سمح منشؤو القوائم لأنفسهم صياغة رؤوس موضوعات مباشرة ومستقلة من أغراض الشعر العربي مثل : الشعر الحماسي ، شعر الرّثاء ، الشعر الغزلي ، شعر الهجاء ؛ ولكنهم لم يسمحوا لأنفسهم صياغة رؤوس مستقلة من عصور الشعر العربي المعروفة مثل : الشعر الجاهلي ، الشعر الأموي ، الشعر الأندلسي ؛ علماً بأن هذه العصور أهم من الأغراض ؛ كما أنهم في رؤوس الموضوعات المتصلة بأغراض الشعر لم يخصصوا لغة الشعر مثل شعر الرثاء ، الشعر الغزلي ، شعر الهجاء ، ويفهم من هذه الرؤوس شعر الرثاء والغزل والهجاء عامة ، والأجدر استخدام : شعر الرثاء العربي ؛ شعر الغزل العربي .. وهكذا .

• على الرغم من أن تجزيئات البلاغة العربية في القائمة الكبرى أفضل منها في قائمة الخازندار وقائمة الدكتور السويدان ، إلا أن التجزيء اختلفت مستوياته عند استخدام التجزيئين : الجناس والطباق ، وهما فرعان للبديع ؛ ويمكن قياساً عليهما استخدام الرؤوس : البلاغة العربية ــ تشبيه ؛ العربية ــ كناية ... وهكذا . أما الخازندار فقد ذهب مذهباً غريباً عندما استخدم الأقواس ، فظهرت في قائمته على النحو التالي :

البديع (بلاغة عربية)
البيان (بلاغة عربية)
المعاني (بلاغة عربية)

أما الدكتور السويدان فاكتفى برأس الموضوع البلاغة العربية ، وجعل المعاني فرعاً من اللغة العربية : اللغة العربية ــ معاني ؛ وواضح أن علم المعاني فرع من فروع علوم البلاغة الثلاثة ، وهي البيان والمعاني والبديع .

• يلاحظ في قوائم رؤوس الموضوعات العربية عدم الالتزام بنسق واحد ، ففي قائمة رؤوس الموضوعات الكبرى نجد نسقاً موفقاً في صياغة رؤوس الموضوعات المتصلة بأشخاص بينهم رابطة المهنة أو التخصص مثل : الأطباء ، الرحالة ، الرسامون ، السفراء ، الفلكيون ، ثم يضاف لكل رأس ما يخصص قوميته أو جنسيته مثل : الأطباء السعوديون ، الرحالة العرب ... وهكذا .

ولكن هذا النسق تختل بنيته ويفقد جماله في رؤوس موضوعات أخرى على الرغم من انتساب هذه الرؤوس إلى هذا النسق ، وفي الأمثلة التالية ما يجلو الصورة :

الأدباء العرب ــ الأندلس ، الأدباء العرب ــ المهجر
ونجد صيغتين مختلفتين للأدباء المصريين والسعوديين .
الأدباء المصريون و الأدباء العرب ــ مصر
الأدباء السعوديون والأدباء العرب ــ السعودية

ونجد تقسيمات جغرافية في الرحالة ــ مصر ، الشعراء العرب ــ مصر والأفضل الالتزام بالنسق العام واستخدام : الرحالة المصريون ؛ الشعراء المصريّون .

• هنالك مصطلح ليس له دلالة محدّدة ، ويختلط أحياناً بالتجزيء الوجهي ، ويؤدي أحياناً أخرى إلى استخدام كلمة لا لزوم لها ، وهذا المصطلح هو رأس الموضوع المقلوب ؛ وإذا كانت بعض اللغات الأجنبية تضطر لاستخدامه لأن الصفة فيها تسبق الموصوف مثل : Chemistry, Organic ، فإن رؤوس الموضوعات العربية لا تحتاج لهذا القلب . والحقيقة أن منشئي القوائم لم يستطيعوا وضع حدّ واضح بين استخدام الأقواس للتخصيص وبين استخدام الفاصلة للرأس المقلوب ، وعليه فيمكن استخدام الأقواس لكل الرؤوس المقلوبة ، ويمكن أيضاً استخدام الفاصلة في جميع أماكن التخصيص ، وهذه أمثلة توضح هذا الاستخدام :

التواضع (تصوف إسلامي)	التواضع ، تصوف إسلامي .
الأجناس ، علم	الأجناس (علم)
الاحتمالية (منطق)	الاحتمالية ، منطق
الزهرة ، كوكب	الزهرة (كوكب) .

فإذا كانت الأقواس المخصّصة ، وفواصل الرؤوس المقلوبة ليس لهما ضابط ، فلماذا لا تستبدل جميعها بلغة طبيعية مناسبة ؟ ما هو الخطأ في استخدام الرؤوس التالية ؟

التواضع في التصوف الإسلامي	أو التواضع
علم الأجناس	أو الأجناس
الاحتمالية المنطقية تمييزاً لها عن	الاحتمالية الأخلاقية
كوكب الزهرة	الزهرة .

فإن اعترض أحد على استخدام صيغة : علم الأجناس أو علم النفس أو علم الاجتماع ، بأن الهدف هو التركيز على المضاف إليه ، فإنّ هذا الاعتراض مردود ، لأن اللغة العربية ــ كما سبق ــ تقدّم الصيغة المناسبة مثل : الأجناس علماً ؛ الاجتماع علماً أي الأجناس كونها علماً ، وعلماً هنا حال يسدّ مسد الخبر ؛ وأرى أن إقحام الأقواس والفواصل والرؤوس المقلوبة ، كلّها تقليد لقوائم رؤوس الموضوعات الغربية ، وخاصة قائمة رؤوس موضوعات مكتبة الكونجرس .

• وفي قائمة رؤوس الموضوعات الكبرى بعض رؤوس الموضوعات التي تتسم بضعف الصياغة ، وبعضها يقع في دائرة عدم الاتّساق ؛ ومن الأمثلة على النوع الأول :

الفقه الإسلامي ، أصول . والأفضل : أصول الفقه ، فهو علم مستقل ومختلف عن الفقه ، ويماثل أصول الحديث ، وأصول النحو ؛ وأصول العلوم هي قواعدها التي تبنى عليها الأحكام .

السّكر ، قصب . وهو رأس موضوع مفتعل ، والأدق منه قصب السّكر .
المباني ، التفتيش على ؛ المصانع ، التفتيش على ؛
الآثار ــ التنقيب عن ؛ البترول ــ التنقيب عن
وأرى أن الرؤوس التالية أكثر مناسبة ، وهي :

المباني ــ التفتيش	أو	المباني ــ الرقابة
المصانع ــ التفتيش	أو	المصانع ــ الرقابة
الآثار ــ التنقيب		
البترول ــ التنقيب .		

وفي رؤوس الموضوعات المتصّلة بفروع علم أصول الفقه ، نجد عدم الاتساق :

الاجتهاد (فقه إسلامي)

الإجماع (أصول الفقه)

الاستحسان (أصول الفقه)

شرع مَن قبلنا

العرف

القياس (أصول الفقه)

المصالح المرسلة

وواضح أن بعض الفروع لم تخصص ، كما أن الاجتهاد ألصق بأصول الفقه منه بالفقه ؛ وأرى أن الرؤوس السابقة لا تحتاج إلى التخصيص ؛ كما يمكن أن تعامل كأوجه لأصول الفقه تماماً كما اتجهت القائمة في البلاغة العربية .

أصول الفقه ــ الكتاب

أصول الفقه ــ السنة

أصول الفقه ــ الإجماع

أصول الفقه ــ الاجتهاد

أصول الفقه ــ رأي الصحابي

أصول الفقه ــ الاستحسان

أصول الفقه ــ شرع من قبلنا

أصول الفقه ــ العرف

أصول الفقه ــ القياس

أصول الفقه ــ المصالح المرسلة .

كما تلزم إحالة من مصادر الفقه إلى أصول الفقه .

ومن رؤوس الموضوعات الضعيفة الصياغة أيضاً :

الشريعة الإسلامية ، الاستهزاء عليها ؛ والفعل استهزأ يأخذ حرف الجر الباء ، أي الاستهزاء بها ، ويبقى الرأس ضعيفاً بعد استخدام الباء . والرأس المناسب : الشريعة الإسلامية ــ مطاعن .

كلمة أخيرة :

لا يعني ما قدّمت من نقد أو وجهات نظر أن قوائم رؤوس الموضوعات العربية ليست جديرة بالتقدير ، وإنّما هي أعمال جليلة ، فقد قدّمت هذه القوائم للمكتبات العربية أداة ضرورية من أدوات التحليل الموضوعي .

والحقيقة أن هؤلاء الذين بذلوا جهداً شاقاً وطويلاً يزيد فضلهم على ناقديهم ، ولكنّ في النقد تقويم وتوجيه ، وفيه غيرة صادقة على مستقبل مكتباتنا العربية .

وأرجو أن أنبه إلى الأمور التالية :

أ ــ أن نعرف بعمق ورغبة وصدق حقائق اللغة العربية ودقائقها ، وأن نعتز بها ونطوّعها لكل الأغراض العلمية .

ب ــ أن نأخذ من المصادر الغربية بطريقة إبداعية واعية ، وليس بطريقة التقليد والمحاكاة .

جـ ــ أن ندرك الموضوعات العربية وخاصة ما يتّصل باللغة والأدب والدين الإسلامي والتاريخ ، وفروع كل موضوع وأجزائه .

د ــ أن ندرك المصطلحات العلمية ودلالاتها عند ذوي الاختصاص ، ثم نصوغها بلغتنا العربية بلا أقواس ولا قلب . ولعلّ في المراجع العربية القديمة ما هو أدقّ وأغزر مما في قائمة رؤوس موضوعات مكتبة الكونجرس .

وآمل أن يكون في هذا المقال بعض القيم العلمية ، وطرح لبعض القضايا التي تستحق بحثاً وحلاً ، وآمل أن يكون لدينا ثقة بتراثنا العربي أكثر من ثقتنا بالأعمال الغربية ، أو مثلها على أقل تقدير .

مشروع الموسوعة الإسلامية
باللغة التركية

شعرت بعض الجهات الإسلامية في تركيا بالحاجة لوجود موسوعة إسلامية مكتوبة بأقلام إسلامية على غرار الموسوعة الإسلامية التي قرر مؤتمر المستشرقين إصدارها باللغات الإنكليزية والفرنسية والألمانية ، وتألفت لها مؤسسة خاصة في هولندا ، فأصدرت طبعة منها ، ولكنها وجدتها غير وافية بالغرض فعمدت إلى إصدار طبعة جديدة وصلت فيها إلى حرف (M) . ومعظم المشاركين في كتابة مقالات هذه الموسوعة من غير المسلمين ، فضلاً عن كونها بلغات غير معروفة لدى جمهور المسلمين الذين لا يستطيعون الاستفادة منها على ما فيها من عيوب ونواقص لا يرضاها المسلمون .

وبناء على ذلك **فقد قررت رئاسة الشؤون الدينية التركية** إنشاء مؤسسة خاصة ذات شخصية قانونية مستقلة للقيام بهذه المهمة وهدفها الأول تصنيف موسوعة إسلامية شاملة (عدد موادها ٢٢٠٠٠ مادة ، علماً بأن الموسوعة الاستشراقية عدد موادها ٦٠٠٠ فقط) **باللغة التركية** في المرحلة الأولى ، لينتفع بها المهاجرون الأتراك البالغ عددهم ثلاثة ملايين في أوروبا الغربية وحدها ، والذين لا يعرفون عن الإسلام إلا القليل ، ولا يجدون أمامهم ما يسعف تساؤلاتهم أو تساؤلات أولادهم الذين ولدوا في الغربة أو ترعرعوا بعيداً عن الأجواء الإسلامية . وهنا تقوم الموسوعة بالرد السريع الموثوق بدلاً من الضياع أو الرجوع إلى كتب مشبوهة . وفضلاً عن ذلك فهناك ما لا يقل عن خمسين مليوناً من الشعوب التركية في الاتحاد السوفياتي والصين يعيشون في جهل تام ، وستكون هذه الموسوعة وسيلتهم لتثقيف أنفسهم بكل ما هو ضروري لهم من أمور الإسلام ديناً وتاريخاً وجغرافية وأدباً وفناً .

هذا وقد هيأت الإدارة **مكتبة** للمصادر الأساسية ليستعين بها الباحثون والمراجعون الذين هم في الغالب من أساتذة الجامعات التركية ، ولكن هذه المكتبة بحاجة إلى الدعم من جانب الجهات الإسلامية ، ولا سيما تلك التي دأبت على إهداء الكتب الإسلامية إلى من يحتاجها ، لأن موارد الموسوعة مهما بلغت فلن تكفي لشراء جميع الكتب الضرورية . كما أن الحاجة ماسة لتضافر أقلام الباحثين المسلمين للمشاركة في كتابة مواد الموسوعة كل في مجال تخصصه لتخرج الموسوعة في مستوى علمي رفيع وتكون موسوعة للمسلمين كافة .

لذلك أرى من واجب الجهات الإسلامية المعنية بتثقيف المسلمين ونشر الوعي بينهم أن تدعم مكتبة الموسوعة بما لديها من كتب وأبحاث ، كما أرى أن من واجب الباحثين المبادرة للاتصال بإدارة الموسوعة لمعرفة المواد التي لم يكلف أحد بكتابتها بعد ، والله من وراء القصد .

سامي الصقار

ISLAM ANSIKLOPEDISI
GENEL MUDURLUGU
Kisikl, Cad. No. 7 Posta Kodu 81180
Altunizada -Uskudar - Istanbul
Tel.: 341 07 97 (4 Hat)
P.K.: 16 Beglarbi
Istanbul - Turkey